

obeikandi.com

المفكرة
السوداء

الكتاب: المفكرة السوداء
المؤلف: أحمد عصام خلف

الطبعة الاولى: يناير 2015
رقم الإيداع: 2751 / 2015
الترقيم الدولي: 4-28-6445-977-978

المدير العام: آية عفيفي
غلاف: أشرف السيد شلبي

كامل حقوق النشر والطبع محفوظة
دار الابداع للنشر والتوزيع
موقع دار الكتب الإلكتروني
العنوان : 5 متوسط ابراج عثمان- كورنيش المعادي- القاهرة
هاتف : 01002052266
E-mail: info@daralkotob.com
www. daralkotob.com



المفكرة السوداء

أحمد عصام خلف

obeikandi.com

إلى عائلتي الحبيبة

إهداء إلى عائلتي الحبيبة

التي ساعدتني بالدعم المادي والمعنوي في سبيل
تحقيق غايتي وأحلامي والتي أصبحت حقيقة أخيراً...
مهما حاولت أن أوفي الدين فأني لن أستطيع رده أبداً.

obeikandi.com

Alone

Edgar Allan Poe

From childhood's hour I have not been
As others were; I have not seen
As others saw; I could not bring
My passions from a common spring.
From the same source I have not taken
My sorrow; I could not awaken
My heart to joy at the same tone;
And all I loved I loved alone.
Then- in my childhood, in the dawn
Of a most stormy life- was drawn
From every depth of good and ill
The mystery which binds me still:
From the torrent, or the fountain,
From the red cliff of the mountain,
From the sun that round me rolled
In its autumn tint of gold,
From the lightning in the sky
As it passed me flying by,
From the thunder and the storm,
And the cloud that took the form
(When the rest of Heaven was blue)
Of a demon in my view.

obeikandi.com

كان لا يترددُ برأسه سوى جُملةٍ واحدة

- أنت لا تستطيعُ إنقاذي ممَّا أنا أصبحتُ عليه..

جملةٌ تَرَدَّدَتْ كثيراً بأحلامه، لا بل بكوابيسه المتتالية والتي لم تفارقُ عينيه طوال تلك السنوات السابقة.. عيناه لم تعودا تستطيعان رؤيةَ أي أحلام، فقط الكوابيس هي ما أصبحتُ تلازمُه الآن

- أنت لا تستطيعُ إنقاذي ممَّا أنا أصبحتُ عليه..

كان ما يزال يصرخ باسمِها بأنحاء تلك الغابةِ التائه بها.. سوف يجدها.. هذا ما يُقنِع به نفسه.. سوف يجدها.. هذا ما سيفعله.. صدى صوته يتردد مع كل صرخةٍ يطلقها هاتفاً باسمِها.. سوف يجدها.. لكنه لا يجد أي استجابةٍ لصراخه.. إنها مفقودةٌ منذ يومين ولقد مشَّط الكثيرون تلك الغابةَ مِنْ قَبْلِه.. كذلك هو.. فلماذا يتكبَّدُ عناءَ البحث عنها مرةً أخرى؟! الشمسُ تميل للغروب، والضباب قد بدأ بالتسرب للمكان.

- أنت لا تستطيعُ إنقاذي ممَّا أنا أصبحتُ عليه..

تلك الجملةُ يزداد علو صوتِ قائلها بها مع كل لحظةٍ تُمر متعمِّقاً بتلك الغابة اللعينة والتي بدت بلا نهاية

فقط الصمتُ ما يسود المكانَ بعد أن جثا على ركبتيه،
وبعد أن اغرورقت عيناه بالدموع لتسيل كالأنهار على خديه
حيث أخذ يكرر هتافه لاسمها بنحيبٍ مكتوم خنقته الدموع
- أنت لا تستطيع إنقاذي ممّا أنا أصبحت عليه..



استيقظَ بعيونٍ مفتوحة عن آخرها.. استيقظَ فزعًا خائفًا
مُنْتَفِضًا، استيقظَ مُمَسِّكًا رأسه في قوة بسبب ذلك الصداع
الشديد الذي انتابه وتملّك منه مجددًا خلال تلك الأيام
الأخيرة، والتي بدأت فيها الكوابيسُ تتناوب المجيء إليه
بصورةٍ مستمرة.

استيقظَ بعينين دامعتين وبجسدٍ مرتجفٍ يتصبب بالعرق
البارد وبغزارة، استيقظَ بقلبٍ مرتعشٍ وبأنفاسٍ متسارعة،
كان ما يزال يحاول إقناع نفسه أن ذلك الكابوس قد تلاشي
للتوّ.. إنه قد عاد مجددًا إلى أرض الواقع، إنه يعلم ذلك لكن
جسده يرفض تصديق ذلك، ينتبه إلى ذلك المنبّه الذي استمر
في الرنين بجانبه ليُعلمه بأنه قد حان وقت استيقاظه، إنها
الساعة السادسة صباحًا.

يُغلق ذلك المنبّه يدي مرتجفة ما يزال يسري بها البرود،
ثم يحاول الوقوفَ بقدمين متتاقلتين، لكنه يشعر بوهنٍ شديد
يعوقه عن ذلك فيجلس باعتدال على حافة سريريه ناظرًا إلى
قدميه وقد بدأ يسري بهما ألمٌ طفيف سرعانَ ما تشتد قوته

مع مرور الوقت، ليشعر أنه سارَ بهما آلاف الأميال!!

يتذكرها فينظر إلى الجانب الآخر من السرير حيث لا يجدها، لكنه يجد على طاولة خشبية صغيرة قريبة منه حيث تستقر عليه صورةٌ لهما وورقة قد طويت في عناية بحيث يكون من السهل عليه ملاحظتها.

يستبد به القلق بعد أن استطاع عقله تذكّر جزءٍ من ذلك الحوار الطويل الذي دار بينهما بالأمس، يقف على قدميه المتألمتين في بطن، ليتحرك في وهن شديد أرهق جسده لسبب لا يعلمه ممسكًا بتلك الورقة ليفتحها وليقرأ محتواها، قبل أن يضعها بيدٍ مرتعشة جانبًا وقبل أن يميل برأسه للأسفل في يأس بدأ يعتصر قلبه المنتفض في قوة.

أنفاسه المتسارعة تتباطأ مرة أخرى حين يذكّر نفسه أنه لا داعٍ للخوف، فَمَا يمران به الآن هو مشكلة صغيرة لا تقارن بتلك العثرات الشديدة، عثرات هددت استقرار أسرتهما أكثر من مرة لولا تماسكهما الذي يمنع ذلك، إنها بحاجة للابتعاد والتفكير.. إنها بحاجة لأن تبقى وحيدةً لقليل من الوقت، قبل أن تعود مجددًا تملأ تلك الابتسامة شفيتها، وقبل أن تغمره - ليس وحده - بحبها من جديد.

أطفالها بحاجة إليها، هو بحاجة إليها، وبدونها تلك الأسرة بالتأكيد ستتفكك، ربما يكون قويًا، ربما يكون حازمًا ولكن تلك الأسرة استطاعت الصمود في الآونة الأخيرة بسببها، إنها العماد الرئيسي لذلك المنزل المتهالكة أركانه والذي أصبحت

فرص نجاته على الحافة.

يتغلب على ذلك الوهن والضعف المتمكن من جسده ليأخذ حمّامًا ساخنًا، قد اعتاد أخذه كل صباح محاولًا تناسي ما يحدث حوله، محاولًا اللجوءَ إلى عالم آخر خيالي، دافئ.. لا تشوبه تلك المشاعر الباردة، لا يشوبه أي خوفٍ أو قلق، خمس عشرة دقيقةً من الهدوء الذي سرعان ما يختفي عندما يسمع صراخهن، فيسرع بالخروج من ذلك العالم الخيالي ليعود إلى العالم الواقعي الممتلئ بالمشاكل والعُقد ليحاول فضّ ذلك الصراع الدائم بين حُلفاء الشر والمقاتلين من أجل الخير، وحيث إنه بالتأكيد لا يقصد دولا كبرى عندما يفكر في ذلك إنما يقصد بذلك ابنتيه جين وليمز

يخرج مسرعًا بعد أن ليس ملابسه بشكل غير صحيح صارخًا فيها.. فتنفجران ضاحكتين عليه في حين يستمر في الصراخ عليهما، وكالمعتاد سرعان ما تتملص جين تلك الابنة الوسطى والتي تبلغ من العمر سبعة عشر عامًا من جريماتها معلّقة كل ما حدث برقبة ليز تلك الابنة الصغرى ذات الأعوام التسعة، حيث تُخبره أنها قد أخفت علبتها التي تحتوي كل مساحيق التجميل الخاصة بها، لكن هذا لا يهم ف ليز أيضا تتملص من جريماتها، فيفض الأب تلك المشكلة مشيرًا إلى أنها بالتأكيد قد توجد في أحد الصناديق التي نَقَلها إلى القبو، لكن هذا لا يصلح الوضع، فالمشكلة قد حُلّت بوقوع مشكلة جديدة على عاتقه، حيث تُلزمه جين بإيجادها أو سيتحمل

عبء شراء واحدة جديدة لها.

يعود إلى غرفته ليقوم بارتداء ملابسه مجددًا - بشكلٍ صحيح هذه المرة - استعدادًا لذهابه إلى العمل ثم ينزل مسرعًا ليحضر تلك السندوتشات التي ستأخذها ليز معها إلى المدرسة، في حين تكتفي جين بأخذ مصروفها اليومي معلّقةً أن ما يحدث شئ طفولي ستتخلص منه ليز عندما تصل إلى سنّها أو إلى جسدٍ مثل جسدها، وما يقطع بدايةً شجارٍ عارمٍ بين الأب وجين هو سماع صوت أوتوبيس المدرسة الذي يصرخ راجيًا منها أن تأتي، فتتحرك ليز بسرعة لتعطي أباها تلك القبلة الدافئة على خدّه الأيمن عندما يميل لها، ثم تنطلق بسرعة إلى الأوتوبيس وهو يراقبها من خلال نافذة المنزل تجري خلال تلك الطُرقَة الصغيرة متأملًا شعرها الأصفر الذي ازداد لمعانه عندما تساقطت عليه أشعة الشمس، وأخيرًا يراها تلوّح له من خلال إحدى نوافذ ذلك الأوتوبيس الذي غادر في عجلة، وسرعان ما يغادر هو أيضًا إلى سيارته حيث تتبعه جين ليوصلها إلى مدرّستها التي تقع هي الأخرى بالقرب من مدرسة أختها.

يتمعن أثناء قيادته طرقات تلك المدينة الصغيرة والتي انتقل إليها حديثًا.. مدينة ريتواسن.. قد تكون صغيرة، لكنها قريبة من الطُرقِ الرئيسية المؤدية للمدن الكبرى بكاليفورنيا.. يعلم أنه كان لا بد من هذا خاصةً بعد ما آلت إليه الأمورُ بفقدان وظيفته كنائب رئيس المحاسبين في إحدى الشركات

الكبرى نتيجةً لذلك الإفلاس الحاد الذي تعرضت له، مما أجبرها على تسريح جميع العاملين بها، ليعودَ الي ما بدأ منه.. الصفر.. لكن هذا أيضًا لا يهمه، ينتبه إلى إحدى السيارات التي كاد يصطدم بها أثناء تذكّره لتلك الأحداث اللعينة والأسباب التي جعلته في نهاية الأمر.. محاسبا متواضعا، ولكن ليس لشركة تجارة عالمية أو شركة بورصة تتاجر بالأسهم العالية كما اعتاد يومًا، إنما لشركة صغيرة تتاجر بقطع غيار السيارات تقع بالقرب من منزله.

يركن سيارته الجيب المتواضعةً بالقرب من مكان عمله بعد أن باع تلك الفارهة كي يستطيع معادلة ما فقد من ماديّات، وليستطيع الحفاظ على أسلوب حياة بناته المترف، كذلك ليستطيع أن يساعد ابنته الكبرى كاترينا بمصروفات جامعتها، إنه يحاول جاهدًا السيطرة على ما يحدث في مسار حياته الذي أخذ منحنيًا غاية في الخطورة، ولكن ها هو يقف صامدًا لا يدري إلى متى سيستطيع الاستمرار في الظهور بتلك الصورة؟؟.. لا يدري إلى متى سيستطيع إخفاء ضعفه وقلّة حيلته؟؟.. إلى متى سينجح في ذلك؟!

يتقدّم ليفتح باب غرفته حيث مكتبه المتواضع، وحيث توجد كُتبه وأوراقه المتناثرة هنا وهناك منتظرةً أن يتقدم إليها ويتناولها ليضعها في المكتبة الخشبية القريبة منه، لكنه يتجاهلها ليجلس على ذلك الكرسي الوثير المواجه لمكتبه ناظرًا إلى الصور الموضوعة على مكتبه الخشبي الصغير والمحفوظة في إطارات صنعها بيده خصيصًا؛ لأن كلا منها تحمل ذكرى

خاصة في قلبه.. يقلّب نظره بينها فينظر إلى الأولى والتي تراه فيها سعيدًا جدًّا وسط زملائه السابقين.. إنها الفرحة الكبرى عندما استطاع هو وفريقه كسب إحدى الصفقات الكبرى، ولكن ها هو الآن بعيد عنهم، بالإضافة إلى ذلك لم يفتقده أحدٌ إلى الآن، الدليل أنه لم يهتم أي منهم بالسؤال عنه ولو بمكالمة هاتفية صغيرة.. ما الذي يحدث لأمر الصداقة هذه الأيام..؟ لكن هذا أيضًا لا يهمه!!

تنتقل عيناه إلى صورة أخرى حيث يقف بجانبها، وأسفلهما يجلس الثلاث فتيات، بل الثلاث زهور، يُعِْنُ النظرَ إلي أصغرهن.. ليز.. الشئ الوحيد الجيد بحياته، لقد كانت في الخامسة من عمرها عندما تم التقاط تلك الصورة.

يعود برأسه إلى تلك الذكريات عندما اكتشفت زوجته أنها حامل بها وكيف أن الأمر أثار فزعها وقلقها، وكيف أرادت أن تجهّزها، كانت أسرته قد استطاعت النجاة للتو من عاصفة هوجاء كادت أن تمزق روابطها إلى أشلاء، ولسبب ما أرادت التخلص من ذلك الجنين ليس بسبب قسوتها ولكن بسبب شكّها في بقاء عائلتها متماسكة بعد ما حدث، أرادت أن تجهّزها حتي لا تعاني من ذلك التمزق الأسري إذا حدث، أشفت عليها من أن تري ما يحدث لتلك العائلة الجميلة، ومن ذلك المصير المأساوي الذي يلاحقها.. فقط أشفت عليها من الألم.. ولقد كادت أن تفعل ذلك، لكن تمسّكه بها منعها عمّا هي مُقبلّة عليه.

لقد تَحَدَّثَا طويلاً، تَشَاجِرا كثيراً، واندلَعَ صراخهما مراراً في كل مرة يتطرقان فيها إلى ذلك الأمر، لكنه ظل متمسكاً بها واتَّخَذَهَا أَمْلاً من أجل الغد، تَمَسَّكَ بِهَا تَمَسُّكَ الشَّخْصِ المَوْشِكِ على الغرق ببحر الحياة الهائج بطوق نجاته، نعم لقد كانت طوقَ نجاتِهِ

لقد تَحَدَّثَا طويلاً، تشَاجِرا كثيراً، ولكنه ظل متمسكاً بها، ولقد أذعنْتُ في النهاية لقراره في ضيقٍ ويأسٍ واستسلام تام ذكرياتٍ تجعله يشعر بأن حياته لم تَضَعْ هَبَاءً..

تنتقل عيناه إلى الصورة الأخيرة والتي أُخِذَتْ عندما كان صغيراً، حيث كان في الثانية عشرة من العمر عندما التقط أبوه تلك الصورة فجأة لعائلته ليختطف لحظةً من حياتهم ويثبتها على صورة ليراهما الآن وكأنه يعيشها للأبد.. كانت أجملَ رحلةٍ ساحليةٍ قضاها في حياته.. ربما الوحيدة أيضاً، وعلي الرغم من السعادة المطلقة التي كانت ظاهرةً على عينيه في هذه الصورة إلا أنه أبعدَ عينيه عنها لإحساسه بضيق داخله.. ضيق لا ينتهي.. خاصة في تلك الفترة الأخيرة.

الوقت يمر ببطءٍ شديد عندما يكون بمفرده متروكاً وحيداً لأفكاره وهو جسد، خاصة عندما يعود للتفكير بها مجدداً.

- لماذا تَرَكْتَنِي وغادرتُ دون كلمةٍ وداعٍ واحدة؟!



تأتي الساعةُ الثالثة فيستقل سيارته مسرعاً بالعودة إلى

منزله حيث يجد ليز كعادتها تجلس بالقرب من إحدى الأشجار المزروعة أمام فناء منزله منتظرةً قدومه بفارغ الصبر بعد أن تناولت غداءها هي وجين والمكُون من أطعمة جاهزة، فهو يعلم أن أي طعام يصنعه يكون مصيره صندوق القمامة!!

يَدخل المنزل ممسكًا يدها الصغيرة وهي تُقص عليه كل الأحداث التي واجهتها في مدرستها، إنه يعلم جيدًا أن معظم أحداثها بلا أهمية.. ولكن حديثها معه مُجدٍ بالفعل، فقد كَفَتْ تلك الهواجس عن التلاعب برأسه، أو قد يكون هذا بسبب ذلك الإرهاق الشديد الذي يعاني منه جسده حاليًا مسببًا ألمًا حادًا برأسه أفقده القدرة على التركيز في أي شيء حوله، لكن هذا لا يمنع أنه اعتاد الاستماع إلى صوتها الناعم الذي يعيد إليه الأمان من وقت إلى آخر، أمّا بالنسبة لـ جين فهو يعرف مكانها جيدًا، هي داخل غرفتها تستمع إلى موسيقاها الصاخبة بعد أن اختلست تدخين سيجارة أو اثنتين أثناء عدم وجوده.

يمر اليوم سريعًا بكل ما فيه من صخبٍ وأحداث ليست لها أي أهمية، وبالطبع لا ينتهي قبل شجارٍ أو اثنين بين الفتاتين، وسرعان ما ينتهي الأمر بأمر من الوالد والذي لا يَسري إلا على ليز؛ لأنه يعلم جيدًا أن جين ستُنتهي يومها بسماعها لتلك الموسيقى الصاخبة بسماعات الأذن الخاصة بها بداخل غرفتها، ولكن بالنسبة لـ ليز فهذا هي ممسكة

بيد أبيها الذي اصطحبها إلى غرفتها، وهناك تُلقِي بنفسها فوق ذلك السرير المدثّر الناعم قبل أن يحيطها والدّها بذلك الغطاء الثقيل خوفًا عليها من برودة الليل ثم يُقبّل جبينها ويقف استعدادًا للخروج.

لكنه يُفاجأ بأناملها الصغيرة تمسك بيده وقد ظهر على عينيها ذلك الرجاء بأن ينتظر قليلًا حتي يغلب عليها النوم، فيتتهّد بصوت عالٍ قائلاً في يأس:

- من المفترض أنكِ اعتدتِ هذا المكان، ومن المفترض أنكِ كبرتِ أيضًا، وما الذي حدث لقولكِ اليوم صباحًا وأنتِ تتساجرين مع جين قائلة إنكِ نضجتِ وأصبحتِ شابة يافعة؟ لم تُجبه واكتفت بتلك الابتسامة العذبة على شفيتها الصغيرتين، فجلس بالقرب منها في هدوء، إنه يعلم أنها تخشي الظلام بسبب تلك الحادثة اللعينة التي تعرضت لها وهي صغيرة.

حادثة جعلت أمرَ تقبّلها للظلام مستحيلًا، من الجيد أنها اعتادت النوم بدون إضاءةٍ أنوار الغرفة، من الجيد أنها اكتفت بأن يكون باب غرفتها مفتوحًا، واكتفت بأنوار الممر المؤدي إلى غرفتها كمؤنِسٍ لها، من الجيد أنها استطاعت نسيان الأمر تدريجيًا، من الجيد أنها ستكبر وسيصبح كل ما حدث في طي النسيان، وربما ستتذكره وستضحك كثيرًا.. أو ربما لن يحدث أي شيء مما يفكر به الآن، وسيظل خوفها من الظلام دائمًا

ابتسم محرّكاً أصابعه لتداعب خصلة من شعرها الذهبي
المتساقط على وجهها، وليتذكر أنها كانت بالفعل مجرد خطأ..
خطأ غير حياته للأفضل

انفتحت عيناها الخضراوان واللّتان ورثتهما عن أمّها لتتأكد
أنه ما يزال بجانبها، فتنزل أصابع يده إلى خدها والذي
بدأت تميل به أكثر تجاهه لتشعر بدفء يده خاصةً بعد
إزدياد برودة الجو، لكنه يحرك أصابع يده للأعلي لتغوص
بداخل شعرها مجددًا، ولتستمر أصابعه في السباحة بداخل
ذلك البحر الذهبي بلا كلّ، وليستمر في الجلوس بجانبها
حتى تغط في نوم عميق، ليقف أخيرًا متسللاً على أطراف
قدميه خلال ذلك الباب المفتوح، لكنه يُلقي نظرة أخيرة على
ذلك الملاك النائم قبل أن يذهب تاركًا بابَ غرفتها مفتوحًا
بحيث لو استيقظت ستجد ذلك النور المضاء لمصابيح الطُّرقة
يؤنسها إلى أن يأتي إليها

ينزل درجات السلم إلى الدور الأرضي حيث غرفة المعيشة،
ينظر إلى ساعة الحائط التي تشير إلى الساعة الحادية عشرة
مساءً، ثم يلتفت إلى التلفاز حيث المذيع الإخباري ذو الصوت
الهادئ يعلن عن حالة الطقس التي ستمر بها البلاد ويحذّر
أن تلك الموجة الباردة الحادة للشتاء ستزداد الأيام المقبلة،
وأنه يرجو إدخال كل ما هو مهم داخل المنازل خوفًا من
قيام عواصف شديدة، لكنه يغلق التلفاز بلا مبالة دون أن
يعطي لذلك المذيع أي فرصة لإكمال نشرته، ثم يلقي بنفسه

نتيجةً للإرهاق الذي نال منه اليوم على تلك الأريكة الحمراء
والمواجهة للتلفاز وقد أحاط بها كرسيان وثيران آخران ناظرًا
خلال نافذة قريبة منه إلى تلك السماء السوداء الملبّدة
بالغيوم

يتذكرها...

يمسك هاتفه المحمول ويتصل بها ولكنها لا تجيبه، فيحاول
مرة أخرى.. وأخرى.. وقبّل أن يتمكن منه اليأس ويقوم
بإغلاق الاتصال تجيبه، ولكنها لا تتكلم فيقول في حزن:

- إِذَا أَنْتِ مَا تَزَالِينَ غَاضِبَةً مِنِّي؟

لم تُجبه واستمرت في صمتها مما جعله يكمل بصوت متألم
مُبدِيًا تلك النبرة الآسفة:

- أَنْتِ تَعْلَمِينَ أَنَّنِي لَمْ أَقْصِدْ...

لكنها قاطعته بصوت هادئ:

- مَاذَا؟؟.. لَمْ تَقْصِدْ مَاذَا؟؟

- هَلْ تَذْكُرِينَ مَا طَلَبْتَهُ مِنِّي الْبَارِحَةَ يَا سَيْلِينَا؟؟.. أَنْتِ...
أَنْتِ بِالتَّأَكِيدِ كَانَ هُنَاكَ شَيْءٌ يَثِيرُ غَضَبِي، رُبَّمَا تَطَرَّقِي لِلْحَدِيثِ
مَعَكُمْ مِنْذُ الْبَدَايَةِ كَانَ شَيْئًا خَاطِئًا

قاطعها في صوت حذر، صوت يشوبه الخوف ليس منها
بل من عودتها للحديث في ذلك الأمر مجددًا مُكِمَلًا في توتر:
- أَعْلَمُ أَنَّنِي ضَغَطْتُ عَلَيْكَ كَثِيرًا وَرُبَّمَا مَا زِلْتُ مُسْتَمِرًّا فِي

ذلك، أعلم أنني تماديت أيضًا في الحديث معكِ، وربما حديثي معكِ هو ما يزيد من حدة الأمر

لكنها قاطعته بصوت جاد وحازم:

- لا يا ستيفن، ليس حديثك، لست أنت السبب في ذلك القرار الذي أريد اتخاذه، ليس حديثك السبب فيما يدور بيننا الآن.. القرار الذي أخبرتك إياه البارحة كان يدور برأسي منذ زمن بعيد، ذلك القرار الذي أخبرتك إياه كان من المفترض إقامه منذ زمن طويل، وربما.. ربما لو كان.. لو كنت

- أنتِ بالتأكيد مَـزَحِين

قالها ستيفن في حدة مقاطعًا ثم أكمل بصوت مختنق:

- إنكِ بالتأكيد لستِ تعين عواقب هذا الأمر الذي تفكرين به ومنذ وقت طويل!! أنتِ تريدين الانفصال يا سيلينا.. هل تُدركين معنى هذا؟!

- نعم أدرك

أجابته بصوت عالٍ حاد لم يَبْدُ عليه أي توتر أو تردد، أجابته بصوت جاد لم يَشْبه قلق أو خوف، أجابته بكل يقين: - إني أدرك تمامًا ما أردته، أعلم تمامًا ما أخبرتك به، أعلم جيدًا مطلبي.. لكن هل أصغيتِ أنتِ إلي؟؟ هل فكرتِ به كما أردتُ منك؟؟

- أصغي إلى ماذا؟؟ هل تعلمين أن ما تطلبينه وما تريدينه

مَنْي أمرٌ صعب جدًا إن لم يكن مستحيلًا؟ ما تريدينه أمرٌ ليس متاحًا لي أو لكِ اختياره، خاصةً في مثل هذا الوقت، هو أمرٌ سيدمر شمل هذه العائلة وسيمزق أوصالها..

لم تُجبه والتزمت الصمتَ مرةً أخرى. إنه يعلم أن صمتها ليس بسبب إعادة تفكيرها بالأمر بل بسبب انتظارها أن يُفرغ ما في جعبته من غضب يستعر داخل صدره، هكذا كان حديثها بالأمس وهكذا سيكون حديثها معه الآن، مجرد صمت وانتظار منه أن يتقبل الأمر. لا يعلم منذ متى تُخطط لهذا الحدث، لكنه جاء غير متوقع.

- أنا أعلم أنكِ عانيتِ الكثيرَ معي خلال السنوات السابقة، ولكن الوضع تغير الآن، عائلتنا الصغيرة إنها تنمو.. زهورنا الصغيرة قد بدأت تتفتح يا سيليना أليس هذا الأمر هو ما كنتِ تخبريني به دومًا؟! ألسِ أنتِ مَنْ كان يحُثني دومًا على التشبث بها وبآمالٍ مستقبلها؟؟ ألسِ أنتِ مَنْ كان يخبرني بأني لا أستطيع الرحيل بعيدًا عن أُسرتنا وتركها؟؟ أنتِ تعلمين أنها بحاجة إليك الآن، أنا بحاجة إليك..

- أرجوك توقّف يا ستيفن، أنتَ لا تدرك أبعاد الموقف

قاطعته بصوتٍ متألم.. صوت شابتة دموعها التي لا يراها وهي تكمل:

- هذا الأمر لصالح أُسرتن، هذا الأمر في صالحك وفي صالحني وفي صالح الجميع

- كيف؟؟ كيف يا سيلينا ترين في انفصالنا خيرا لي ولأبنائك؟؟
 كيف سيكون خيرا لأسرتنا أن تعاني ذلك الألم الشديد؟؟ كيف
 سيكون فقداني لك بمثابة خير؟؟

لم تُجبه سيلينا، اكتفت بتنهدٍ عميق شابه ألم حاد، مما
 جعله يكمل:

- أنا أعلم أنك عانيت، أعلم أنني لم أجلب لك سوى الحزن،
 أعلم أنني خذتك كثيرا، وأعلم أنك كنت لهذا البيت بمثابة
 الأب والأم معًا في تلك الفترة.. تلك الفترة التي..

لم يستطع ستيفن إنهاء حديثه ليس لعجز منه، ولكنه
 يعلم أن تذكيرها بذلك الأمر سيزيد الطين بلة، يعلم أنه لم
 يكن زوجًا جيدًا لها.. يعلم أنه أصابها بالعديد من الجراح،
 ويعلم أن الطريق كان سيصل يومًا ما إلى هذه النقطة، لقد
 ضغطَ عليها كثيرا، ربما تكون مُحقة، وربما كان من المفترض
 لهما أن يفترقا منذ زمن طويل، ولكن هذا الأمر كان من
 الممكن أن يكون متاحًا إذا كانا مجرد شخصين فردين وليس
 أسرة هُما بها شخصان مسؤولان عن ثلاث فتيات يانعات
 مقبلات على الحياة، لقد رأى ما يفعله الانفصال بالأسر، لقد
 رأى ما فعله بأسرته، لقد رأى ما حدث.. لقد رأى الآلام التي
 من الممكن أن يسببها قرارٌ هينٌ كالذي يتحدثان عنه الآن!!..
 يعلم نتائجه، يعلم عواقبه.

- أنتِ تخشين أن يتكرر الأمر مرة أخرى بعد أن خسرتِ
 وظيفتي السابقة، تخشين أن أخذكِ مجددًا، تخشين أن أجعلك

تَسْقُطِينَ بدوامه تلك الأحزان مرة أخرى.. أنا لا أستطيع أن ألومكِ، ولن أفعل ذلك إنْ أصررتِ على موقفك، لكن إنْ كان دافعُك هذا بسبب الخوف مِنِّي، فكل ما أطلبه هو فرصة صغيرة أُثبِت لكَ بها خطأ تفكيرك

التفت ستيفن بالقرب منه حيث تلك المنضدة الصغيرة، حيث تلك الصورة لذلك الطفلين السعيدين بتلك الغابة مما جعل ابتسامه بسيطة تتسلل إلى شفتيه، وأكمل في هدوء:

- أتعلمين إلَامَ أنظر الآن؟؟ إلى صورتنا عندما كنا أطفالاً، إلى حُلْمنا، إلى طريقنا، إلى تلك الحياة التي اعتصرتنا وقاومناها.. نعم لقد قاومناها، لقد قاومنا كل مشكلة بها منذ أن كنا أطفالاً، شَقَقْنَا طريقنا الحجري بأيدينا فقط، لم نَحْظَ بمساعدةٍ مِن أي أحد.. فقط نحن يا عزيزتي سيلينا. كنتِ عندما يتمكن مِنِّي الضعف أجْدكِ بجانبِي، وعندما تشتد أصابع اليأس حول رقبتِي أنتِ مَن كان يحررها. لقد آمَنتِ بي كثيراً أكثر من إيمان عائلتي بي.. هذا إنْ كنتُ أستطيع أن أُطلق عليها لفظ عائلة، لقد آمَنتِ بي أكثر حتى مِن نفسي

تَنهَدَ ستيفن في يأس وقد أطرق برأسه للأسفل في صمتٍ دَامَ ثَوَانِي معدودة سرعان ما قطعها صوته الضعيف مكملًا:

- أذكركين يا سيلينا كيف رأيْتيني أول مرة؟؟ أقصد أنكِ دائماً ما تسأليني إذا ما كنتُ أذكر كيف كان لقائنا أول مرة؟؟ أنتِ تعلمين كيف كنتُ، تعلمين كيف كانت حياتي؟؟ تعلمين هويتي

لم يقوَ على تكملة حديثه، كلماته المتلعثمة، مشاعره المضطربة عندما يتحدث عن ماضيه تزداد، أفكاره تزداد تشوشاً حين يعود بذاكرته إلى ذلك الماضي السحيق. بالنسبة للبعض الماضي يطويه النسيان، ولكن بالنسبة له، ذلك الماضي كان ما يزال ملازمًا له في كل يوم يستيقظ به، ومجرد محاولة الاستيقاظ من وهم سيطرة الماضي على أنفاسه المحترقة وقلبه المتمزق بتلك الجراح التي ما يزال نزيهاً سارياً كان حُلماً، وأصبح حقيقة معها، بالطبع لم يتخلص من ذلك الماضي بالكامل ولكنه على الأقل استطاع أن يتناساه، استطاع أن يتجاهله، فقط هي من استطاعت مساعدته على ذلك، هو يعلم ذلك ويدين لها بهذا الأمر، هي تعلم ذلك ولكنها لم تحاول قط أن تنسب لها هذا الفضل

يحاول بيأس واضح أن يُثنيها عن تفكيرها بذلك القرار.. يحاول بشق الأنفس أن يذكرها بأنها أساس، بل هي الأساس الوحيد والذي منه بدأ تكوين تلك الأسرة.. يكمل حديثه بعد صمتٍ دامَ دقائق معدودة بدت لهما دهرًا من زمنٍ لا نهاية له:

- أنا أعلم أنني لا أستحقك.. أعلم أنك كنتِ ستصبحين بحال أفضل مع غيري.. أنك كنتِ ستكونين تلك الأسرة السعيدة التي طالما حلمنا بها.. فقط إن كنتِ.. إن كنتِ غيرَ موجودٍ بها.. أعلم أن وجودي معكِ لهُوَ عائقٌ كبيرٌ أمام تحقيق سعادتك.. لكني لا أطلب منك الكثير يا سيلي.. كل ما أطلبه هو فرصة

ثانية.. فرصة أخرى أستطيع فيها إثباتَ كم تغيرتُ.. أثبت
لكِ بها أنني أصبحتُ شخصًا آخر.. أرجوكِ يا سيلينا..

لم يسمع منها سوى صوت أنفاسها المتباطئة، صاحبها
صمتٌ ثقيل كاد يسحق صدره من فرط التوتر الذي ألمَّ به،
لكنها سرعان ما قاطعته بجملة لم يتوقعها.. جملة طرحت
لسانَه أرضًا وأفقدته القدرةَ على التحدث

- وربما أنا مَنْ لا يستحقك..

قالتها بصوت ضعيف شابهُ الألم والحسرة..

قالتها بصوت خافت حذرٍ يتخلله الخوف والندم..

قالتها بصوت يائس يود أن يخبره بالمزيد ولكنه اكتفى
بالصمت بديلاً..

صمتٌ عاد مجدداً.. عاد ليخنق عقله المصدوم إثر
تلك الكلمات البسيطة التي قالتها للتو، كلمات لم يستطع
أن يستوعبها.. لم يستوعب لماذا قالتها؟؟.. ولم تُعطه الفرصةَ
ليفعل ذلك حينما أكملتُ بصوت خافت قد ساده الإرهاق:

- أخبر الفتياتِ أنني أحبهن يا ستيفن.. أخبرهن أنني قد أغيب
لفترة طويلة هذه المرة.. أخبرهن أن هناك عملاً طارئاً.. فقط..
فقط اختلقُ أي عذر يبرر غيابي.. عذر يبرر اختفائي لفترة
طويلة..

- ستعودين..

- سأعود.. بالتأكيد سأعود.. لكن عودتي ربما تأخذ وقتاً أكثر من المتوقع.. ولكن في النهاية..

قاطعها بصوت متحشرج.. تَفَوَّه بكلمات متقطعة كأنه يقولها لأول مرة.. كلمات سمعتها لمرات عديدة ولكن طريقته في قولها واحدة:

- سيلينا.. أنا أحبك..

- وأنا أيضاً.. وأنا أيضاً أحبك..

قالتها بصوت جاف.. تَفَوَّهت بالكلمات بدون إحساس كأنها تجيبه بها حتي تكفيه آلام القلب المجروح.. كلمات سمعها منها لمرات عديدة ولكن طريقته في قولها له اختلفت بوضوح هذه المرة.



تأملَ هاتفه لوقت طويل قبل أن يلقيه جانباً، وخاصة عندما بدأ رنين تلك الكلمات يتناهى إلى مسامعه مرة أخرى.. كلمات لطالما لاحقته منذ صغره.. كلمات من الماضي السحيق لم تُكفَّ عن مطاردته يوماً عند كل فشل يصيبه

كلمات صارخة.. كلمات مؤثبة.. كلمات لاذعة اتَّسم بعضها وإن لم يكن معظمها بل كلها بوصف ذلك الفشل المريع والذي يفرض أجنحته حوله باستمرار.. بوصف ذلك الضعف الذي يملك منه.. بوصف ذلك الجحيم الذي يتبعه أينما ذهب!!

يقف ستيفن على قدميه ويتحرك بين غرفة المعيشة والمطبخ بخطوات متسارعة سرعان ما تستقر وجهتها أمام الثلاجة التي فتحها في قوة ليسحب زجاجة بيرة، تبادل معها النظرات لثوانٍ معدودة ولكن يده لسبب ما تتراجع عن القرار معيدة إياها إلى مكانها مرة أخرى.

إنه يشعر بالغضب يشتعل بجسده.. يشعر برغبة عارمة في تدمير كل شئ حوله، فيتجه فوراً إلى مكتبه مغلقاً الباب خلفه في قوة ليبقى في الظلام محاولاً كبت شعورٍ ما.. بالفشل.. بالحزن.. باليأس ولكن ليس بسبب ذلك الحديث الذي دار منذ لحظات بينهما، بل بسبب علمه أنه فشل.. فشل في حماية أعز ما يملك وهي عائلته.. فشل في الحفاظ على أمنها.. على استقرارها.. لقد أصبح في النهاية مثله.

ووسط تلك الفوضى العارمة من المشاعر المتصارعة داخل صدره يجد نفسه ناظراً إلى تلك المفكرة الصغيرة التي تتوسط مكتبه.. ربما تكون أشبه بأجندة، إلا أن حجم الورق الذي بداخلها ليس بالكمية التي تجعلها ترقى لتصل إلى مستوى الدفاتر، ولكن هذا لا يهمه فالأشياء التي يهتم لها ستيفن قد بدأت بالتهايي حوله واحدةً تلو الأخرى، وإن كان يريد شيئاً يشتت تفكيره عما يحدث حوله فتلك المفكرة هي أنسب حل!!

اتَّجَه إلى مكتبه وسط الظلام إلى أن وصل لكرسيه ليجلس عليه في إرهاق وتعبٍ، ولينظر إلى ذلك الغلاف الجلدي الأسود

والذي أحاط بالأوراق في عناية وقد زُيّنت أطرافه بحواف فضية لامعة، ثم تأمل تلك القطعة الجلدية المثبتة بأحد غلافَيْه وقد اشتبكت نهايتها المعدنية الأخرى بذلك القرص الممغنط بالغلاف الآخر ليحكم الإغلاق على المفكرة.. ولكن هذا لا يهمه أيضًا فمحتوى هذه المفكرة فقط هو ما يهمه ويشغل باله خاصة بعد أن وجدها في صندوق كرتوني وسط أغراض أخرى بالقبو والتي لم يهتم المالكون السابقون للمنزل بأخذها معهم.. محتوى هذه المفكرة في غاية الأهمية بالنسبة لستيفن.. نعم في غاية الأهمية.. وليس لأنها تحتوي أسرارًا عسكرية أو خبايا حربية، أو تتحدث عن كنز مفقود ومقدر له بأن يكتشفه فيما بعد، بل لأن محتوى هذه المفكرة السوداء كان قصةً قرأها من قبل وهو في الخامسة عشرة من العمر، حيث أهداها إليه أحد أصدقائه في عيد ميلاده.. ربما لأنه في هذه السن لم يكن منجذبًا للفتيات كمن في سنه من المراهقين.. ولكن الغريب أن اسم تلك الرواية.. ((المفكرة السوداء)).. وهذا بالتأكيد ليس لأن الكاتب رأى تلك المفكرة التي بين يدي ستيفن الآن؟!!

ربما تكون هذه مصادفة، خاصة عندما يضىئ ستيفن ذلك المصباح الكهربائي الموجود على مكتبه المتواضع لينير سطحه ولينبعث منه ضوء ضعيف كافٍ لجعله يرى ما يوجد حوله، ولكن ليس كل شيء، يستغرق القليل من الوقت متأملًا فيها تلك المفكرة، قبل أن يفتح أحد أدراج المكتب ليُخرج تلك الرواية التي أهداها له صديقه وليضعها بجانب المفكرة ناظرًا

إلى ذلك الرسم على غلافها حيث يرى تلك المفكرة المفتوحة والتي تتدفق منها الدماء لتملاً تلك الأرض الجرداء المحيطة بها، مكوّنة تلك البحيرة الدموية الصغيرة، والتي توجد فيها الكثير من الأيادي الطافية، وربما كانت مخالِب طافية بسبب عدم وضوحها، وربما كانت المفكرة فقط هي ما تطفو على تلك البحيرة.. لم يعد يتذكر ستيفن شكل الغلاف بسبب الفترة التي تركها فيها دون قراءة، حيث اهترأ غلاف الرواية بسبب قِدَمِها، وبهتت تلك الرسوم التي على وجه غلافها بسبب إهماله في العناية بها بحيث بالكاد يرى عنوان القصة التي اختفت بعض حروفها.

لكن هذا ليس سبب نظرتِه اليائسة تجاه تلك الرواية حين بدأ ذلك السؤال يطوف رأسه.. ما الذي يحدث بحق الجحيم؟؟

لم يكن ستيفن من هواة القراءة، ولا يتذكر أنه قضى وقتاً يُذكر بصحبة أي كُتُبٍ من أي نوع، لكن تلك الرواية لا يدري لماذا انجذب إليها؟؟

ربما تكونُ الرواية الوحيدة التي استطاع قراءتها وإنهاءها في آن واحد، لقد حاول كثيراً أن يكتسب حبّ القراءة مثل صديقه الذي أهده إياها لكنه لم يستطع فعَلَ ذلك قط.

لكن الشئ العجيب بهذه الرواية أنها استطاعت الاستحواذ على تفكيره بشكل غريب لدرجة أنه استطاع إنهاءها أكثر من مرة، ويتذكر جيداً أنه تتبّع أخبار وأحداث مؤلّفها الذي

استطاع الحصول على جائزة أدبية أو أكثر بفضلها، ويتذكر أيضاً أنه لم تصدر له أي أعمالٍ بعدها ليتلاشى مختلفاً بعيداً عن الأنظار حيث لم يتبقَّ من ذكره سوى إشاعاتٍ معجبيه وناشريه.

لكن يظل الخبر المؤكد بالنسبة لستيفن أنه لم يكتب بعد تلك الرواية أي شيء آخر.

هل القصة جيدة إلى هذه الدرجة..؟ إنه يعتقد ذلك.. فهي تتحدث عن طفلةٍ صغيرة تُدعى كارمن تعيش في مستوى اجتماعي سييء وفي مستوى أخلاقي منحط في إحدى المَدين الصغيرة بالولايات المتحدة الأمريكية في القرون السابقة، عندما بدأت حرب الاستقلال الأمريكية بثورة المستعمرات البريطانية ضد الأمبراطورية البريطانية، حيث عانت الفتاة الصغيرة مع عائلتها مشقة الجوع والفقر مثل ما يحدث لأي أسرة تتعرض للحالة الاقتصادية السيئة التي تواجه البلاد وقت الحروب، ولكن هذا ليس كافياً فعائلتها أيضاً لم تتماسك وبدأت في التفكك ليشتكي الأب وتتذمر الأم وليبدأ الأبناء في التمرد وعندما يكون الانحلال الأخلاقي كافياً لجعل الأب يتاجر بأجساد بناته، وليقوم أولاده بالتسول والسرقة، ولكن ليس هذا كافياً للكاتب فقد جعل الطفلة تشاهد بعينها أمَّها تخون أباهما مع أحد أصدقائه.. مجتمع منحط وتتدنى فيه الإنسانية إلى المرتبة الحيوانية.. وهنا تتجلي عبقرية الكاتب ليريك تلك الطفلة ذات الاثني عشر عاماً عندما تفقد روحها

شيئاً فشيئاً تلك البراءة الفطرية التي وُلدت بها، والتي غرزت بكل البشر، لتبدأ في التفكير بتمعن في سبب وجودها بعد أن تقارن بين أبيها وأباء آخرين ما زالوا يحتفظون بتلك الأخلاق الرفيعة خلال تنقل عائلتها بين المدن، وشيئاً فشيئاً تشعر الفتاة أنها لم تولد لتحيا حياة البشر العاديين... ويستمر الكاتب في سرده لكيفية تسلل الشياطين لعقلها الصغير وكيفية التلاعب بالكلمات التي سمعتها من قبل من رجل الدين في أن مَنْ يقوم بالأفعال الخاطئة فسينتهي مكانه في الجحيم وبئس المصير... إذاً فماذا سيسمي ما يحدث حولها بغير الجحيم؟؟ إنها تبدأ بالتحول خلال تفكيرها وأثناء محاولتها في معادلة ما يحدث حولها من أشياء من الصعب على عقلها الصغير تقبله إلى شيطانٍ صغير.

إنها تقاوم بما تبقي من روحها البريئة بالتمسك بما هو صحيح.. ولكنها لا تجد مَنْ يرشدها.

وفي أحد الأيام العاصفة والمظلمة تقوم تلك الفتاة الصغيرة، لا بل ذلك الشيطان الصغير بوضع سُمٍ قاتل بالطعام والنبيد الذي ستشاركه عائلتها في العشاء، حيث كان الوقت المناسب لخطتها عندما قاموا بحرمانها من الطعام بسبب أفكارها الشاذة أو ربما بسبب ذلك الضمير الذي يدفونه بأيديهم فهي بذلك لن تتناول الطعامَ معهم، وسرعان ما تسمع صراخهم وتألهم بسبب سريان السم في دماهم وبدء مفعوله. الآن تجد فرصتها في أن تمثل دورَ ذلك المخلص من الفساد،

تهبط للأسفل ممسكةً بسكين صغيرةٍ اختزنت ثمنها من المال الذي كسبته خلال تسولها، وتقوم بطعن الأب ثلاثَ طعناتٍ متتالية بظهره فترديه قتيلاً، أمّا بالنسبة لأخويها واللذين ما زالا بهما بعض القوة حين توجَّها للانتقام منها أسرعَت بالإمساك بمصباح زيتي بالقرب منها وألقته على أحدهما مسببةً ذلك الانفجار، ليبدأ ذلك الأخ المسكين في الصراخ بسبب تلك النيران التي أضرمَت به، ووسط تلك الفوضى التي أحدثها أخوها المحترق والذي أخذ يتحرك وينتفض بكل أرجاء المنزل تستغل الفرصة في طعن أخيها الآخر لتبقى الأختان اللتان لم تُبدِيا أي مقاومة تُذكر، وأخيراً أمها التي تزحف وسط ذلك الحريق المشتعل بمنزلهم الخشبي جاهدةً لتصل إلى الباب، ولكنها ترى ابنتها تسبقها بخطوات بطيئة وهادئة لتقف حاجزاً بينها وبينه.

فتقول تلك الأم بصوت ضعيف ومتألم:

- لماذا؟! -

فتميل.. لا بل فيميل ذلك الشيطان الصغير إليها ممسكاً بشعرها ليرفع رأسها عالياً، فتنظر الأم إليه في ألمٍ لتسمعه يقول في برود بابتسامة ساخرة على شفثيه الصغيرة:

- جحيم..

ثم ينهي الأمرَ بذبحها بأعصاب هادئة.

لقد أخذت تشاهدها في هدوء تنتفض وتصارع الموت في ألم

قبل أن يهدأ جسدها ويستسلم للسكون أخيراً، ليغم الصمتُ التام ذلك المنزلَ المشتعل قبل أن تنظر تلك الفتاة الصغيرة حولها في برود إلى جثث عائلتها بعد أن أتمت مهمتها الصعبة أخذت تنظر فترة طويلة إلى ملابسها ويديها اللتين غطتهما الدماء قبل أن تجثوَ على ركبتيها عندما سمعت صراخَ الناس المجتمعين بالخارج، والذين أرادوا أن ينقذوا مَنْ بداخل المنزل مِنْ ذلك الحريق المشتعل، ولكن قد فات الآوان فهذا هو عالمها الآن.

تنظر في ألم إلى سكينها الصغيرة؛ لأنها تعلم أنه ما زالت هناك وظيفة أخرى لا بد أن تفعلها.. وظيفة لا مفر لها منها وهي الأصعب على الإطلاق، وهي أن تأخذ روحها لترسلها إلى الجحيم مع بقية عائلتها حيث تنتمي.. وبدون أي تفكير تغرز تلك الفتاة الصغيرة سكينها بسرعة وبقوة في صدرها لتغرق في بحر من دمائها.. وعندما يتم إخماد الحريق، ويدخل الناس ليرؤ تلك العائلة التي احترقت جثثها بالكامل ما عدا تلك الفتاة الصغيرة التي بقيت جثتها سالمة يقفون عاجزين عن تفسير ما حدث.

ينهي الكاتبُ روايته بسرد النظريات التي قالها الناس عما حدث بذلك المنزل، والتي أشهرها أنه أحد القتلة المصابين بأحد الأمراض النفسية قد قام بقتل جميع أفراد العائلة، ثم قام وأوصد الباب جيداً لتحترق جثثهم وبالتالي لن يستطيع أحدٌ إكتشافه.. أحد ألغاز الجرائم الكاملة التي تقيّد في النهاية ضد مجهول..

ولكن الشئ الأكيد أن أحدا لم يعرف الحقيقة الكاملة عما حدث بالفعل، ويختم الكاتب قصته ذاكرةً بأن تلك الرواية مستوحاة من قصة واقعية ولكنها بالتأكيد أقرب إلى الخيال.

هذه هي القصة التي هزت الكثير من المراهقين في زمنه، والتي ابتعد كاتبها بعدها عن عشاقه واعتزل الكتابة.. هذه هي القصة التي لمست قلب ستيفن وجعلته يبكي يوماً عندما وصل إلى نهايتها، ربما لأنها مشابهة لقصة حياته نوعاً ما، وإن لم تكن بهذه الدرجة من اليأس.. إذًا ماذا لو أن أحد المعجبين قد كتب القصة مرة أخرى بأسلوب مشابه في مفكرة سوداء؟!.. هل هذا يسبب أي مشكلة لستيفن؟!

لا.. ولكن المشكلة الحقيقية أن المفكرة تحتوي على القصة نفسها مكررة مرتين بطريقة غريبة.. فكل صفحة كتبت فيها جزء من أحداث القصة أمامها صفحة أخرى، يبدو وكأنها ألصقت بغراء بسيط والذي يستعمل في لصق الأوراق الملونة، وهكذا إلى نهاية المفكرة، وذلك الورق الملصق يبدو عليه القِدم الشديد حيث قد شابه الاصفرار واهترأت أطرافه، لذا من المحتمل أن يكون كاتبها قد سردها على هذه الأوراق قبل ذلك المؤلف المشهور بوقت طويل، هذا بالإضافة إلى أسلوبه المبتذل والأخطاء اللغوية المتعددة التي صادفته أثناء قراءته لتلك الأوراق تُشعره أن مَنْ كتبها أمي أو غير متمكن من اللغة الإنجليزية وليس مُلمًا بقواعدها وبالكاد يعرف كيف يكتب؟!

وإن لم يكن هذا غريبًا بما يكفي، فالشئ الذي أثار حيرة ستيفن وزاد من غرابة الأمر هو عدم إكمال ذلك المعجب لتلك القصة التي خطها، وليس هو فقط بل كذلك الشخص الغامض والذي سرد تلك الرواية بخطوط سيئة وبلغة رديئة هزيلة على أوراق يعود عمرها إلى عشرات السنين!!.. شئ غريب ألا يكمل أي منهما روايته.. شئ غريب حقًا!!

ولكن ما الغريب في ذلك؟!.. توارد الخواطر جائز وقد يحدث، ففي بعض الأحيان أنت تكتب فكرة اليوم لتجد من نشرها مسبقًا ولكن لماذا؟!.. لماذا لم يكمل ذلك المعجب سرد روايته؟!.. بل كيف توصل لتلك الأوراق القديمة من الأساس.. لماذا؟!.. لماذا يتكبد كل ذلك العناء ولا يكمل سرد قصته إلي نهايتها؟!

وليس هذا فقط ما جذب انتباه ستيفن.. فقط جذب انتباهه أيضًا تلك الاختلافات الواضحة في الأحداث بين النسختين المسرودين بالمفكرة السوداء وكذلك بينها وبين الرواية الأصلية المنشورة، فالرواية الأقدم حسب قدم الصفحات من منظور ستيفن والتي هي عبارة عن أوراق ملصقة على أوراق المفكرة السوداء والتي كُتبت بأسلوب مبتذل توضح وبشدة قهلك تلك الكراهية الشديدة من طفلة عمياء تجاه عائلتها.. عمياء!!

تقبل ستيفن ذلك الاختلاف على مضض - خاصة مع معرفته لما حدث لتلك الأسرة على يد تلك الطفلة الصغيرة - بعد إدراكه أن تلك الرواية غير منتهية، مما يدل على أن

هناك شيئاً ما خاطئاً بأحداث تلك الرواية منذ البداية.

تذكر تلك الرواية أيضًا أن الفتاة تضر الحقد والكراهية التامة لجميع عائلتها ما عدا أباه، حيث تذكر أيضًا أن أباه كاد يرحل عنهم في يوم من الأيام لولا توسل الطفلة إليه وتمسكها به، فقوة الرابطة بين الطفلة وأبيها تفوق تلك التي بينها وبين أمها أو أي من أفراد عائلتها، لقد أحببت الطفلة أباه بجنون، أحبته حبًا يفوق وصف أي حب ذكر بأي رواية.

أما بالنسبة للرواية الحاصلة على الدرجة الثانية في الترتيب فهي القصة الأصلية من منظور ستيفن والتي حصل عليها من صديقه وقد استرجع أحداثها في البداية، ولكن القصة ذات المرتبة الأخيرة والتي خُطت بيد المعجب هي التي أثارت حيرة واهتمام ستيفن، فهي تحتوي على نفس البداية ونفس الانحلال الأخلاقي والاقتصادي الذي تمر به عائلتها، ونفس الطريق المهين الذي يسلكه كل فرد من أفراد أسرتها ولكن الأب غير موجود!!

- نعم هنا يكمن اللغز.

قالها ستيفن بصوت هادئ محدثًا نفسه:

- لماذا؟؟.. لماذا أراد ذلك المعجب أن يلغي وجود الأب منذ البداية ليجعل الأخ الأكبر يأخذه دوره؟؟.. دور حقيير جعلها تكرهه، جعلها تمقتة.. لماذا أخفى الشئ الوحيد الجيد في

حياتها؟؟.. ولماذا حين استبدله تم تغييره بأخر سيئ؟؟.. ولماذا لم يُنه قصته وتركها مهملة بقبو المنزل؟؟.. هذا الفعل ليس من اجل التسلية، لقد أراد ذلك المعجب إثبات أمر ما، لقد تكلف الكثير من العناء ليصل لمثل تلك الأوراق البالية، وهذا يدل على أن الأمر مهمٌ بالتأكيد بالنسبة له.. إذاً لماذا لم يتكبد عناء أخذها معه؟؟.. لِمَ لم يكملها حتي النهاية.. وإن كان الأمر مجرد تدريبٍ على الكتابة، لماذا لجأ لإحضار أوراق قديمة بالية مثل تلك؟؟

أسئلة كثيرة بلا إجابة.. أسئلة كثيرة تفرض نفسها أمامه عندما يلتفت بعينه إلى تلك المفكرة السوداء قبل أن يبعد نظريه عنها متأملاً خلال نافذة غرفة مكتبه السماء حيث تلك السحب السوداء المتكتلة أمام ذلك القمر المكتمل والذي يحاول ضوؤه جاهداً اختراقها بلا فائدة.. أسئلة كثيرة تشوّش عليه الرؤية، وتمنعه عن التركيز على السؤال الأكثر أهميةً وغموضاً.

سؤال واحد يشملهم جميعاً، وبإجابته تتم إجابة معظم الأسئلة إن لم يكن جميعها.. لماذا هي؟؟.. لماذا اختارها هي بالأخص؟؟.. لماذا أراد قصةً تدور عن تلك الشخصية بالتحديد؟!

لقد وجد ستيفن أن تلك الأوراق البالية لم تذكر اسم أي فتاة أو تحدد أي شخص معين بصفة أو باسمٍ معين، بل على النقيض التام تلك الفتاة المذكورة تختلف في صفاتها عندما يريد المعجب وصفه أو ما ذكره المؤلف المشهور.. تختلف

وبشدة عن تلك الفتاة التي استطاع المؤلف بها أن يلمس أعماق أرجاء قلبه ليهزه في عنف.. تختلف عن تلك الفتاة التي دمعت عيناه لنهايتها الأليمة.. إنها عمياء على نقيض تلك الفتاة التي أبصرت أمورا لأكثر البالغين حكمة في زمنها لم ولن يستطيعوا إدراكها.. قصتها غير منتهية على نقيض فتاته فقد أدركت نهايتها مبكراً.. ولكنه على الرغم من ذلك يعلم أن حكمه عليها ليس كاملاً، حيث إنه لم يكمل قراءة تلك الأوراق البالية إلى نهايتها حتي وإن كان يعلم أن الرواية غير مكتملة.. كذلك رواية ذلك المعجب التي تتفوق على مثيلاتها في تناقض الأحداث.. هناك شئ مريب فيما أراد أن يثبتته.. شئ غامض.. الفتيات الثلاث يختلفن في أمور عدة، ولكنهن متطابقات في المظهر فقط.. أطفال، نحيلات، يرتدين ملابس سوداء رثة ممزقة في أكثر من بقعة، غير ذلك فمن الممكن أن يختلفن تماماً في أمور حياتهن، ومن الممكن أيضاً أن يختلفن في الأمور المتعلقة بنهايتهن.. ولكن هذا لا يجيب عن السؤال الذي لا يزال يعصف بعقل ستيفن.

- لماذا أرادوا جميعاً أن تتمحور روايتهم حول تلك الشخصية؟!.. لِمَ تلك الشخصية بالتحديد؟!

قالها ستيفن محدثاً نفسه في غرابة:

- إنها بالتأكيد أكثر فتاةٍ بؤساً قد قرأ عنها، إن لم تكن الوحيدة لأنه لم يقرأ قبلها أو بعدها شيئاً.. لكن هذا ليس يعني أنها الأكثر بؤساً على الإطلاق.. فقط لماذا هي؟!



كان الساحل غيرَ مزدحم هذه المرة.. أجمل أيام حياته تسجل الآن بعد أن أخذ بلاي تلك الصورة له مع عائلته جميعًا والتي كانوا فيها في غاية السعادة لدرجة أنه تمنى ألا ينتهي هذا اليوم أبدًا.. الجميع سعداء بعد أن غمرتهم تلك المياه الباردة، وبعد أن تشابكوا بأيديهم بداخل مياه البحر وقاموا باللعب لمدة ساعة حتي أنهكهم التعب، ولكن هذا القلب السعيد لطفل يبلغ الاثني عشر عامًا من العمر لم يُرهق أبدًا.

كان مستلقيًا على رمال الشاطئ عندما لاحظ اختفاء جميع عائلته، وليسوا هُـم فقط بل وجميع مَن على الشاطئ أيضًا.. إنه الآن وحيد تمامًا ومترّك لمخاوفه.. جرى هنا وهناك أملًا أن يجد أحدًا ولكن لم يجد أي شخص.. جثا على ركبتيه، وبدأت الدموع تظهر في عينيه، وكاد يجهش بالبكاء لولا أنه لاحظها تجلس بعيدًا وتلعب بالرمال مرتديةً ذلك الفستان الأسود البالي.

يجري إليها عندما يراها تقف فرحةً ملوَّحةً إليه بأن يأتي فينظر إلى شعرها الأصفر الذي يحركه نسيم البحر لينسال معه وبمجرد أن يقترب منها يسألها:

- ليز.. كيف أتيتِ إلى هنا؟؟

فتبتسم وتجيبه قائلة:

- أنا في أي مكان تحتاجني فيه يا أبي.

فنظر إليها وقد داعبت تلك الابتسامة شفثيه وقد احمرت وجنتاه، ثم رآها تبسط يدها قائلة:

- دعنا نلعب معًا بتلك الرمال..

كاد أن يمسك بيدها لولا رؤيته لعينيها السوداوين عندما نظر إليهما مما جعله يتراجع خطوة للخلف قائلاً في قلق:

- أنتِ لستِ ليز..

كانت الابتسامة ما تزال على شفثيها عندما قالت في هدوء:

- ربما ولكنني ابنتك..

ثم بدأ شعرها الأصفر يفقد لونه ليتحول إلى اللون الأسود، وأحاطت يداها وجهه بسرعة قبل أن يبدأ شعرها الأسود في الانسدال على وجهها وهي تكمل:

- فإن لم أكن ابنتك فمنَ أكون؟؟ ها... أبي منَ أكون؟؟

كانت عيناها السوداوان قد بدأ بياضهما في الاحمرار وكان شعرها قد انسدل على وجهها ليغطي معظمه فيما عدا عيناها اليمنى التي بدأت تسيل منها تلك الدموع الحمراء بقوة... لا بل كانت تسيل دماً... في حين بدأ وجهها في الاقتراب من وجهه وقد أبدي الآخر استسلاماً تاماً بعد أن سيطر الخوف

والفزع على عقله وقلبه لتشل حركة جسده وليسمعها فقط
تقول بصوت يزداد علوًا شيئًا فشيئًا قبل أن يستحيل صراخًا:
- مَنْ أكون يا.. أبي؟!



سرعانَ ما استيقظ ستيفن على صوت ليز التي كانت
تصيح بصوت عالٍ:
- أبي.. أبي..

فارتج في خوف عندما فتح عينيه مما جعلها تتراجع في
قلق قائلة:

- إنه أنا ليز.. لقد كنتَ تعاني من كابوس وأنت نائم..

نظر إليها في صدمة محاولاً أن يستوعب ما يحدث حوله،
ثم ضغط بكلتا يديه على رأسه المتألمة ليسألها:

- كم الساعة الآن؟؟

فأجابته في هدوء:

- إنها السادسة والنصف.. لحسن حظك أني استيقظتُ
بسبب ذلك المنبّه ذي الصوت الشنيع الخاص بك.. ولكن
أخبرني لماذا أنت نائم على المكتب؟؟

نظر ستيفن حوله بعد أن فرك عينيه جيدًا للتخلص من
تلك الغمامة التي تشوّش رؤيته.. ليرى تلك المكتبة عن
يمينه، ولينظر إلى المكتب أمامه حيث كانت المفكرة السوداء

مفتوحةً على مصراعيها وكذلك الرواية الأصلية وبأسفلهما تلك الورقة والتي غفا عليها، وهنا تذكّر أنه كان يحاول أن يدوّن تلك الاختلافات التي اكتشفها في ورقة خارجية لاكتشاف أسبابها لاحقاً.

- الساعة السادسة والنصف !!.. لماذا لم توقظيني مبكراً إذًا؟! أين كنتِ لمدة نصف ساعة؟!

سألها ستيفن في دهشة بعيون نصف مفتوحة ما يزال النعاس يداعبها ليجد ذلك الاحمرارَ يتسرب إلى وجنتي ليز التي تقدمت خطوتين بالقرب منه بدون أن تجيبه واكتفت بالصمت بديلاً، مما جعله ينظر إليها في تعجب سائلاً:

- هل كنتِ بجواري؟!.. هل كنتِ بجواري لنصف ساعة؟!

- لا.. لقد كنتُ بجوارك لعشر دقائق فقط.

نظر إليها ستيفن باتسامة بسيطة تداعب شفثيه قبل أن تمتد يده اليمنى لتلمس خدها والذي ازداد احمراره قائلاً بصوت ينبع بحنان لم ينضب قط:

- من المفترض أن أقوم أنا بهذا.. وليس العكس.

- لديك عُذرك هذه المرة.. لكن المرة القادمة أنت من سيوقظني.

قالتها ليز مازحةً مع أبيها قبل أن تعود يده لتمسك برأسه مرة أخرى بسبب ذلك الألم الذي اشتد بها للتو مما

جعلها تسأله في قلق:

- هل أنت على مايرام ؟!

- نعم.. نعم.. فقط صدام طفيف.

نعم صدام طفيف يعصف برأسه ويثير بها الآلام، ولكن ستيفن ليس من عاداته أن يثير قلق أطفاله أو أي أحد تجاهه، ليس من عاداته أن يُظهر ضعفه أو أن يكون بحاجة إلى مساعدة أحد، عيبٌ سيئ لكنه لم يستطع التخلص منه يومًا، ليس من محبي الاستعراض أو التفاخر بالقوة أمام أحد، وليس من محبي إيذاء الضعفاء أيضًا حتي يُظهر أمام مشاهديه مدى ضخامته ومدى قدرته.. كل ما في الأمر أنه لا يحب أن يكون ضعيفًا أو أن يراه أي شخص بتلك الصورة ولو للحظة.

سرعان ما يقف على قدميه متجهًا إلى المطبخ وقد تبعته ليز سائلًا إيّاها:

- الغريب في الأمر أن جين لم تستيقظ بعد.. غرفتها بجانب غرفتي مباشرة.. لقد استطاع ذلك المنبّه إيقاظك.. إذا لم تستيقظ بعد؟

هزّت كتفيها في حيرة، فاكتفى بذلك إجابةً منها قبل أن يطلب منها مساعدته في إعداد الافطار، فأجابت مطلبه بابتسامة بسيطة وهي تنطلق نحوه في سعادة بالغة كأنها على وشك المشاركة في حدثٍ عظيم.

لطالما تساءل ستيفن عن سبب ندرة كلام ليز.. كان هذا - وما يزال - يقلقه كثيرًا عندما كانت صغيرة، لكن الكثير من أصدقائه وحتى سيلينا كانوا يهدئونه ويخبرونه دائمًا أن كل مخاوفه ستتلاشى، وأن صمتها سيزول بمجرد أن تقابل أطفالاً مثلها.. كل مخاوفه ستتلاشي وصمتها سيزول بمجرد أن تخرج للمجتمع وتتصادم معه، ولكن في الواقع هذا لم يحدث قط.. لقد استمرت في صمتها وقتاً طويلاً حتى بعد دخولها للمدرسة.. لطالما أقلقه ذلك ولكن مخاوفه قد قلت تدريجيًا عندما تخطت سن السابعة ولكنها لم تتلاش تمامًا لأنها تكاد تكون دائمًا صامتة إلا معه!!

فقط معه تتحدث.. فقط معه تضحك.. فقط معه يستطيع أن يتبين تلك الآليّ البيضاء داخل فمها.. ولكن على الأقل في النهاية تكلمت!!

من الجيد أنها تتشاجر مع أختها الكبرى من وقت لآخر.. من الجيد أنها تنفعل من وقت لآخر.. من الجيد أنها تُظهر طبيعتها البشرية من وقتٍ لآخر!!

يربّت على رأسها في عطف قبل أن يتركها ليتابع أسلوب حياته اليومي من أخذ حمامٍ إلى إعداد أطعمتها، ثم يتجه إلى عمله بعد توصيل أختها الكبرى جين إلى مدرستها، ثم ها هو يجلس مجددًا أمام مكتبٍ خشبي صغير بغرفة ضيقة بشركة ليس لها أي أهمية بالنسبة له، ولكنها توفر له عملاً بمرتب مادي مناسب إلى حد ما.

وسرعان ما يجد يومه ينتهي بعودته خلال ذلك الطريق الهادئ إلى منزله.. طريق تملأ الأشجارُ جانبيه مع بضعة مبانٍ صغيرة وقليلٍ جدًا من المنازل السكنية لأناسٍ يحلمون بتلك الفرصة التي تأتي لتمكّنهم من مغادرة تلك المدينة اللعينة حيث تلك المدن الكبرى.. حيث فرص العمل العالية.. حيث الحياة.. كيف يعلم هذا؟!

لأنه كان فردًا منهم.. إنه لا يقصد ريتواسن بالتأكيد.. بل يقصد تلك المدينة الصغيرة التي نشأ بها، مدينة باردة صغيرة بولاية مينيسوتا تدعى كريوتس، ليست الحياة بها مستحيلة ولكنها قاسية ومؤلمة في حالة ستيفن.

يشعر ستيفن بتلك العرشة تتمكن من يديه مجددًا مما جعله يتوقف بسيارته بالقرب منها.. غابة صغيرة يمر بجانبها كل يوم أثناء ذهابه إلى العمل.. غابة تتداعي أطرافها مع ارتقاء البشرية نحو التقدم والحضارة حتي تفنى قريبًا.

غابة ذات أشجار شاهقة الارتفاع.. ذات أشجار غزيرة الأوراق.. غابة تجذبه برائحتها وتدعوه للقدوم.

الشمس تميل للغروب ومن المفترض الآن أن يكون في منزله، الإرهاق والتعب يغريانه بسرير دافئ ونوم هانئ بانتظاره هناك أيضًا.. ولكن لِمَ لا؟!.. لِمَ لا يجدد نشاط جسده الدموي ببعض الحركة، لِمَ لا يدع أنفه تداعبه رائحة تلك التربة الرطبة الخاصة بها.. لِمَ لا؟!.. لطالما تهته زوجته عن الذهاب إليها مثل طفلٍ صغير، لطالما خشيت عليه منها!!

غابة ليست ببعيدةٍ عنه حين يخرج من سيارته، يفصل بينه وبينها جسر خشبي يقع أعلى جدول ماء صغير لا يتعدى عرضه خمسة أمتار.. جسر خشبي ينتقل عبْرَه في هدوء إلى أطرافها ذاتِ الرائحة النفاذة.

يبدو عليه التردد في البداية حيث إن زوجته لم تنهه وتترجاه ألا يذهب إليها من أجل إبداء قوة سلطتها بالمنزل، وليس من أجل فرض تحكمها به، بل لأنها تعلم أن تلك الغابة ستعيد إليه ذكرياتِ الماضي، ذكريات قاسية ومؤلمة، ذكريات ستمر أمام عينيه مثلما يحدث الآن لطفولته التي قضاها في غابة مماثلة بالقرب من منزله.

تتقدم قدماه خطوةً تلوَ الأخرى إلى تلك الأرض ذات التربة الرطبة البنية اللون والتي تغطي بعض بقاعها أوراقٌ صفراء جافة ذابلة لبعض الأشجار المحتضرة، والتي تعاني في صمت، تنتظر مَنْ يخلصها مِنْ ألمها مثل تلك التي حررها يومًا عندما كان صغيرًا.. تتقدم قدماه خطوةً تلوَ أخرى تجاه ذلك الظلام الذي بدأ يرخي أجنحته بأرجاء تلك الغابة الصامتة.. تتقدم قدماه خطوة تلوَ أخرى تجاه ذلك الضباب البارد والذي بدأ ينتشر للتو معطيًا تلك الغابة طابعًا مهيبًا.. الطقس يزداد برودة مع كل خطوة يتعمق بها.. الذكريات تستحيل حقيقةً مِنْ الممكن لمسها، ولا يفصل بينه وبينها سوى ذلك الحاجز الكريستالي للواقع.

لا يحب الكثيرُ مِنَ الانجرافِ وراء خطوات الماضي خاصةً

إذا كان أليماً ولكن على الرغم من ذلك فكثيرٌ منا لا ينكر
اندهاشه لأفعاله وأرائه، مواقفه الحازمة، جرأته، لقوة صموده
بالماضي وكيف تنقصه في الحاضر.

تتملكنا الحيرةُ عندما نتعرض لمواقفٍ متشابهةٍ، ولكننا لا
نقوم بالاستجابة بنفس الرد أو الفعل خاصةً تجاه تلك الأمور
أو المواقف التي انتهت بالألم ثم تحولت إلى ذكرى لاحقاً..
ذكرى يحيطها الخوف من كل جانب.. ذكرى نخشي مواجهتها
مجدداً.

فقط الأطفالُ مَنْ يملكون تلك القدرةَ على مواجهة مثل
تلك الأمور مراراً وتكراراً، يملكون الشجاعةَ لمواجهة ذلك
الخوف لعدد لا يحصى من المرات.. فقط ستيفن عندما كان
صغيراً كان يفعل ذلك.. فقط ستيفن الصغير مَنْ كان يمشي
وحيداً في غابة كالتّي يتعمق فيها الآن.. فقط ستيفن الصغير
مَنْ جرؤَ على بناء بيت خشبي صغير على شجرة عالية
كالتّي تحيط به الآن.

إنه يخشي تسلق إحدى هذه الأشجار الآن على الرغم من
طول قامته وقوة بنيانه.. يخشي أن تنتهي محاولته بالسقوط..
ويخشى أن ينتهي سقوطه بتعرضه للألم.. يخشي رؤية نفسه
يتحطم مرة أخرى.. فقط ذلك الصغير مَنْ تسلق تلك
الأشجار.. فقط ذلك الصغير مَنْ سقط وتعرض للألم وتحطم
مراراً، لكنه سرعان ما يقف على قدميه مجدداً مثلما يراه
الآن كأنه حقيقة، ينفذ تلك الأوراق الذابلة عن قدميه لينظر

في غضبٍ وألمٍ إلى تلك الشجرة عالية الأطراف التي سقط من عليها للتو قبل أن يعاود بعد قليل محاولته.

تحرك ستيفن في بطءٍ مبعداً عينيه عن تلك الذكرى ليتبع أخرى تقوده لأعماق تلك الغابة في صمت، ذكرى له عندما كان صغيراً يبكي إثر فعله شيئاً أثار آلاماً شديدة في قلبه.. أثار ندوباً كثيرة في صدره لجراح داوتها الأيام في بطءٍ وألمٍ.

من السهل على الكبار أو البالغين فعلُ أشياءٍ عديدةٍ بالنسبة لهم منطقية.. منطقية.. كلمة نستخدمها كثيراً لنبرر أفعالاً وأقوالاً قد يسود معظمها الخطأ، لكننا نقولها لنزيل أي شبهاتٍ أو عقباتٍ أو آلامٍ لضمائرنا إذا استيقظت.. لكن الأطفال.. عقولهم تعمل بطريقة مختلفة، قلوبهم صادقة لا تتحمل الكذب، إنهم يكرهون شيئاً واحداً فقط.. الخوف.. يعلمون - بفطرتهم بالطبع - أن ذلك الشعور يزيّف حقائق الكثير من الأشياء، يعلمون أن ذلك الشعور يعوقهم ويقف حاجزاً أمامهم، مانعاً إياهم عن فهم الكثير من الأشياء.. مانعاً إياهم عن تحقيق الكثير من الأشياء.. أشياء تسعدهم.. أشياء لا تعوّض مع مرور الوقت.

تجذبه ذكريات الماضي للمضي قُدماً في تلك الغابة المتداعية الأطراف.. تجذبه تلك الطفولة والمتمثلة في ذلك الصغير الذي يتقدم أمامه في تلك الغابة.. يجذبه ذلك السراب بالاستمرار في المضي.

هذا ما نهته عنه زوجته، هذا ما تريد أن تنقذه منه،

هذا ما تريد أن تنتشله منه.. بئر تلك الذكريات والتي تدفعه للمُضي إلى حيث كان سيدمر نفسه مسبقاً.. تدفعه للمُضي لتلك الأوهام التي لم يعد لها وجود سوى بعقله.

قد يكون الخوف عائقاً أمام الأطفال، ولكنهم على الأقل يعترفون بوجوده.. يعترفون بعجزهم.. يعترفون بألمهم.. يعترفون برغبتهم في الحصول على مساعدة.. لكن البالغين - معظمهم - مثل ستيفن يمقتون الخوف، يكرهون الضعف أو أن يكونوا عاجزين، تثير سخريتهم مَنْ يعترف بخوفه وضعفه إن لم يكن طفلاً، يرون حماقة كبيرة حين لا يستطيع بالغٌ التغلب على خوفه.. يرونه.. ليس بالغاً!!

كلما تقدّم بنا العمر نرى أننا نزداد حكمة، ولكن الواقع يثبت عكس ذلك..

كلما تقدّم بنا العمر نرى أننا نزداد قوة، ولكن الشيخوخة تنكر ذلك..

كلما تقدّم بنا العمر نرى أننا نزداد شجاعة ولكن انتظر حتي ندرك ما بإمكاننا فقده ليتمكن منا خوفٌ من الصعب ردعه.. خوف يتناوب مجيئه إلينا في تلك اللحظات التي نرى بها ابتسامة أطفالنا أو نجاح أعمالنا.. خوف الفقدان.. خوف أن يتلاشى ما حققته أيدينا.. خوف أن يأتي ما يزيل ما تقرُّ به أعيننا.. خوف أن يقف أمامنا عائق من الصعب إزالته.. خوف تتنوع أسبابه وعواقبه.. لكنه في النهاية خوف.. خوف نرى أنه من الضعف أن نعرف به على عكس ما كنا أطفالاً.

يتوقف أخيراً بعد رؤيتها.. شجرةً عجوزٍ تحتضر قد جف
لحاؤها وقد تكسرت بعض أغصانها.. شجرةً عجوزٍ عارية
بعد أن تساقطت من عليها كل أوراقها.. شجرةً عجوزٍ وحيدة
تنبذها باقي الأشجار ولا تحيطها سوى تلك الأوراق الصفراء
الذابلة.. شجرةً عجوزٍ قد جفت تربتها لتحيطها أرضٌ قاسية
من الصعب لها أن تعيش.. شجرةً مثله تخلي عنها الجميع
وتنتظر الموت في ألم.. شجرةً عجوزٍ مجرد النظر إليها يثير
الحزن والألم بداخل النفس.. شجرةً عجوزٍ تحطمت آمالها
وتهاوت أركانها منتظرةً مَنْ يخلصها من ذلك المصير البائس
مثلما كان يومًا.

لقد مشى مسافةً طويلةً في تلك الغابة.. أول مرةٍ يسير
فيها.. أول مرةٍ يرى فيها تلك الشجرة، لكن على الرغم من
ذلك فقد شعر أنها مألوفةٌ لديه للغاية، كأنه عاش معها
وقتا طويلا.. كأنه تسلق أغصانها وقضى عليها معظم أوقاته.

لكن هذا الشعور لم يراوده تجاهها فقط، بل كان يراوده
منذ اللحظة الأولى التي جاء فيها تلك الغابة، ولا ينكر أيضًا أن
شعورًا بالحدز والخوف قد بدأ يتمكن منه للتو، إنه يشعر
أن هناك شيئًا ما يراقبه.

تتمكن من شفثيه ابتسامةً بسيطةً حين يتذكر أن ذلك
الشعور بالخوف راوده أيضًا حين ذهابه لأول مرة لتلك الغابة
القريبة من منزله عندما كان صغيرًا.

يتغلب على ذلك الخوف الذي انطلق جامحًا ممسكًا بزمام

قلبه الهائج.. يتغلب على تلك الأوهام والذكريات التي بدأت بالظهور واحدةً تلو الأخرى أمامه، ذكريات تمثلت في أشخاص استحالت حياته معهم إلى جحيمٍ مطبق، أشخاص ظهروا أمامه بلا توقف.. أوهام من الماضي حقيقة هو فقط يراها.. أوهام من الماضي يتجاهلها.. أوهام من الماضي فرضت نفسها عليه.. أوهام تتلاشى مع مرور الوقت.. تتلاشى مع كل لحظة تمر ومع كل ثانية عيناه تغلقان وتفتحان فيها مجددًا حتي لم يعد يتبقي منهم إلا شخص واحد، لقد اعتاد وجودهم، اعتاد رؤيتهم يظهرون ويختفون عندما يتحاشى النظر إليهم إلا ذلك الشخص.. أبوه.. ذلك الشخص المتسبب الرئيسي - من وجهة نظره - في كل ما يحدث له وفي كل ما يراه من ألم.

يتراجع للخلف حتي يسند ظهره إلى تلك الشجرة البائسة ناظرًا إليه في حقد وغضب.. وخوف.. يغمض عينيه ويفتحهما عدة مرات ولكن ذلك العجوز يأبى تركه وشأنه.. يأبى أن يجعله مثل بقية أوهامه طي النسيان.

يغمض عينيه في قوة ثم يدع صرخةً مدوية تشتعل بذلك الغضب المضرم ب صدره تنطلق إلى عنان السماء، وليتردد صداها بأنحاء تلك الغابة التي بدأت تنتشر بها الظلال نتيجةً لغروب الشمس قبل أن يفتح عينيه مجددًا حيث لم يعد له وجود.. حيث التحق برفاقه في خياله.. حيث ينتظر الفرصة مجددًا والتي يفرج فيها عقل ستيفن عنه ليمثل له من جديد كما فعل من قبل.. كما يفعل دومًا.

يتنفس ستيفن الصعداء قبل أن يدع قدميه تنزلقان
ليسقط في بئر أحزانه مجدداً وليجلس بجانب تلك الشجرة
المحتضرة متمنياً أمراً واحداً.. أمراً تمناه منذ وقت طويل، بل
منذ بدأ عقله إدراك واقعِهِ

يتنفس الصعداء ناظراً لتلك السماء التي بدأ الظلام
اجتياحها منذرةً إياه بالرحيل قبل ازدياد برودة المكان
من حوله مما جعله يتغلب على ضعفه ليقف مجدداً -
كما يفعل دومًا - منطلقاً إلى مكان به يجد بعض الأمان
والاستقرار، وقليلًا من السعادة.. منزله



كان يندفع ببطء نتيجةً لجذبها له تجاه غرفتها مما جعله
ينساق معها رغم إرادته، تركته أمام باب غرفتها ثم اندفعت
إلى صندوق كرتوني أخذت تعبث بمحتوياته، غرفتها المظلمة
جعلتها تطلب منه أن يقف بدون حراك.. جعلتها تترجاه ألا
يغادر حتي تُريه شيئاً كان إيجاده أمراً مستحيلاً، خوفها من
الظلام دفعه ليمزح معها معلناً رحيله في أي وقت، وكان هذا
يثير انزعاجها وبشدة.

كانت تردد في غضب شديد:

- أقسم أني وجدتها.. ولكنني لا أعلم أين وضعتها مجدداً.

- سوف أرحل الآن وسأراها لاحقاً عندما تجدينها.. أنتِ
تعلمين أني مشغول جداً ولن أستطيع الانتظار.

- فقط انتظر أرجوك.. أرجوك دقيقة أخرى فقط.

أجابها بابتسامةٍ بسيطةٍ عندما رأى هرولتها مجيئًا وذهابًا في أنحاء الغرفة حتي استقرت وجهتها إلى سريرها حيث أزاحت ذلك الغطاء المدثر في عنف.. لتجدها أخيرًا

رواية قديمة بعنوان اللؤلؤة السوداء، كتاب أطفال اعتاد قراءته لها عندما كانت صغيرة قبل النوم، لقد ضاع منهم منذ فترة طويلة لدرجة أنهم فقدوا أي أمل في إيجادها مجددًا، ولكنه اعتاد أن يحكي قصته إليها بدونه على أية حال حتي توقف عن فعل ذلك، وهي لم تسأله أن يكرر الأمر ولم تُرد أن تستمع إلى تلك القصة بدون ذلك الكتاب.

سرعان ما أشارت بيدها راجيةً منه أن يأتي إليها، وبابتسامةٍ هادئةٍ على شفثيها الصغيرتين أجبرته على الانصياع إلى مطلبها ليجلس بجانبها ممسكًا ذلك الكتاب في صمت

نظر إلى صفحاته مقلَّبًا إياها في سرعة قبل أن يقول في يأس:

- هل لا بد من قراءة هذا الكتاب الآن؟!

- إذا كنت لا تريد ذلك فيإمكاني قراءته بمفردي.

- أنا أقصد أنه بإمكانني أن اقصّ عليكِ أحداثه بدونه.

لكنها استلقت نائمة وقد أحاطت نفسها بذلك الغطاء المدثر حتي لا تعطيه أي فرصة للتراجع مما جعله يقول في

محاولة يائسة منه للهرب:

- أي فتاةٍ في التاسعة من عمرها ترغب في الاستماع إلى قصص قبل النوم.

لكنها مدت يدها لتفتح ذلك الكتاب بعد أن نفذ صبرها ناظرةً له في رجاء أن يقوم بما تطلبه منه.

مما جعله يتنهد في يأسٍ ليستلقي بجانبها واضعاً الكتابَ أمامها أيضًا لترى تلك الصور الملونة أثناء قراءته لها قائلاً بصوتٍ رخيم:

- في قديم العصر والزمان في مملكةٍ يغمرها الأمن والأمان.. كان يوجد ملك عادل استطاع بحكمته أن يكتسب حب شعبه.. واستطاع بشجاعته اكتساب ولاء كل فرسانه.. وطوال فترة عصره غُمِرَت مملكته بالحب والسلام..

وهنا حدّقت ليز في صورة وضعت بجانب كلمات الرواية لذلك الملك يجلس على ذلك العرش الخشبي الكبير وقد أحاط به خَدَمه وفرسانه وقد وقفت بجانبه ابنته الصغيرة قبل أن يقلب ستيفن تلك الصفحة في بطاء مكملًا:

- لكن هذا السلام لم يستمر لوقت طويل قبل أن يعودوا مجددًا..

ثم نظر إلي ابنته التي حدقت بتلك الصورة الماثلة أمامها في امتعاض لتلك الوحوش السوداء ذات العيون الدموية الحمراء مما جعله يميل إلى أدُنّها قائلاً بصوتٍ مخيف:

- الوحوش..

- توقّف عن هذا أرجوك.. فلقد كُبرْتُ على تلك الأشياء.

قالتها بصوت هادئ وقد قابلت عينيه بابتسامة ساخرة
قد ارتسمت على شفثيها الصغيرتين قبل أن يعود ليكمل في
حزم:

- لقد هاجمت تلك المخلوقات الشريرة قرى مملكته لتريق
الدماءَ ولتنشر الوباء والدمار بكل مكان.

ثم قلبَ ستيفن تلك الصفحة ليكمل قائلاً:

- ولتبدأ حربٌ كبيرة بينهم انتهت بهزيمة الملك وبإصابته
بجراح مميتة وباختطاف أميرته وموت الكثير من فرسانه.

ثم نظر مع ابنته إلى تلك الصورة المقابلة للكلمات حيث
انتشر الموتى في كل مكان، وحيث كان يرقد ذلك الملك على
الأرض وقد أحاطه أتباعه قبل أن يقلب الصفحة ويكمل:

- كان أمراً شاقاً على الأنفس خاصة حين أوصى ذلك الملك
قبل موته بثوانٍ معدودة بالقضاء على تلك الوحوش وإرجاع
أميرته الضائعة لعرشها التائه مجدداً قبل اكتمال القمر
ليصبح بدرًا.

ثم نظر ستيفن إلى ذلك الملك وقد اقتربت منيته وهو
يشير بيده اليمنى تجاه ذلك القمر المضى وقد اقتربت
حلقة المضیئة من الاكتمال قبل أن يكمل القراءة:

- وتُوفي الملك وانتشر الحزن والألم في كل مكان.. كان موت الملك مدمراً لأرواح الفرسان وقد بدأ اليأس يملك منهم تجاه هزيمة عدوهم وإنقاذ أميرتهم ولم يستمر الأمر كثيراً قبل أن يتراجع كل الفرسان، ولكنَّ واحداً فقط منهم تمسك بالأمر واندفع وحيداً وسط الغابات تجاه مهمته ليقاتلهم وحيداً ولينقذ أميرته.

ثم رأى ليز تقترب بأصابعها لتلمس تلك الصورة لذلك الفارس والذي كان يسير وحيداً وسط تلك الغابات المظلمة تجاه عدوه والذي يقدر بالآلاف قبل أن يقلب تلك الصفحة ليكمل في صوت هادئ:

- كان عجوزاً، طاعناً بالسن، ضعيفاً، سيلقي حتفه سريعاً، هكذا رآه رفاقه، وهكذا سخر منه عدوه، ولكن سرعة سيفه الذهبي كانت كفيلة بالإطاحة بالعديد منهم.

ترك ستيفن ليز تحدّق في ذلك الفارس ذي الدرع الذهبية لبضع ثوانٍ وقد انقضّت عليه العديد من الوحوش قبل أن يكمل قراءته:

- لقد قتل العديد منهم.. أصاب العديد منهم.. قام بإيلام العديد منهم حتى أجبر قائدَهم على الخروج له، لكنه كان أيضاً في حالة مزرية.. كانت قد أثخنه الجراح المنتشرة بجسده.. كان قد تحطمت درعه.. كان يجثو على إحدى ركبتيه عندما ظهر له أخيراً لتتلاقى أعينهم قبل أن يتصارعا في قتال دموي انتهى بإطاحة ذلك الفارس لرأس خصمه ليهرب جميع

مَنْ تَبَقَى مِنْ أَعْدَائِهِ، وَلِيَعِثْرَ بَعْدَهَا عَلَى أَمِيرَتِهِ الضَّائِعَةِ
وَلِيَعِيدَهَا إِلَى مَمْلَكَتِهَا مَجْدَدًا مُحَقَّقًا وَعَدَ مَلِكِهِ.

نَظَرَ سَتِيفَنَ إِلَى لِيْزَ ذَاتِ الْعَيْنَيْنِ نِصْفِ الْمَغْلُقَةِ فِي تَعْجَبٍ
وَقَدْ جَذَبَ انْتِبَاهَهَا صُورَةَ ذَلِكَ الْفَارِسِ الْمُمْسِكِ بِيَدِ أَمِيرَتِهِ
الصَّغِيرَةِ عَائِدًا بِهَا إِلَى مَمْلَكَتِهَا وَقَدْ أَحَاطَ بِهِمَا شَعْبُهُمُ الَّذِي
أَخَذَ يَنْثُرُ فَوْقَهُمُ الْوُرُودَ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ فِي هَدْوٍ:

-وَهْنَا تَنْتَهِي قِصَّتُنَا يَا عَزِيزَتِي بِقُبْلَةِ صَغِيرَةٍ.

ثُمَّ أَمَالَ رَأْسَهُ لِيَلْتَمَّ جَبِينُهَا وَلِيَقِفَ مُودِّعًا قَبْلَ أَنْ تَلُوحَ
فِي عَيْنَيْهَا نَظْرَةُ خَوْفٍ خَاصَّةٍ عِنْدَمَا أَطْفَأَ ضَوْءَ غُرْفَتِهَا مِمَّا
جَعَلَهُ يَجْلِسُ بِجَانِبِهَا لِيَرْبِتَ عَلَى رَأْسِهَا قَائِلًا:

- لَيْسَ هُنَاكَ أَيُّ دَاعٍ لِلْخَوْفِ يَا صَغِيرَتِي.. أَنْتِ تَعْلَمِينَ أَنَّنَا
جَمِيعًا بِالْقُرْبِ مِنْكَ.. فَقَطْ نَدَاءٌ وَاحِدٌ مِنْكَ وَسَأَكُونُ بِجَانِبِكَ.

لَكِنِّهَا أَشَاحَتْ بِوَجْهِهَا بَعِيدًا قَبْلَ أَنْ تَمْتَدَّ يَدُهُ لَتَعِيدَهُ
لِمُوَاجَهَتِهِ مَجْدَدًا نَازِرًا إِلَى هَاتَيْنِ الْعَيْنَيْنِ الْخَائِفَتَيْنِ وَذَلِكَ
الْوَجْهَ وَقَدْ تَمَلَّكَ مِنْ مَعَالِمِهِ الْقَلْقُ الشَّدِيدُ وَلَيْسَمَعَهَا تَقُولُ
بصوتٍ ضَعِيفٍ:

- أَنَا أَعْلَمُ أَنِّي أَخْبَرْتُكَ بِذَلِكَ كَثِيرًا.. وَأَعْلَمُ أَيْضًا أَنَّكَ سَتُخْبِرُنِي
بِأَنِّي مَخْطِئَةٌ وَكُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يَرَامُ.. وَأَنْ كُلَّ هَذَا مِنْ نَسْجِ
خَيَالِي وَلَكِنْ..

لَمْ يُعْطِ لَهَا سَتِيفَنُ الْفُرْصَةَ لِإِكْمَالِ حَدِيثِهَا، حَيْثُ وَقَفَ
فِي هَدْوٍ مُتَجَهًّا إِلَى تِلْكَ النَافِذَةِ الْقَرِيبَةِ مِنْ سَرِيرِهَا لِيَنْظُرَ

خلالها إلى ذلك المنزل القديم الخالي والمقابل له، في حين عادت ليز تكمل كلامها حين لم تجد من جانبه غير الصمت مجيئاً:

- هناك شخص ما في ذلك المنزل.. سوف تخبرني أنني أتوهم ذلك ولكني أعلم أنني رأيت شخصاً هناك يحدق بي.. شخص بداخله يقف في صمت ينظر إلى المنزل ويحدق بغرقتي.. أقسم أنني رأيته..

- ولكنك لم تتبينى هويته؟!..

لاذت بالصمت مما جعله يتحرك تجاهها ليجلس بجانبها مجدداً قائلاً في صوت رخيم:

- عزيزتي أنتِ تعلمين أنه لا يوجد أحد هناك.. فقط.. فقط عيناك تتوهمان ما تريدين أنتِ أن ترينه.. لقد تحدثنا في هذا الأمر كثيراً..

ثم امتدت يده لتلمس وجنتها مداعبةً إياها، ليكمل قائلاً:

- أنتِ تعلمين أن تلك الحادثة لن تتكرر مرة أخرى.. وتعلمين أيضاً أنني لن أسمح بذلك.. لقد كنتُ غير متواجد هناك، ولكنني الآن بجانبك.. وأنتِ تعلمين أنني لن أسمح لأحد أن يضع إصبعاً واحداً على ابنتي العزيزة.. ببساطة لن أسمح بذلك.

ثم سرعان ما امتدت سبابة يده اليمنى لتلمس جبهتها وهو يميل تجاهها ليقول بصوت جادٍ شابهُ بعض الحنان:

- لكن ما يحدث الآن أنا لا أستطيع إيقافه.. فقط أنتِ مَنْ تستطيعين ذلك.

اعتدل في ببطء تاركاً عينيها تنسابان بعيداً عن ناظريه.. تركها تفكر.. تركها تنظر وتحقق في ذلك الظلام الذي أسدل أجنحته بغرفتها وما يمنعه عن الانتشار بحرية هو أضواء مصابيح ذلك الممر المؤدي لغرفتها.. تركها تنظر إليه مجدداً حيث تلك الابتسامة البسيطة على شفثيه ليدوم صمتٌ بينهما لبضع ثوانٍ قبل أن يقطعه بجذبه لتلك الرواية مِنْ بين يديها ليشير إلى غلافها حيث ذلك الفارس الذهبي قائلاً:

- لقد اعتدتُ دائماً عندما كنت صغيراً مثلكِ أن أخشى ما يخفيه الظلام.. لكن هل تعلمين..؟ حتي الظلام به مَنْ يخاف منّا.

فحدقت به بعينين متسعيتين عن آخرهما لتسمعه يكمل:

- فقط علينا أن نتخيل الشئ المناسب لإخافته.. لكل وحشٍ فارسٌ قادر على ردعه.. بل قتله.. كما فعل ذلك الفارس مع تلك الوحوش من أجل إنقاذ أميرته.

ثم وضع ذلك الكتابَ جانباً قبل أن يضع كلتا يديه على عينيها في رفق مغطياً إياهما، ليكمل قائلاً:

- كل ما عليك هو تخيل ذلك الفارس القادر على إخافة مخاوفك.. القادر على إبقائها بعيداً في مخبأها.

صمت ستيفن أخيراً واضعاً كل الخيارات بيد ابنته.. صمتاً

أخفى تغير معالم وجهه التي بدا عليها التأثير الشديد واضحًا تجاه الكلمات التي قالها للتو لها كأنه قد قالها لنفسه.. كأنه لا يقولها من أجلها.. بل من أجله!!.. كأنه يقولها لنفسه التائه الخائفة، ولكنه سرعان ما انتبه لتلك الابتسامة التي ازدادت اتساعًا على شفيتها مما جعله يكمل:

- القادر على ردها جميعًا.. بحيث لا تكون قادرة على الظهور مجددًا.. تخيله يا ليز.

لكنه فُوجيء بها تسحب يديه بأصابعها الصغيرة الرقيقة بعيدًا عن عينيها مقاطعة إياه:

- لكني لست بحاجة لتخيله..

فنظر إليها في حيرة قبل أن يسمعها تكمل وقد امتدت يداها لتمسكا بيده اليمنى:

- إنه مائلٌ أمامي الآن!!



كان يمشي بخطوات بطيئة تجاه ذلك المنزل القديم المتهالك، بيت تركه أصحابه في حالة مزرية بلا عودة.

كان تأثير كلماتها ما يزال ساريًا على عقله وجسده، كان ما يزال مصدومًا ومترنحًا، لقد تركها دون أن يقول كلمة واحدة، فقط قَبَّلَ كلتا يديها وتركها، هذا كل ما استطاع الاستجابة به لكلماتها، وجهه المصدوم وعينه الجاحظتان بالتأكيد سيجلبان

لها الكوابيس اليوم!!

توقف أمام ذلك السياج والذي لا يتجاوز طوله المتر والذي يفصل بين فناءه الخلفي والفناء الخلفي للمنزل القديم المقابل.

هذا كل ما يفصل بينهما.. مجرد سياج متهاالك.. ينظر مجدداً إلى ذلك المنزل القديم المسكون بالصمت والمائل أمامه، ثم يأخذ نظرة سريعة إلى نافذة غرفة ابنته المطلّة عليه قبل أن يعود بناظريه إلى ذلك المنزل المتهاالك مجدداً. يتغلب بصعوبة على تلك الصدمة المتملّكة من عقله وجسده إثر كلمات ابنته قبل أن يتسلق ذلك السياج ويقفز فوقه إلى ذلك الفناء المهمل والجافة أعشابه ليستحيل لونها إلى اللون الأصفر.

يمشي فوق تلك الأرض القاسية والتي تبدو مألوفةً لديه بشدة كأنه مرّ عليها من قبل على الرغم من أن قدمه كانت أول مرة تطأها الآن.

هناك شيء مريب قي ذلك المنزل بالتأكيد ولكن ابنته تبالغ في الأمر فقط، فداًئماً ما ترى ليز أن هناك شيئاً ما بالظلام يتربص بها.. ينتظر تلك الفرصة التي ينقض فيها عليها.. تفكيرها ومخاوفها الطفولية شيء عادي بالنسبة له، لكن ما يخيفه شيء آخر.. بالتأكيد ليس هناك أي أحد بإمكانه التسلل إلى منزل كهذا بدون أن يلاحظ منه، ولو

استطاع الإفلات منه فلن يستطيع الهروب من أعين جيرانه.
يتذكرهم ستيفن فيولي ذلك المنزل ظهّره قبل أن يتأمل
نوافذ منازلهم المغلقة وقد غلفها الهدوء والظلام.. بالتأكيد
فَمَنْ سيظل مستيقظاً في تلك المدينة حتى الساعة الثانية
بعد منتصف الليل؟!.. مَنْ سيفعل ذلك غيره؟!

يعود مجدداً لفحص ذلك المنزل.. جوانبه.. نوافذه.. أبوابه
المغلقة بإحكام، وما يساعده على إتمام مهمته أن المنزلين
المجاورين له على كلا جانبيه خاليان من أي سُكان، فيحدّث
نفسه في هدوء:

- يبدو أن تلك المدينة مكروهةٌ بالفعل من قِبَل سُكانها،
ولكن هذا لا يجعل الأمر سهلاً فَمِنْ المستحيل أن يتسلل أحد
إلى منزل كهذا أيضاً بدون إصدار أي ضوضاء أو كسر إلا لو
كان لصاً بارعاً.

يَسخر مِنْ نفسه حين لا يجد أي شئ يستدعي القلق،
فقط مخاوف ابنته يبدو أنها إنتقلت إليه، لقد حاول كثيراً
أن يتبين ما بداخل المنزل، ولكن ذلك الزجاج المغطى بالأتربة
لنوافذ المنزل يعوقه عن ذلك.

تزداد تلك الابتسامة الساخرة اتساعاً على شفّتيه حين
يتذكر إخبار ابنته له عن وجود ذلك الشخص الوهمي
بداخل ذلك المنزل اللعين.. إنه ينظر خلال نوافذه الآن ولم
يستطع تبين أي شئ، حتي ولو كان مريباً فكيف استطاعت

هي أن ترى شخصًا بداخل ذلك المنزل من تلك المسافة البعيدة والعالية بغرفتها!!

كل ما يثير ربيته الآن هو تلك الرائحة الكريهة التي بدأت تسرب من إحدى النوافذ التي استطاع تحريكها وفتحها مسافة بسيطة لينظر خلالها وليتبين ما بداخل المنزل ولكن لا فائدة، الظلام الحالك بالداخل يعوقه عن رؤية أي شيء، حتي ضوء القمر والذي بدأ يسطع بالسماء لا يستطيع أن يتغلل داخل ذلك المنزل القديم القذر.

أغلق ستيفن تلك النافذة في سرعة، ووضع إحدى يديه على أنفه بعد أن تمكنت تلك الرائحة النتنة منه ليتراجع مبتعدًا عن ذلك المنزل متعللاً بأنها على الأرجح رائحة لحيوان ميّت تمكّن من الدخول إلى المنزل، لكنه بالتأكيد لم يستطع الخروج منه .

يكتفي بما رآه.. يكتفي بما توصل إليه ليترك ذلك المنزل القديم وليتجه عائداً إلى بيته قبل أن يلقي نظرة أخيرة إليه.. ثم يتسلق ذلك السياج في ببطء قبل أن يقف على فئائه.. وقبل أن يسمع همساً مختلطاً بأنين.

يتوقف ستيفن بعد أن تمكنت تلك الرعشة من جسده البارد، التفت إلى ذلك المنزل القديم مرة أخرى في ببطء، ليحدق به بعينين جاحظتين تمكّن منهما الخوف ليرهف السمع مرة أخرى.. يعلم أنه سمع شيئاً ما.. لكن الصمت هو ما يسود الآن، لا بد أن هناك خطباً ما به، فمخاوف ابنته

أصبحت بالفعل تملك منه.. ليس هناك أحد بالمنزل، لكنه يعلم أنه سمع أنينا لشخص ما.

يحبس أنفاسه داخل صدره، يُرهف السمع حوله، ولكنه لا يجد سوى الصمت مجيئاً، الهواء البارد المصطدم بأذنيه يؤكد ذلك، يتراجع إلى الخلف وعيناه لا تفارقان ذلك المنزل، إنه لا يريد أن يوليه ظهره بعد.

- أنت بالتأكيد تمزح.. إن كنت أنت من يقوم بهذه الأفعال الآن.. فما الذي تركته لابنتك ليز لتفعله؟!

هكذا يعنف ستيفن نفسه قبل أن يدع ذلك الهواء الساخن يغادر رئتيه، ليلتقط أنفاسه في بطنه محاولاً تهدئة نفسه وهو ينظر إلى ذلك المنزل في حذر، ويظل على تلك الحال فترةً وجيزة قبل أن يتركه وفي نفسه ذلك الشك أن ذلك الأنين الذي سمعه قد يكون حقيقة.



(3)

سُرْعَانَ مَا اسْتَيْقِظَ سَتِيفَنَ عَلَى صَرَاحِ ابْنَتِهِ لِيَزِ وَالْتِي
تَحَاوَلَ إِنْقَاذَهُ مِنْ كَابُوسِ بَدَا لَهُ وَاقِعِيًّا بِطَرِيقَةِ مُسْتَحِيلَةٍ..
سُرْعَانَ مَا اسْتَيْقِظَ وَقَدْ غَزَا مَلَامَحَ وَجْهِهِ الرُّعْبُ وَالْخَوْفُ
الشَّدِيدَانِ.

كَانَ يَحَاوَلُ فَتَحَ عَيُونِيهِ الدَّامِعَتَيْنِ بِصُعُوبَةٍ.. كَانَ يَشْعُرُ
بثَقَلِ صَدْرِهِ وَأَنْ تَنْفَسَ الْهَوَاءَ أَصْبَحَ شَاقًّا.. كَانَ يَشْعُرُ بِأَنْ كُلَّ
جِزءٍ مِنْ جَسَدِهِ يَتَأَلَّمُ وَبشَدَةٍ.
- أَنْتِ بَخِيرٌ.. لَقَدْ كَانَ كَابُوسًا..

قَالَتْهَا لِيَزِ فِي قَلْقٍ وَتَوْتَرٍ شَدِيدَيْنِ، قَالَتْهَا مُحَاوَلَةً فِي يَأْسٍ
تَهْدِئَتِهِ، قَبْلَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْنِ مُتَأَلِّمَتَيْنِ.. عَيْنَانِ بَدَا الْخَوْفُ
وَالْفَزَعُ فِيهِمَا وَاضِحًا وَبشَدَةٍ.. قَبْلَ أَنْ تَمْتَدَّ يَدَاهُ لَتَمْسُكَ بِهَا
فِي قُوَّةٍ.. قَبْلَ أَنْ يَضْمَحَ إِلَى صَدْرِهِ مُحْتَضِنًا إِيَّاهَا بِقُوَّةٍ.

كَادَتْ تَسْتَمِعُ إِلَى ضَرْبَاتِ قَلْبِهِ الْمُضْطَرِبَةِ تَهْدَأُ قَلِيلًا، كَادَتْ
أَنْ تَصْبِحَ جِزءًا مِنْهُ مِنْ فَرَطِ قُوَّةِ ضَمِّهَا إِلَيْهِ، كَادَتْ تُسَحِّقَ
عِظَامُهَا وَتَصْرُخَ مِنَ الْأَلَمِ لَكِنَّهَا تَحْمَلَتْ كُلَّ ذَلِكَ وَلَمْ تَرُدِّ
سِوَى جُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ:

- لَا تَقْلِقْ لَقَدْ انْتَهَى ذَلِكَ الْكَابُوسُ الْآنَ.. لَا تَقْلِقْ لَقَدْ
انْتَهَى ذَلِكَ الْكَابُوسُ الْآنَ..

شيئاً فشيئاً أفرجت يدها عنها ليعدها عنه في بطنه.. شيئاً فشيئاً بدأ يعود إليه الإحساس بواقعية ما يراه حوله وما يدها ممسكتان به... إنها هي التي أمامه الآن، وكل ما مرّ به كان مجرد كابوس واستيقظ منه بالفعل.

أخذ يلتفت حوله في بطنه، إلى تلك المكتبة عن يمينه، وإلى ذلك المكتب أمامه حيث تلك المفكّرة السوداء مفتوحة على مصراعيها قبل أن يطرق برأسه للأسفل في بطنه بدون أن ينبس ببنت شفة، وهي لم تسأله عن ذلك الكابوس الذي راوده حتي لا تزيد الطين بلة ولكن هذا لم يمنعها أن تسأله:

- هل أنت على ما يرام؟؟

اكتفى بإيماءٍ بسيطة برأسه بدون أن ينطق بأي كلمة.. كانت تريد أن تعيد تكرار سؤالها حتى يطمئن قلبها، ولكن معالم وجهه المصدومة والتي يحاول إخفاءها بعيداً عنها منعتة عن ذلك.

مما جعلها تدرك بالفعل أيضاً أن ما رآه لم يكن كابوساً عادياً فتغاضت عن سؤاله عن أي شيء آخر حتى يهدأ تماماً.

لكن هذا لم يمنع فضولها عن أن تسأله:

- لِمَ نِمْتَ في ذلك المكتب مجدداً؟!.. لقد بدأ يراودني الشك أنه سبب كل تلك الكوابيس التي بدأت تراودك مؤخراً.

لم يُجِبها واكتفى بالصمت فأنهت حديثها باستفسارها عن حاجته إلى مساعدتها في إعداد الإفطار معه.

فأجابها بابتسامةٍ مصطنعةٍ بطريقة واضحة على شفثفه
المرتعثفنف قبل أن يقف فف بفء ممسكًا فدها بفده المفعرفة
مصطحبًا ففها إلى المطفب.



لم فكن جسدها، ولم فكن جسده.. لم فكن صوتهها، ولم فكن
صوته.. لم تكن عفففها ولم تكن دموعه، ولكن كان هذا صراخه،
وكان هذا صمتهها والفف هو بمثابة حُكم مؤكف بموتهها.. لقف
كان فف ذلك الكابوس أباها، وكانت هف ابنته.

فتح سفففن عفففه بسرعة لأنه فعلم أن فغلاقهما سففكون
بمثابة الجفم بالنسبة له.

كان عقله فسترجع باستمرار تلك الأحداث لذلك الكابوس
اللحن والفف لا فرفد مفارقة عفففه ولو للحظة.. وفوؤه
بمفرده فف غرفة مكتبه وفف شركة مغمروة.. أنشطتها قلفة
فجعل التفكفر فف ذلك الكابوس أمرًا لا مفر منه.

فحاول تهدئة نفسه بلا فائدة خاصة مع وفود آلاف
الأسئلة تعصف برأسه وخاصة ففًا عفا فلاحظ وفرف ففده
المرتعثفن بفون توقف منذ أن استقفظ.. ففده الففن اعصرتا
رقبتهها فف ذلك الكابوس بفون شفقة أو رحمة.

ما الفف حفث؟؟.. ما الفف فجعل أبا فقتل ابنته بفلك
الوحشفة؟؟.. كابوسٌ لعفن لا فعرف سببه ولا فعرف له بفاة،
ولكنه فعلم أنه كان ففه أبا.. أبا قف ربط ابنته الصغرفة

النحيفة الهزيلة والمضرجة ملابسها بالدماء بالكثير من الأربطة
والحبال الغليظة حتى لا تستطيع الهرب!!

كان يبكي.. دموعه تؤكد أنه نادم على ما فعله، ولكن
ليس على ما سيفعله!!

كان صوت نحيبه عالياً، ولكن أنفاسه الساخنة والمتسارعة
تؤكد أن نحيبه ليس نتيجة للندم فقط

قلبه المشتعل بنيران الغضب يجعله يتوقف بالقرب من
أول شجرة تقابله، يجعله يمسك بكتفيها في عنف ليرفعها عن
الأرض وليجعلها تقف على قدميها الجريحتين النازفتين.. تكاد
تسقط ولكنه يمسك بها مجددا مانعاً إياها من ذلك قبل أن
يصفعها بقوة وقبل أن يمسك بوجهها الباكي في صمت معيذاً
إياه تجاهه في صمت.

ينظر إليها في اشمئزاز.. ينظر إليها في تقزز..

يلف حبلاً غليظاً آخر حول عنقها، ثم يحكم ربطه قبل أن
يلقي بأحد أطرافه فوق أحد أغصان تلك الشجرة لينفذ من
الاتجاه الآخر وليستقر مجدداً على الأرض حيث اتجه إليه في
صمت .

يمسك بطرف ذلك الحبل جاذباً إياه في بطاء تجاهه، فيراها
تتحرك منقاداً معه في استسلام تام حتى تبدأ في الارتفاع معه
شيئاً فشيئاً، ولكنه لا يتوقف حتى يراها تقف على أطراف
أصابع أقدامها، لا يتوقف حتى يرى عنقها ممددا ورأسها

مشدودة لأعلى، لا يتوقف حتى يرى ابتسامتها.. وعينها الخضراوين الباكيتين خلف خصلات شعرها الأسود المنسدل على وجهها.

يصرخ بداخله.. يتمنى أن يترك الحبل وينطلق ليأخذها بين أحضانه.. إنها ابنته.. أعز شيء لديه ولكنه لا يملك خياراً آخر!!

يوليها ظهره حتى لا يرى وجهها.. يوليها ظهره حتى لا يراها تختنق حين يستمر بجذب ذلك الحبل.. يوليها ظهره لأنه لن يستطيع تحمّل مظهرها وهي تقاوم الموت.. إنه يأخذ روحها.. يقتلها ببطء.. مع علمه أنها لن تقاومه!!

يسمع حشجة صوته وهي تحاول التنفس بلا فائدة.. يحاول أن يتحمل اهتزازها العنيف ممسكاً بذلك الحبل بأقصى قوته حتى لا يفلت منه.. يحاول أن يتمالك أعصابه، وأن يجبر يديه الواهنتين على الصبر حتى تنتهي مهمتها.. كل ما عليه ألا ينظر إليها.

ينقطع ذلك الحبل فجأة فيقع في سرعة جاثياً على ركبتيه ومستنداً بيديه حتى لا يسقط على وجهه الذي يميل به للأسفل في يأس.. الدموع تنهمر من عينيه بغزارة فتعيق رؤيته عما يوجد حوله، فيمسحها بيديه في ببطء.

لقد أراد أن ينهي الأمر بدون أن يعاني.. ولكن ليس بدون أن يجعلها تعاني

يَعْلَم أنها ما تزال على قيد الحياة، ويعلم أن أمر التخلص منها لن يتم بسهولة.. يقف في بطاء وقد استمرت عيناه في بذل الدموع دون توقف.. يقترب منها وقد اشتدت قبضة يده في عنف، خاصة حين يرى تلك الابتسامة اللعينة ما تزال على شفيتها حتى وهي تلتقط أنفاسها في صعوبة.

يُخرج من جيب سترته سكينًا صغيرة..

يمسك بيده اليمنى رقبتها في عنف معتصرًا إياها، وهنا يصرخ بداخله راجيًا عينيه أن يغلقا، راجيًا نفسه ألا تشاهد ذلك.. ليس هي.. لا يريد أن يراها تنتفض وتقاوم الموت أمامه، جُبنه وخوفه ومشاعره الأبوية تجاهها تمنعه أن يراها تعاني، بالتأكيد يريد لها أن تتألم.. أن تصرخ، ولكنه بالتأكيد لا يريد أن يرى هذا بعينه.. لا يريد هذا أن يحدث أمامه.

- أغلق عينيك.. وأتم الأمر.

هكذا يخبر نفسه بأن يضع حدًا لحياتها.. هكذا سينهيها.

هكذا يغمض عينيه، ويرفع يده اليسرى للأعلى موجّهًا سكينه تجاه صدرها، وهكذا سينقض عليها.. وهكذا يستيقظ ستيفن قبل أن يتم الأمر.

يستيقظ على صراخ ابنته التي أنقذته للتو من أسوأ كابوس على الإطلاق.. أيقظته قبل أن يتم الأمر ويقتلها!!

لم يكن جسدها ولم يكن جسده، لم يكن صوتها ولم يكن صوته، لم تكن عينيها ولم تكن دموعه، لكنه في ذلك الكابوس

كان أباهما وكانت هي ابنته.



ها هو وحيدٌ مجدداً بعد نومها، لقد انتظر بجانبها فترة طويلة.. فترة طويلة تؤكد له أنها حقيقية، وأنها بخيرٍ وعلى ما يرام.

يعلم أنها قد تَشَك في كونه ليس على ما يرام اليوم، مِنْ الجيد أنها ما تزال صغيرة.. مِنْ الجيد أن حواس الشك الأنثوية لديها لم تتبرعم بعد.

ها هو وحيدٌ بغرفة مكتبه وقد أحاط به الظلام مِنْ كل صوب، المنزل هادئ الآن وبإمكانه فتح تلك المفكرة السوداء المغلقة أمامه وإكمال قراءته لتلك الأوراق الهرمة الممزقة أطرافها.. لا بد أن ذلك المعجب عانى كثيراً حتى يضعها بتلك المفكرة.

لقد تَخَلص قليلاً مِنْ وطأة ذلك الكابوس على عقله، كابوس يتمنى لو يستطيع أن يزيل أحداثه مِنْ عقله بأي طريقة.. بأي ثمن.

لقد هدأت أعصابه، لقد انتظمت ضربات قلبه، ولكن ذلك الحزن الذي يسيطر عليه ويتزايد بداخل صدره ليس له منظم.

ما قرأه في تلك الأوراق القديمة داخل تلك المفكرة يزيد من كآبة الأمر.. لذلك يريد تأخير قراءتها قدر المستطاع..

وربما لم يعد يريد قراءتها مجدداً.

الأحداث المؤلمة التي تعرضت لها تلك الفتاة ليس لها حد، في بعض الأحيان تمنى أن تكون كل تلك الأحداث مجرد خرافة، ولو كانت حقيقة فقد تمنى لها لو لم تولد من الأساس، لقد تعاطف معها على الرغم من أن الأحداث المذكورة في تلك الأوراق غير منتظمة وبها القليل من اللامنتظية.. تلك الأوراق لا تأتي بإجابة.. بل تُضاعف من عدد الأسئلة بداخل رأسه.

الأوراق تقصّ مواقف.. لا حياة كاملة لتلك الفتاة.. مواقف عديدة ومختلفة توضح مدى البؤس الذي رآته ومدى المعاناة التي تحمّلها.

الأوراق تقصّ موقفها عندما أصيبت عائلتها بالفقر واضطرت إلى مغادرة المدينة إلى أخرى، موقفها عندما أصيبت بمرض شديد خلال ترحال عائلتها وعندما فقدت بصرها، موقفها من برد الشتاء ورائحة البارود المنتشرة على طول الطريق، موقفها عندما تحول إختها إلى سارقين بسبب الجوع والفقر وعدم وجود أي عمل مناسب لهم، موقفها عندما تحولت أختها إلى عاهرتين، موقفها عندما أصبحت متسولة، موقفها تجاه عائلتها وتجاه أبيها، موقفها تجاه نفسها وتجاه حياتها.

أوراق تقصّ كراهيتها الشديدة تجاه كل شيء، وخاصة والدتها عندما قامت بخيانة والدها مع أحد أصدقائه، كراهيتها لإختها عندما امتدت أيديهم على أبيهم بدلاً من مساعدته، كراهيتها لأختيها اللتين سخرتا من أبيهما نتيجة

لعجزه التام في إصلاح الوضع.

أوراق تقصّ حبّها لأبيها على الرغم من مزاجه المتغير
وصراخه الدائم بعد تمكن المرض وإدمان الخمر منه، حبّها
لأبيها الذي حاول الحصول على أي عمل يكفل له ولهم حياة
صالحة، حبّها لأبيها الذي كان يقوم بتقطيع تلك الأخشاب
التي تمدها بالدفء بالشتاء، حبّها لأبيها الذي تمسكت به
حين حاول الرحيل عنهم وتركها بعد أن عانى الويل من
عائلته.

مواقف.. لا حياة كاملة.. مواقف لا توضح كيف استطاعت
الرؤية مجدداً؟؟.. وإن كانت عمياء فكيف تمكنت من كتابة
تلك المواقف الخاصة بحياتها في تلك الأوراق؟؟.. كيف تحولت
من كائن ضعيف جريح قد انقضت عليه كل مصائب الدنيا
بمخالبتها بلا رحمة أو شفقة إلى وحش كاسر تمكّن من قتل
سته أفرادٍ بمفرده؟!

وعلى ذكر القتل - كما ذكر المؤلف المشهور - لم تقتل
أباها؟!.. لم فعلت ذلك؟!.. الشخص الذي يحب أحدا ما بتلك
القوة لا يقتله..

أسئلة كثيرة بلا إجابة، وكل ما أمامه هو مجرد مواقف
من حياة كاملة غنيّة بالأحداث!!

كل ما تركته تلك الأوراق هو مجرد شك أن تكون تلك
الفتاة قد فعلت أيّاً مما ذكره الكاتب المشهور من أحداث،

كل ما هو مذكور في تلك الأوراق هو كيف أصبحت تلك الفتاة مسخاً يكره كل شئ وليس وحشاً كاسراً قتل كل أفراد عائلته؟! عائلته؟!

- لا بد أن ذلك المؤلف قد فعل ذلك من أجل إنجاح قصته، ومن أجل زيادة شهرتها، فمن يتوقع أن تقوم فتاة صغيرة تبلغ من العمر اثني عشر عاما بقتل جميع عائلتها.. كيف يحدث هذا؟؟

هكذا ينهي ستيفن حديثه مع نفسه واضعاً تلك المفكرة في أحد أدراج مكتبه مقررًا ألا يعود إلى قراءتها مجددًا، خاصة مع وجود أسئلة كثيرة بلا إجابة.

هكذا ينهي ستيفن الأمر متمنيًا إن كانت تلك الفتاة قد عاشت بالفعل أن تجد السلام على الأقل في مماتها!!



كانت تمشي بخطواتٍ هادئةٍ تجاه غرفة المدرسة حيث ستقابله أخيراً..

امرأةٌ شابةٌ في عقدها الثالث تتميز بشعرٍ أسودٍ قصيرٍ، وبعينين زرقاوين واسعتين، تطرق الباب مرتين قبل دخولها لتجده رجلاً أبيضَ البشرة، ذا شعرٍ أشقر، متوسط الطول قوي البنيان، يبدو عليه الإرهاق والتعب الشديد، وتبدو عليه أيضاً المعاناة من الأرق وقلة النوم منذ أشهر طويلة، والذي يؤكد ذلك تلك الهالات السوداء أسفل عينيه البنية اللون.

كان يجلس على كرسي خشبي، وفي مقابلهِ طاولة خشبية، وكانت تجلس أمامه مدام سالي مديرة المدرسة.. سيدة عجوز في العقد السادس من عمرها، هادئة لا تفارق تلك الابتسامة البسيطة شفيتها، قد غزا الشعر الأبيض رأسها وبشدة، ولكن هذا أكسبها مظهرًا أكثر هيبةً ووقارًا.

رأته يقف ليصافحها بيدٍ متعرجةٍ ومرتعشة، رأت بعينه آلاف الأسئلة التي تدور حول سبب استدعائه وخاصة أن الأمر يخص ملاكه الصغير ليز.

قدّمتُ نفسها له قائلة:

- مستر ستيفن.. أنا كايت معلّمة الفنون لدى ليز..

ثم جلست على كرسي خشبي بجانب مديرتها سالي لتتشارك معهما تلك الطاولة الخشبية وقد وضعت أمامهما ملفاً أصفر ممتلئاً بأوراق ورسومات عديدة.

ارتسمت على شفثيه ابتسامة هادئة عبّرت عن مدى الارتياح النفسي الذي تغلغل بصدرة وقلبه قائلاً لنفسه:
- إنها معلّمة فنون.. إذاً ليس هناك أي مشاكل خطيرة على الإطلاق.

استمعَ إليها تسألُه في اهتمام:

- هل تحب ليز الرسم؟

- إنها تعشقه.. إنها تقضي ساعاتٍ طويلةً ترسم بالمنزل.

- وهل كل الوقت تقضيه بالمنزل بمفردها..؟ أم هناك صديقاتٍ أخريات لها يشاركنها الرسم من وقت لآخر؟!

- لا.. لا أظن.. لقد انتقلنا إلى هنا حديثاً كما هو موضح بملف ليز الدراسي، لذا لا أعتقد أنها كوَّنت صداقاتٍ حميمةً بعد.

- إذاً مَنْ يشاركها الوقت حين تكون بالمنزل؟

نظر ستيفن إلى كايت في ارتياب بعد أن تمكّن الشك من قلبه بأن هناك خطباً ما بشأن ليز قبل أن يجيبها قائلاً:

- أختها جين وأنا غالباً بعد عودتي من العمل، خاصة أن والدتها تعمل في منطقة بعيدة عن ريتواسن

صمتت كايِت للحظات تبادلَت خلالها النظراتِ مع
مديرتها سالي قبل أن تسأله مجددًا:

- إذاً ليس هناك أحد آخر يجلس معها ويشاركها وقتها
مثل جليسة أطفال أو أي شخص آخر؟

- لا.. نحن فقط

عادت كايِت إلى صمتها مجددًا مما أثار القلق والهلع
بقلب ستيفن بعد إدراكه بالفعل أن هناك خطبًا ما بـ ليز،
وقبل أن يسأل عنها بادرته سالي بالسؤال:

- هل هناك أي شجارات تحدث بين ليز وجين؟

- قليلًا.. أنتِ تعرفين الحال بين الفتيات

- هل قامت أختها بضربها بيو..؟

- لم يحدث قط ولن يحدث أبدًا..

قاطعها ستيفن في عنف وبصوتٍ صارمٍ قبل أن يسوده
القلق عندما سأل عنها مسرعًا:

- ما الذي يحدث هنا.. أين ليز؟؟

فانظرت سالي إلى كايِت التي بدا بها القلق واضحًا قبل
أن تجيبه بصوت متحشرج أضافت إليه من الهدوء قدرَ ما
استطاعت:

- إنها بغرفة الأخصائي الاجتماعي.

- ماذا؟!

قالها ستيفن في فزع قبل أن يقف في سرعة سائلاً:

- ما الذي حدث لها؟!.. هل هناك خطب ما بها؟!.. هل هناك أي شيء سيئ أصابها؟!

- ابنتك بخير وعلى ما يرام

- إذًا ما الذي يحدث الآن؟؟.. ولماذا يتم استجوابي كأني متهم بجريمة ما أو كأن ابنتي قد تسببت في فعل شنيع؟

ساد الصمت للحظات قبل أن تشير سالي إليه بالجلوس مجدداً قائلة في هدوء:

- أرجوك مستر ستيفن.. نعم ابنتك بخير، ونعم ابنتك لم تفعل أي شيء.. لم تفعل أي شيء بعد

فنظر إليها ستيفن في صدمة قبل أن يجلس مجدداً، وليرى كاييت قد أخرجت بعض الرسومات من ذلك الملف ووضعتها أمامه قائلة:

- هذه رسومات ليز الشهر الماضي، أرجوك ألقِ عليها نظرة

التقطها ستيفن في ببطء قبل أن ينظر إليها بإمعان، كانت مجرد رسومات رديئة تتناسب مع طفل يبلغ من العمر تسعة أعوام.. رسومات بسيطة ذات تفاصيل وخطوط رديئة، ودائماً ما تجد بها تلك الشمس البيضاوية التي تحتل أعلى منتصف الصفحة، وفيها أناس ذوو أذرع مشوهة وأرجل غير

طبيعية.. رسومات رديئة هزيلة الجودة، وغالبًا ما تجدها تتحدث عن شئ واحد وهو عائلة ذلك الطفل الذي رسمها - إنها رسومات عادية.. أنا لا أستطيع أن أفهم ما الذي تريدين مني رؤيته؟!

لم تعلّق كايت على ما قاله، بل أعطته أوراقا أخرى ليراها قائلة:

- وهذه رسوماتها الأسبوعَ الماضي.

أخذها منها في صمت لينظر إليها متظاهراً بالاهتمام؛ لأن مصب اهتمامه بالفعل كان معرفة ما الذي حدث لابنته، ثم سمع سالي تسأله في جدية:

- هل تعرضتِ ابنتك لأي صدمة نفسية من قبل..؟ حادث سيئ؟.. أي شئ سبّب لها خوفاً شديداً أو كراهية شديدة لشئ ما أو شخص ما؟!

لم يجبها ستيفن وظلّ ملتزماً بالصمت أثناء رؤيته لرسومات ابنته.. ناظراً إلى شئ كان يعلم أنه سيطارده هو لاحقاً.. كوابيسها.. مخاوفها.. آلامها.

رسوماتها كانت بسيطة.. كانت ترسم غاباتٍ بأشجار رديئة التفاصيل وأوراق غير واضحة المعالم.. كانت ترسم غاباتٍ باستمرار، كأنها لعنة أصبحت ملازمة لها.. غابات مظلمة يستطيع أن يشتمّ منها الخوف الآن.. غابات تجد بها اللون الأسود منتشرا أكثر من أي لون آخر تقريباً.. فقط الظلام ما

تستطيع رؤيته في تلك الصور تقريبًا.. فقط الخوف
- أرجوك مستر ستيفن.. أجبني.

هكذا سألته سالي ناظرة له في رجاء بأن يقدم لهما ما
تريدانه حتي يتمكن من مساعدته هو وابنته.

- كان عمرها ست سنوات.. كانت بمعسكر صيفي للفتيات..
ما حدث لها لم يكن ذنب أحد.. ولكن بالنسبة لي.. أشعر
بذلك الذنب يعتصر روحي طوال الوقت.. كانت تبحث مع
أصدقائها عن بعض الأعشاب الضارة.. كان كل ما عليها التقاط
أي حشائش من أرض تلك الغابة التي يعسكرون بها.. غابة
أمنة لا يوجد بها أي حيوانات ضالة أو مفترسة.

لقد تعمقت في تلك الغابة كثيرًا حتي فقدت معلمها
وأصدقاءها، وعلى الرغم من ذلك كان بالإمكان العثور عليها
لولا أن قدميها قد وطأتا أرضًا لم يكن من المفترض بها أن
تطأها.. في الواقع لم يكن من المفترض لأي أحد أن يطأها.

كانت هناك حفرة عميقة.. فخ.. تلك الحفرة يقدر عمقها
بثلاثة أمتار، وكانت قد غطيت بكثير من الحشائش وأغصان
أشجار هزيلة قابلة للكسر.. ابنتي قد مشت فوق تلك
الأغصان الهزيلة والتي انكسرت بسرعة مما أدى إلى وقوعها في
تلك الحفرة المظلمة.

فقط الكدمات هي ما أصابت جسدها.. فقط ضربة
مبرحة أصابت رأسها لتفقد الوعي في الحال

لقد استيقظت لاحقاً، ولكن بعد مرور ست ساعات، كانت جائعة.. متألّمة.. خائفة.. كانت الشمس أضواءها قد تلاشت ليحل مكانها أضواء القمر والذي ما أزال شاكرًا له على ذلك. لقد بحثت معلّموها ومصطحبوها عنها كثيرًا، ولكن يبدو أنهم لم يلاحظوا تلك الحفرة التي سقطت بها؛ لأن الحشائش وأغصان الأشجار تغطيها من كل صوب وبطريقة احترافية تجعل من الصعب رؤيتها.

لسوء الحظ أن المدربين قد تخطوا ذلك المكان.. لحسن الحظ أنهم مرّوا بجانبه مجددًا أثناء عودتهم حيث سمعوا بكاءها ووجدوها.. تلك المدة التي جلست بها بمفردها منتظرة أن يتم إنقاذها كانت تقدّر بأربع ساعات تقريبًا. صمت ستيفن لوهلة كادا فيها أن يريا تلك الدموع المترققة بعينه وهو يطرق برأسه للأسفل قليلًا:

- هل مرّت عليك يومًا لحظات خوف ظننت أنها لن تنتهي..؟ خوف ظننت أنه سيكون ملازمًا لك حتى الموت..؟ ستختنقن به.. خوف سيعتصر روحك وسيقتلعها من جسدك!! لم تجبه أي منهما، فأطرق برأسه للأرض قبل أن يكمل في يأس:

- لسوء حظ ابنتي أن تلك الحفرة احتوت بقايا عظام لجسد ذئب ميت.. أتعلمين، الشئ المضحك بالنسبة للبالغين.. هي المخاوف الطفولية.

فتاة صغيرة مع بقايا ذئبٍ ميت.. ما الذي سيحدث؟!..
 دعيني أخبركِ ما الذي سيحدث؟!.. دعيني أخبركِ ما الذي
 سيحدث لفتاة لم تختبر معنى الموت قط؟؟.. ما الذي سيحدث
 عندما تقابل شيئاً غامضاً من الصعب تفسيره لمن في عمرها؟!..

ستصرخ تلك الفتاة في البداية.. ستتخيل تلك الفتاة أن
 ذلك الذئب الميت وحشٌ يتربص بها وينتظر تلك اللحظة
 التي سينقض فيها عليها.. وإن كانت تلك الطفلة قد تمكّن
 منها الجوع والعطش فسيسوء الأمر وبشدة لو كانت جريحة
 وتنزف الدماء كما في حالة ابنتي.. لحسن الحظ أن جروحها
 سطحية وكدماتها بسيطة.. لحسن الحظ أنه تم العثور عليها
 سريعاً.. لكن من سوء حظي أن أتابع ابنتي لمدة خمسة
 أشهر بعد ذلك وهي تعاني من تلك الكوابيس تجاه ذلك
 الوحش الذي يريد أن يقتلها.. في أسوأ الأحوال كانت تتكلم
 أثناء تعرضها للكوابيس.. كانت تصرخ لي بأن أنقذها.. كانت
 تصرخ لماذا تركتها وحيدة؟؟.. لماذا فررتُ وتركتها وحيدة
 تواجه ذلك الوحش بمفردها؟!..

شئ آلمني وبشدة.. ولكن أتعلمين ما هو الألم الحقيقي؟..
 هو أن تظلي بجانب ابنتكِ كل يوم حتى تنام لأنها تخشى
 الظلام.. هو أن تُبقي مصابيح الطُرق المؤدية إلى غرفتها مضاءة
 دائماً لأنها.. تخشى أن تبقى هي في الظلام وحيدة.. شئ أتمنى
 أن تتغلب عليها حين تكبر وتصبح كما نقول.. بالغة

تبادلْتُ سالي وكايت الأنظارَ لبضع ثوانٍ قبل أن تخبره

سالي في هدوء:

- أعتقد أن هذا يوضح الكثير من الأشياء يا مستر ستيفن..
- ولكن قبل أن نخبرك بالمشكلة الحقيقية لابد أن أريك رسومات ليز اليوم.

قالتها كايث في قلق وهي تعطيه بعض الأوراق مكملة:

- أرجوك أمعن النظر بها

للوهلة الأولى اعتقد ستيفن أن رسومات ليز اليوم مشابهة لما رسمته الأسبوع الماضي.. رسومات لغابات مظلمة ذات أشجار عالية الارتفاع.. رسومات تعبر عن مخاوفها، عما تكره رؤيته.

كل شئ يكاد سكون متطابقا وبشدة، حتي رآه.. منزل خشبي صغير جدًا، مكوّن من غرفة واحدة أشبه بمركز مراقبة قد بُني فوق أغصان إحدى الأشجار.. منزل خشبي محطم معظمه وما تبقي منه قد لوّن باللون الأحمر.

شئ تجاهله ستيفن ولم يضعه في الحسبان قبل أن ينتقل بعينه إلى الرسمة التالية.. غابة أيضًا ولكن بمنتصف الرسمة كان يناظره ما يؤكد مخاوفه ويوقظ ذاكرته النائمة.. شجرة أزيلَ جُزؤها العلوي بالكامل وما تبقى من جزعها كان مُحطما ومُدمرا بالكامل، وقد غُرِزَ بها فأس صغير قد لوّن أيضًا باللون الأحمر.

أمَّا الرسمة التالية فبمجرد أن نظر إليها ستيفن كانت علامات الفزع والهلع الشديدين قد تمكنت وبقوة من ملامح وجهه، لقد أغمض عينيه عدة مرات في قوة كأنه يحاول إقناع نفسه أن كل ما يحدث حوله مجرد كابوس وسيتلاشى، وجهه الشاحب والمتصبب بالعرق جعل سالي وكايت يشكان بأنه ليس على ما يرام وأنه قد رأى شيئاً ليس من المفترض به رؤيته.

كانت رسمة بسيطة لتلٍ صغير يوجد أعلاه منزلٌ خشبي صغير مكوّن من طابقين مثل منزله الذي يعيش به حالياً. بيت قد أحاطت غابة بمعظم أنحائه.. بيت قد جلب له الكوابيس لسنوات عديدة.. بيت قد قضى به معظم طفولته فيه وتسبب له في مشاكل نفسية لا حصر.

بيت رسمته ليز على أوراقٍ بيضاء بتفاصيلٍ رديئةٍ لتعيد إيقاظ ذكريات الماضي والتي استغرقت منه سنواتٍ طويلةً من أجل إبقائها بعيداً في ظلمات عقله البائس.

- مستر ستيفن هل أنت بخير؟؟

- نعم.. نعم.. أنا بخير..

أجاب ستيفن سالي بحلق جاف وبصوت ضعيف مرتعش أثار الشك في صدرها، ولكنها أكملت لتقول في جدية:

- أعتقد أن ما ذكرته يعطي بعض التفسير لما حدث اليوم..

- ما الذي حدث؟!

كانت نظرات الفرع قد ارتسمت على عيني كايث وبشدة، في حين وقفت سالي في ببطء ذاهبة إلى مكتبها القريب منهما حيث فتحت أحد أدراجها لتجلب منه سكيناً صغيرة ذات نصلٍ صديءٍ، لتضعه أمامه على الطاولة قائمة في صوت هادئٍ شابهُ بعض القلق:

- أثناء درس الفنون اليوم.. قامت إحدى زميلاتنا بالتعثر بدون قصد بحقيبة ليز المفتوحة والتي سقطت أرضاً لتتناثر منها بعض محتوياتها وكان هذا منها

تبادل ستيفن نظراتِ القلق والبادية بشدة على عينيهِ بين سالي وكايث.. والسكين!! قبل أن يقول بصوت متحشرج:
- اللعنة..



كانت ما تزال كلماتها تتردد بأذنيه.. كلمات سالي التي أخبرته أن ابنته تعاني من مشكلة نفسية ما، وأن ابنته خائفة وبحاجة إلى مساعدة، كلمات مطمئنة ولكنها تتنافى مع ما فعلته عندما أعطت ابنته فصلاً لمدة أسبوعين لإحضارها أداة حادة إلى المدرسة.

كانت ما تزال كلماتها تتردد بأذنيه مع كل مرة ينظر فيها إليها أثناء قيادته للسيارة عائداً بها إلى المنزل.. كلمات كايث التي أخبرته بإجابة ابنته عندما سألتها عن سبب اختيارها للون الأحمر

كانت إجابتها مميزةً لم تحاول إخفاءها، إجابة صادقة
 نابغة من قلبها قالتها بعينين جادتين وبصوت حازم:
 - دماء...

كلمة واحدة ولكنها كافية لتثير تلك القشعريرة الباردة في
 جسد معلّمها.

إنها هادئة كعادتها، تنظر خلال نافذة السيارة إلى تلك
 الأشجار القابعة على طول الطريق.. تتأمل المنازل.. تتأمل
 تلك السيارات التي تمر بجانبها بسرعة عالية على غرارهما
 يراها تقترب بفمها من نافذة السيارة مُطلقةً ذلك الهواء
 الساخن المختنق بصدرها ليتكشف على سطح زجاج النافذة
 الشفاف مكوّنًا طبقةً بيضاء رقيقة.

يراهما تكتب على تلك الطبقة بعض الكلمات.. ترسم بعض
 الأشياء.. ومجرد أن تتلاشى تلك الطبقة تعيد الكرة مرة أخرى
 الصمت هو ما يفصل بينهما الآن..

يريد أن يتحدث معها ولكن بماذا يبدأ حديثه؟!.. هل
 يوبّخها على فعلتها؟!.. هل يتعامل معها بقسوة؟!.. أم يأخذ
 الأمر بودٍ وتساهلٍ ويحاول أن يسترسل معها في الكلام حتي
 يتوصل إلى سبب فعلها لهذا؟

- اللعنة.. كيف حدث هذا؟!.. بل لماذا حدث هذا؟!

هكذا يصرخ ستيفن بداخله وهو يسترق النظرات إليها
 حيث ما تزال مولية له ظهرها.. إنها هادئة.. ولكن هدوءها

هذه المرة يثير غضبه وحنقه..

إنه هدوؤها المعتاد حيث لا تنبس ببنت شفة، وحيث المطلوب منه أن يتحدث معها وأن يستخرج الأجوبة من جوفها.. بئر غامض عميق كان يظن إنه بنهايته عليم.

- كيف وصلت إلى هذه المرحلة؟!.. كيف حدث كل هذا التغيير بدون إدراك مني؟!.. كيف حدث هذا؟!!

يسأل ستيفن نفسه باستمرار، ولكن بلا حصول على أي إجابة مفيدة.

يدرك أن كل أسئلته موجهة للشخص الخطأ.. وأنه من المفترض به أن يوجّه إليها تلك الأسئلة، ولكنه لم يعرف بعد كيف يبدأ حوارها؟!!

يرى تلك الغابة التي يمر بجانبها كل يوم أثناء عودته من العمل على مقربة منه فيبطئ من سرعة سيارته حتي تتوقف تمامًا بالقرب من ذلك الجسر الخشبي المؤدي إليها.. ينظر إليها حيث توقفت عن الرسم أخيرًا وقد بدأت في الاستغراق في النظر إلى ذلك الجسر الذي تطل عليه نافذتها.

صمّتها دائم.. هكذا كانت دومًا، ولكنه هذه المرة يثير الريبة بداخل صدره.. من المفترض بها الآن أن تكون خائفة.. مرتبكة.. نادمة.. أي شعور يبيّن إحساسها بالذنب وخوفها تجاه عواقب فعلتها، لكن على الرغم من ذلك فقد وجدها هادئة وصامتة!!

يسمعا تطرق بأصابعها الصغيرة على ذلك السطح
الزجاجي لنافذة السيارة..

لكن طرقها المستمر والمنتظم يزعجه، ويتمنى أن تكف عن
ذلك بدون أن يجبرها على التوقف.. طرقها ما زال مستمرًا..
وجهها ما زال مواجهًا لتلك النافذة.. صمتها لم ينقطع بعد
ذلك الطّرق المستمر لها يؤثره ويثير القلق بداخله مما
جعله ينادي عليها بصوت هادئ:

- ليز..

ولكنها تستمر في الطّرق فيزداد علو صوته الهادئ مناديًا
عليها:

- ليز..

ولكنها لا تتوقف، مما جعله يهتف بصوت عالٍ ذي نبرة
حادّة تبين ما بداخله من غضب مكتوم:

- ليز.. توقفي الآن عما تفعله..

تتسمر أصابعها في مكانها بدون أن تلتفت إليه قبل
تستمع إلى أنفاسه المتسارعة وهو يقول بصوت عالٍ وجاد
أضاف إليه من الهدوء قدر ما استطاع:

- والآن.. نحن لن نبرح هذا المكان حتي يتحدث أحدنا..
هناك أسئلة كثيرة بحاجة إلى إجابة.. بحاجة إلى توضيح.. وأنتِ
هو الشخص المفترض به والوحيد الذي بإمكانه فعل ذلك.

لكنها أطرقت برأسها للأسفل بدون أن تلتفت إليه، قبل أن يكمل في جديّة:

- لماذا فعلتِ ذلك يا ليز؟؟

لم تجبه والتزمت الصمت، فتنهد في يأس قبل أن يكمل بصوتٍ رخيمٍ محاولاً تلطيفَ الموقف:

- هل هناك شخص ما أزعجكِ؟؟.. هل هناك أي أحد قد قام بإيذائك؟؟

لكنها لم تجب عن هذا السؤال أيضاً، واستمرت في النظر للأسفل مما جعله يرخي رأسه للوراء في يأس تام.. إنه لا يريد استخدام القسوة التي لم يستعملها قط مع أيٍّ من بناته وخاصة مع ليز.

ذلك الملاك الذي أضاء حياته قد قام للتو بالتصرف بغرابة شديدة.. قد يعتاد منها الصمت ولكن ليس هذا الصمت.. هناك شيء ما تخفيه ابنته ولا تريد منه معرفته.

- لقد أخبروك أنني فتاة سيئة..

- ماذا؟!..!

كان صوتها يبدو عليه الحزن الشديد.. كان صوتها مختلطاً بنحيب مكتوم لم يستطع تبينه طوال فترة وجودها بجانبها.. لقد كانت تبكي!!

بدت دموعها واضحةً عندما التفتت إليه.. تسيل على

خديها بغزارة حتى بللت ملابسها.. لقد كانت تبكي طوال فترة قيادته للسيارة.. لقد كانت تبكي في صمت بدون أن يلاحظ.

- لا تكذب أرجوك وأخبرني.. لقد قالوا لك إني فتاة سيئة أليس كذلك؟؟

- لا يا عزيزتي..

لم ينتظر ستيفن منها توضيحاً لأي شيء، فبسبب دموعها غفر لها كل شيء، لم ينتظر منها أن تذكر سبب ما حدث، والتقطها سريعاً في حضنه حيث أجهشت بالبكاء.

- ما الذي يحدث بحق الجحيم؟!

كان هذا السؤال يتصارع بداخله.. سؤال يشمل أسئلة كثيرة وبحاجة إلى إجابات مختلفة..

- ما الذي يحدث بحق الجحيم؟!

لماذا حملت ليز معها أداة حادة إلى مدرستها؟!

لماذا أصبح صمتها الآن مريباً؟!

لماذا تبكي الآن على الرغم من عدم قيامي بأي شيء يجرحها أو يهينها؟!

ما الذي يحدث بحق الجحيم؟!

كان يربت على كتفها حتي تهدأ، ولكنها استمرت في البكاء حتي ظن أنها لن تتوقف أبداً.. هو لم يستطع الحصول على

إجابة وهي لم تتوقف عن نحيبها قط حتى عادا إلى المنزل؟!



- لا أعلم كيف حدث هذا يا سيلينا؟!

- كيف لم تستطع معرفة السبب.. وأين كنت طوال تلك الفترة؟!.. ابنتك قد حملت سكيناً إلى مدرستها يا ستيفن..
أتعلم معنى هذا؟!

- أعلم يا سيلينا..

- هل تحدثت إليها؟!

- ليس بعد..

- إذًا تحدثتِ إليها واعرِفْ سبب حدوث هذا؟!

- سوف أفعل.. سوف أفعل..

ساد الصمت بينهما أخيراً لبضع ثوانٍ وربما لبضع دقائق وربما لبضع شهور أو سنوات، صمتٌ ثقيل مرَّ بينهما ببطء شديد، صمت ينتظر أحدهما قطعَه.. وقد قرر ستيفن أن يفعل هو ذلك.

- سيلينا.. هل تحدثِ مع ليز عن الماضي الخاص بنا؟؟

- ماذا تقصد ؟!

- أنا أقصد فترة طفولتنا.. حياتنا تلك التي عشناها
بكريوتس... كيف كنّا.. وكيف كانت عائلتنا..

- لا أتذكر.. ربما أكون فعلتُ ولكن إن استطعتَ أن تكون أكثر تحديدًا ربما أستطيع مساعدتك..

- لا يهملك يا عزيزتي..

- أخبرها بما حدث..

هكذا ظهر ذلك الصوت الصارخ في رأسه مجددًا أثناء حديثه معها.. صوت نفسه القلقة.. صوت نفسه الحيّري والخائفة.

- أنا أقصد أنك بالتأكيد قد وصفتَ لها كيف كانت مدينتنا.. كيف كانت حياة الناس بسيطة هناك.

- لقد فعلتُ ذلك.. ولكن ليس بذلك التعمق الذي تتحدث عنه..

- أخبرها بما رسمته..

- أنتِ لم تخبريها عن تلك الغابة التي كانت بالقرب من مدينتنا.. لم تخبريها عن منزلي وكيف كان قريبًا من تلك الغابة وكيف عشتُ معظم طفولتي بها!!

- لا.. لا.. لم أفعل ذلك.. أنا أعلم جيدًا أنك تكره أن أخبر أطفالك عن عائلتك وعن طفولتك بكريوتس، لذلك لم أحكِ لها عنك كثيرًا.. لماذا تسأل عن ذلك؟!.. بل لم كل تلك التساؤلات؟!

- أخبرها بما حدث..

- لا شئ يا عزيزتي.. مجرد استفسارٍ بسيط.. مجرد استفسار بسيط..

- أخبرها بما رسمته..

صوته المرتعش.. تأكيد المستمر بأن كل حديثه مجرد استفسار لشئ بسيط يؤكد لها أن هناك أمرا ما مريباً يخفيه عنها ولا يريد إزعاجها به الآن مما جعلها تقول معلقة على قوله:

- مجرد استفسار بسيط ها؟!!

- نعم يا عزيزتي.. مجرد استفسار بسيط.

توقّف ستيفن عن الحديث بعدها ليعود الصمت مجدداً رفيقاً لهما، صمتٌ لم تكن سيلينا مستعدة لتقبله مما جعلها تنهيه قائلة:

- إِذَا.. أنا سأدعك الآن لتتحدث معها قليلاً.. حاول معرفة سبب فعلتها الغامضة تلك بدون أن تضغط عليها أرجوك.

- بالطبع يا عزيزتي.. أنتِ تعلمين أني لن أفعل هذا أبداً.

- ستيفن..

- نعم..

- عدني يا ستيفن..

لم تكمل سيلينا قولها ولكنه كان يعلم ما تريد.. كان يعلم ما تقصد.. يعلم مطلبها منه فأكمل في هدوء:

- أعدكِ يا عزيزتي أن كل شئ سيصبح بخير وعلى مايرام.
- أخبرها بما حدث..
- أخبر الفتيات أنني أحبهن..
- سوف أفعل.. سوف أفعل..



كان يجلس بجانبها على حافة سريرها حيث استلقت نائمة بعينين نصف مفتوحتين في صمت.

كانت قد أشاحت بوجهها بعيداً عنه حيث أخذت تنظر في هدوء إلى تلك النافذة القريبة منها حيث ذلك المنزل المهجور القابع أمامهم.

مصايح الغرفة مغلقة، والظلام الدامس يسدل أجنحته بالمكان، الصمت أصبح رفيقاً دائماً لهما وملازماً لهما بكل الأوقات الآن.

لقد تحدّث كثيراً إليها، ولكن كل إجاباتها كانت إيماءة من رأسها أو هزة كتفٍ تعبّر عن حيرتها أو جهلها بالأمر، لقد حاول كثيراً إخراجها من ذلك القفص الذي أحاطت به نفسها من كل جانب مؤخراً ولكن كل ذلك كان بلا فائدة.

لمدة يومين ظلت صامتة.. لمدة يومين.. كل ما تفعله هو الرسم.. كل ما تفعله هو حفر حروف اسمها على تلك الشجرة الموجودة بفناء منزلهم.. كل ما تفعله هو إبقاء

نفسها وحيدة بغرفتها، حين لا يكون متواجدا معها لتطل من خلال نافذتها إلى ذلك المنزل المهجور أمامهم.

حتى عندما تصبح برفقته فهي تظل صامتة لا تتحدث..

منذ حادثة المدرسة وحملها تلك السكين وقد تحولت ليز إلى شخص آخر لم يعد يعرفه، حتى شجارها وعراكها مع أختها قد قل، بل وأصبح نادراً ليس لأنها لا تختلف معها بل لأنها لم تعد تتحدث أو تجلس معها من الأساس.

ما يحدث لها قد أثار هلعها وأثار قلق كل من بالمنزل..

ابنته في ليلة وضحاها حملت سكيناً بحقيبتها إلى مدرستها، لابد أن هناك سبباً لذلك، ذلك السبب صاحبه ذلك التغيير البشع لأفعالها.. ما الذي حدث لكي تفعل ذلك؟؟.. ذلك كان أحد الأسئلة التي تتلاعب بعقل ستيفن الآن، ولكن السؤال الأكثر خطورة.. كيف أمست ابنته على هذا القرار وهذه الحالة بدون أن يلاحظ؟!

امتدت يده في رفق لتلمس وجنتها الباردة لتعيد وجهها تجاهه مجدداً، ثم تنهد في يأس حين رأى تلك الدموع تترقرق بعينيها قبل أن يربت على رأسها في عطف قائلاً:

- لقد أخبرتك مراراً أنني لست غاضب منك.. أنا فقط أريد أن أعلم لماذا فعلت ذلك؟؟

لم تجبه والتزمت الصمت مما جعله يسألها في جدية:

- هل أزعجك أحد؟؟.. هل قام أي شخص بإيذاك؟؟

اكتفت بتحريك رأسها يَمَنَة ويسرة مجيبة بالنفي دون أن تتفوه بأي كلمة.

- أنت تعلمين أن لا أحد يستطيع لمسك طالما أنا بجانبك..

فبدت ابتسامة بسيطة على شفيتها قبل أن تجيبه بصوت ضعيف :

- أنا أعلم ذلك..

- إذاً ما الذي حدث لتفعلي ذلك؟؟

لم تجبه وأشاحت بوجهها بعيداً مجدداً ناظرة خلال نافذة غرفتها إلى ذلك المنزل المهجور.

وقف في هدوء ثم اتجه إلى تلك النافذة ليقف حائلاً بينها وبين ذلك المنزل المسكون بالصمت والذي نظر إليه في ريبة قائلاً :

- هل ما زلت تشكين في وجود أحد هناك؟؟

- لا.. لا يوجد أحد هناك.. لقد تأكدت من ذلك بنفسي..

فالتفت إليها ستيفن في تعجب وقد بدت الدهشة متجلية وبشدة في عينيه سائلاً إياها:

- ماذا تقصدين؟!

- لقد تسللتُ إلى هناك واستكشفتُ المنزل من الداخل.

قالتها ليز في هدوء شديد كأنها قامت بفعل شئ عادي للغاية ليس من العسير على أي أحد فعله، بل من الممكن لأي شخص فعله مما جعل ستيفن يصرخ بدهشة:

- ماذا؟!

فنظرتُ إليه ليز في تعجب قبل أن تراه يسألها في قلق:

- لماذا فعلتِ ذلك؟؟.. بل كيف فعلتِ ذلك؟!.. أبواب ذلك المنزل ونوافذه موصدة وبإحكام.

- ليست جميعها..

قالتها ليز في تعجب من أمر أبيها، حيث رأت أنه يبالغ في ردة فعله قبل أن تكمل:

- كانت هناك تلك النافذة.. من الصعب فتحها لكنني استطعت فتحها لمسافة بسيطة سمحت لي بالدخول للمنزل. وهنا تذكر ستيفن تلك النافذة التي استطاع تحريكها وفتحها لينظر خلالها إلى داخل المنزل قبل أن يجيب نفسه الحيرى القلقة:

- لا بد أنها تلك النافذة اللعينة التي قمت بفتحها.

ولم تمر لحظات قبل أن يتذكر ستيفن تلك الرائحة الكريهة التي تسربت من تلك النافذة والتي لم يستطع تحملها فسألها في تعجب:

- وكيف استطعتِ تحمّل تلك الرائحة الكريهة المنبعثة من

داخل المنزل؟!

- أي رائحة كريهة!!

نظر ستيفن إلى ليز في دهشة حين أكلمت في حيرة بدت واضحة على معالم وجهها:

- لم تكن هناك أي روائح.. المنزل كان خالياً تماماً من أي شيء فيما عدا تلال الأتربة المتراكمة بداخله.

- لماذا تسلفت إليه يا ليز؟!.. ولم لم تخبريني.. والأهم من ذلك متي تسلفت إليه؟!

- لقد تسلفت إليه منذ خمسة أيام حينما كنت بالعمل.. لكن لماذا ولم لم أخبرك لأني أعلم أنك ستغضب عندما تعلم ذلك.

فنظر إليها في قلق قبل أن يقول معاتباً:

- وماذا لو حدث لك مكروه..؟ ماذا لو كان أحد هناك بالفعل؟!

- أنت أخبرتني أنه لم يكن هناك أي أحد بالمنزل، وأن كل الأمر مجرد أوهام بعقلي فما الذي تخشي حدوثه لي هناك؟! قالتها ليز بصوت عالٍ وهي ترمقه بنظرات حادة أجبرته على الصمت لبضع ثوان قبل أن يسألها في رجاء:

- إذا أرجوك لا تفعلني ذلك مجدداً..

- لن أفعل..

نظرت إليه بعينين هادئتين وبابتسامة بسيطة على شفيتها
قبل أن تكرر مجدداً:

- أعدك ألا أفعل ذلك..

كان يعلم أنه لا بد له أن يتركها حتى تأتي وتخبره بنفسها
عن سبب قيامها بذلك، لا يجب عليه الضغط عليها، ولن
يسألها مجدداً ولكنه أصبح يعلم مجدداً أن هناك خطباً ما
بابتنته.. تحرك تجاه باب الغرفة قبل أن يسألها في رفق إذا
كانت تريد منه أن يضيئ لها أنوار الغرفة قبل أن يغادر
ولكنها فاجأته حين قالت:

- لا.. لا أريد أي أضواء أرجوك.. إنها تسبب لي إزعاجاً شديداً
أثناء النوم

- أنتِ بالتأكيد تمزحين..

هكذا أراد أن يجيبها.. هكذا أراد أن يسخر منها لولا رؤيته
لتلك النظرات الجادة بعينيهما.. إنها بالفعل تريد أن تنام في
الظلام الدامس المحيط بهما الآن والذي لا يتخلله سوى ذلك
الضوء الضعيف لذلك القمر المكتمل والذي بالكاد يستطيع
ضوؤه اختراق تلك السُحُب المتكدسة أمامه.

أراد أن أن يتركها وشأنها.. أراد أن يدعها لتنام، ولكن هناك
أمراً آخر ما يزال يريد الاستفسار عنه، تلك الرسومات
الخاصة بحياته والتي رسمتها بيديها الضئيلتين.. ذكريات
حياته اللعينة كيف توصلت إليها؟!

أم كل ذلك محض أوهام برأسه؟ وأن رسوماتها كانت -
مصادفة - مشابهة لبعض ذكريات حياته!!؟

- عزيزتي تلك الرسومات التي قمتِ برسمها الأسبوع
الماضي..

- ماذا بها؟؟

- كيف رسمتها؟؟

نظرت إليه ليز في تعجب وقد بدت الحيرة واضحة على
معالم وجهها قبل أن تسأله:

- ماذا تقصد؟!

- أقصد كيف خطرْتُ بذهنك؟؟.. ما الذي ألهمك بها؟؟

بدت على شفيتها الصغيرتين ابتسامة مأكرة قد ازدادت
اتساعاً قبل أن تسأله بخبث:

- هل أعجبتك؟!

- بالطبع يا عزيزتي..

صمتت ليز لوهلة قبل أن تجيبه بهدوء تام:

- لقد حلمتُ بها..

- ماذاااااا؟!

- كنت أعلم إنك لن تصدقني ولكني أقسم لك بذلك..
لقد حلمت بها.

نظر إليها ستيفن في تعجب، وحيرةٍ بدأت تزداد مع
 نظرة ابنته الجادة وصوتها الهادئ.. إنها تجيبه بصدق تام
 كعادتها؟!!

- لقد أخبرتني معلمة الفنون لديك..

- أنت تقصد المعلمة كايت..

- نعم.. لقد أخبرتني أنك ترمزين للون الأحمر برسوماتك
 لل... إنكِ ترمزين به للدماء.. ما الذي تقصدينه بذلك يا
 عزيزتي؟!!

- لا شيء.. لقد كنت أحلم بتلك الأماكن مغمورة بالدماء..
 فقط.

إجابةً ملتوية.. لقد شعر بتلك النبوة المتهربة في صوتها
 أثناء إجابتها.. إجابة تدل على أنها تخفي شيئاً، لكنه فضّل
 ألا يضغط عليها أكثر من ذلك.. إجابتها تلك مفتاح رئيسي
 لقبو يخفي بداخله شيئاً ما، لكنه ليس بحاجة للاستعجال..
 فليدعها تنام الآن.

ضغط ستيفن على أزرار إنارة مصابيح الغرفة ناسياً مطلب
 ابنته ليفاجأ بصرخة حادة لـ ليز التي قالت في ألم شديد وهي
 تغطي بكلتا يديها عينيها:

- أي.. أرجوك أغلق الأنوار.. أغلق الأنوار الآن.

فنظر إليها ستيفن في دهشة شديدة بعد أن أغلق الأنوار
 على الفور ليسمعهما تجيبه في صوت ضعيف:

- لقد أخبرتك أن الأنوار تؤذي عيني.. أرجوك دع الغرفة مظلمة..

فأوماً برأسه في صمت قبل أن يتركها مغلقاً باب الغرفة في هدوء، وقد بدأ الخوف والوساوس المقلقة في التلاعب بصدرة. ولم يمر وقت طويل قبل أن تفتح ليز عينيها مجدداً.. قبل أن تعتدل في ببطء لتغادر فراشها في صمت حيث اتجهت إلى نافذة غرفتها لتنظر إلى ذلك البيت المهجور والمسكون بالصمت أمامها.

لم يمر وقت طويل أمعنت فيه النظر إليه قبل أن تكرر في ببطء وبصوت ضعيف:

- لا يوجد أحد هناك.. لا يوجد أحد هناك..

كانت تكرر تلك الجملة في ببطء شديد قبل أن تلاحظ عبر إحدى نوافذ المنزل ظلاً لشخصٍ قد مرَّ أمامها في سرعة فصمتت في الحال.

ظلت صامتة لبضع ثوانٍ قبل أن يعود ذلك الظل للمرور عبر نافذة أخرى في سرعة شديدة بالكاد يستطيع أي أحد أن يلاحظها إلا هي فقد رأتها بوضوح تام.

ارتسمت على شفيتها تلك الابتسامة الهادئة والتي بدأ يزداد اتساعها مع كل لحظة تمر وهي تكرر في ببطء وبصوت ضعيف:

- لا يوجد أحد هناك.. لا يوجد أحد هناك.. بعد.



كان يقف هناك.. عاجز عن الحركة.. عاجز عن النطق والكلام.. عاجز عن فعل أي شيء.. كل ما يستطيع فعله هو المشاهدة.. كل ما يستطيع فعله هو أن يتابع ما يحدث في صمت.

كان يقف هناك أمام ذلك المنزل المهجور والمسكون بالصمت.. ولكن يبدو أن الصمت قد تخلي عنه أخيراً.. مصابيح المنزل تضيء بأضواء صفراء صغيرة باهتة، تنيره لتسمح له بالكاد أن يرى ما بداخله.

نوافذ المنزل لا يستطيع أن يرى عبرها أي شيء بسبب تلك الأتربة الكثيفة المتراكمة على أسطحها، ولكنه يستطيع أن يميز خلالها ظلال الأشخاص المتحركين بداخله بوضوح شديد.

كل شيء كان هادئاً.. بدا كل شيء يكاد يكون طبيعياً حتى اختفت تلك الظلال فجأة، واختفت معها أنوار المنزل.. لقد عاد الظلام مجدداً ليسكنه.. لقد عاد الصمت ليسلب مجدداً ما كان ملكه ومن حقه.

ولكنه لم يدم سوى لبضع ثوانٍ قبل أن يسمع ستيفن صراخاً حاداً صدر من داخل المنزل، صراخ حاد تردد في أرجاء المكان من حوله مسبباً آلاماً شديدة لأذنيه، ثم عادت الأنوار بكل غرف المنزل.. عادت الظلال لتتحرك بسرعة.. تهرول هنا وهناك.

عادت الظلال لتجتمع بغرفة المعيشة بنافذتيها الواسعتين..
يصرخون.. يتألمون.. وها هو يقف عاجزاً عن مساعدتهم.

كل ما عليه هو المشاهدة.. مشاهدة تلك الأنوار تأتي
وتختفي.. سماع صراخ الموجودين بالمنزل واستنجادهم ولكن
بلا قدرة على مساعدتهم.

لقد ازدادت حدة الضوء فجأة ثم تصاعد دخان كثيف
من بين ثنيات النوافذ ولم يمر وقت طويل قبل أن يرى
ستيفن ذلك الحريق المشتعل ينتشر بالمنزل بأكمله والدماء
تراق وتنتشر على زجاج نوافذ المنزل.
- اهرب..

هكذا يصرخ ستيفن بداخله.. هكذا يأمر جسده المرتعش
الواهن والرافض مغادرة المكان.
- اهرب..

هكذا يصرخ ستيفن لنفسه طالباً لجسده النجاة مما
سيراه..

لقد خُفَّت حدة الصراخ، ولم يتبق سوى أنينٍ لامرأة جريحة
متألّمة تتكلم في وهن شديد، ولكن على الرغم من ذلك كان
يستطيع سماعه بوضوح من خارج المنزل.

- لماذا فعلت ذلك ؟!

- جيم..

هكذا أجابها صوت جاف لوحش بارد المشاعر ومتحجر القلب قد قام ظله بتغطية كل نوافذ المنزل قبل أن تطلق تلك المرأة صرخةً مدوية أخيرة هزّت كل أرجاء المنزل ليسوده الصمت مرة أخرى قبل أن تتلاشى النيران وتختفي الظلال والأضواء.

لم يتبق مجددًا لذلك المنزل سوى رفيقائه الصمت والظلام.. ولكن الأمر لم يدم لفترة طويلة قبل أن يسمع ستيفن مقبض باب المنزل يتحرك.. هناك شخص ما يريد الخروج، ولكن يبدو أن الباب قد أُغلق بإحكام.. تلك الطرقات الحادة على باب المنزل تزداد مع كل لحظة تمر.. الباب يهتز في عنف نتيجة لضربات ذلك الشخص المحبوس بداخل المنزل المهجور والملعون والذي يريد منه الخروج، ولكن يبدو أن محاولاته قد بدأ يغلفها الفشل.

نوافذ المنزل قد بدأت تهتز في عنف.. الزجاج قد بدأ يتحطم.. المنزل قد بدأ ينتفض بأكمله في عنف.

كل هذا يحدث أمامه ولكن لا حيلة أمامه في فعل أي شيء، جسده يرفض الانصياع لمطلبه.. قلبه ينتفض من شدة الخوف.. العرق البارد يتصبب من كل جزء في جسده، ولكن يبدو أنه لا مفر له من مواجهة ما هو قادم من داخل المنزل.

شفتاه المرتعشتين يشحب لونهما حين يرى مقبض الباب ينكسر ليقع بعيدًا قبل أن يرى ذلك الباب يفتح أخيرًا.. حين

يرى تلك المخالب الكبيرة السوداء تمتد من الظلام تجاهه..
حين بدا صوتٌ واهن لفتاة صغيرة يتردد على مسامع أذنيه
قادم من خلفه يردد كلمة واحدة:

- اهرب..



- اهرب..

كانت تلك الكلمة ما زالت تتردد في رأسه عندما فتح
عينيه فجأة في فزع مطلق ليرى ابنته الصغيرة ليز تندفع
مبتعدة عن رأسه في سرعة.

كان جسده يتصبب بالعرق البارد، وكانت يده لم تكفا عن
الارتعاش، بعد حين أخذت تطمئن ليز أنه كان كابوسا وقد
انتهى للتو مرددة بصوت خافت:

- لقد انتهى الأمر.. لقد انتهى الأمر..

مما جعله يبتسم لها بشفتين شاحبتين لم تتوقفا عن
الارتعاش للحظة قبل أن يسمعها تكمل:

- لا بد أن ذلك الكابوس كان صعبًا..

أومأ لها برأسه في صمت قبل أن يغمض عينيه في قوة
ممسكًا رأسه بكتلا يديه نتيجة لذلك الألم القوي الذي اشتدت
حدته للتو وهو يسمعها تقول بصوت ساخر:

- لا بد أنه كان جحيماً..

فتح ستيفن عينيه في فزع حيث إن صوت ليز في تلك اللحظة كان مطابقاً بدرجة كبيرة لصوت تلك الفتاة التي أيقظته من ذلك الكابوس المروع، لينظر إلى عيني ليز القلقتين والمشفقتين عليه - واللتين تتنافيان تمامًا مع ذلك الصوت الساخر الذي صدر منها منذ قليل - وهي تكمل بصوت امتلأ بالحزن لحال والدها الذي تكالبت عليه الأحلام السيئة لأسابيعٍ عديدةٍ دون توقف:

- لقد زاد أمر تلك الكوابيس عن الحد..

كانت أنفاسه قد بدأت تهدأ أخيراً، كان ما يزال ينظر إليها في ارتياب عندما سألها بعينين نصف مفتوحين بعد أن اعتدل أخيراً في جلسته:

- ما الذي كنتِ تفعلينه بالقرب من رأسي قبل أن أستيقظ؟!

- كنت أصرخ في أذنك قائلة لك استيقظ!!

كان الارتياب ما يزال يتلاعب بقلبه بعد أن أوماً برأسه في صمت وهو يسمعها تسأله إذا كان يريد مساعدتها في إعداد طعام الإفطار؟ فطلب منها أن تسبقه إلى المطبخ وسوف يلحق بها على الفور.

لكنه لم يستطع منع نفسه عن أن يسألها في شغف:

- هل كل ما قلته هو استيقظ...؟ ولم تقولي أي شيء آخر..؟

ألم تقولي مثلاً أي كلمة أخرى.. ألم تطلبي مني الهروب!!

- لا.. لقد كنتُ أقول لك استيقظ.. أنت مَن كان يردد
اهرب أثناء نومك.

فاكتفى ستيفن بإيماءٍ من رأسه بتلك الأجابة وقد أصابه
الشك أن يكون تأثير ذلك الكابوس ما يزال نافذاً إليه،
ثم أطرق برأسه إلى الأرض في صمت خاصة عندما رأى تلك
الابتسامة الهادئة على شفيتها الصغيرتين.

ابتسامة أصبحت ملازمة لها كلما وقعت عيناه على
وجهها..

ابتسامة أصبحت تثير القلق بقلبه بدلاً من الطمأنينة..
ابتسامتها المعتادة ولكنه أصبح لا يريد رؤيتها مجدداً.



(5)

كانت هادئةً مطمئنة، وقد تركت أوصالها تتراخى وتلك
المياه الدافئة لحوض الاستحمام تتخللها

الأفكار التي تحوم برأسها مشوشة، ولكنها لا تبالي لكل
هذا الآن، فلقد أصبح مصب اهتمامها في الوقت الحالي أن
تستمتع بتلك المياه الدافئة والتي تعيد الحيوية لجسدها
البض.

أرادت أن يعمّ رأسها الهدوء، ولكنّ فكرةً أن هناك خطبا
ما بأختها ليز كانت ما تزال تستحوذ على جانب كبير من
تفكيرها.

لقد فُصِلت أختها من المدرسة لمدة أسبوعين لسبب
من الصعب عليها تصديقه.. أبوها أخبرها أكثر من مرة أن
تتحدث معها، ولكن ليز تمتنع عن الحديث معها.. تتهرب
منها.. تحبس نفسها بعيداً عنها عندما يكون أبوهم غائباً.
لقد أصبحت أختها أكثر وحدةً.. وعزلةً.. وغموضاً..

لقد أصبحت أفعالها أكثر غرابة وأكثر ريبة..

لكن الشئ الذي يثير بالفعل الشك والتعجب، والمثير
للريبة بأختها هو تحديقها المستمر في ذلك المنزل المهجور
أمامهم.. وفي أوقات غريبة..

لقد استيقظت يوماً لتمر بجانب غرفة ليز أثناء ذهابها

إلى الحَمَّام، كانت الساعة تجاوزت الثانيةً بعد منتصف الليل حين وجدت باب غرفتها مفتوحًا بعض الشيء حيث الظلام الدامس يسود غرفتها بالكامل إلا من ضوء القمر الضعيف المتكدسة السُّحُب أمامه.. حين وجدت ليز تقف في هدوء أمام النافذة تنظر إلى ذلك المنزل المهجور أمامهم تهمس بصوت ضعيف بكلمات تكاد تكون غير مفهومة حتى اقتربت من الباب لتسمعها تردد في صوت واهن وبشدة:

- لا يوجد أحد هناك.. لا يوجد أحد هناك..

ولكن يبدو أن الأخرى أخيراً انتبهت إلى وجودها حيث التفتت إليها لترمقها بنظرة حادة.. نظرة كراهية لا تستطيع نسيانها حتى الآن.. نظرة مخيفة أجبرتها على الانسحاب من أمام باب غرفتها على الفور في صمت.

نظرة لا تستطيع أن تمسحها من ذاكرتها حتى حين تغمض عينيها بشدة لتغمس رأسها أسفل سطح الماء.. نظرة متشبثة بعقلها، تثير الرعب بقلبها كلما تذكرتها.

تعود مجددًا برأسها فوق سطح الماء.. حيث الهواء.. حيث تطلق زفيرًا حارًا مختنقًا بصدرها قبل أن تأخذ نَفَسًا طويلًا محاولةً خلاله تهدئة نفسها.

الصمت والهدوء يعمان المكان والذي يكاد يكون معتمًا بالكامل لولا ذلك الضوء الضعيف للقمر الذي بالكاد يستطيع إضاءة المكان من حولها خلال تلك النافذة الصغيرة لحَمَّام

المنزل.

تتذكر أنه يجب عليها الاتصال بصديقاتها من أجل الترتيب لتلك الحفلة الكبيرة التي ستقام في رأس السنة، تتذكر أن هناك أمورا مهمة يجب عليها القيام بها، ولكنها تتكاسل وتلقي برأسها أسفل سطح الماء لتصبح مغمورة بالماء الدافئ بالكامل مجدداً.. إنها عادة سيئة لها منذ الصغر ولكنها لم تستطع التخلص منها يوماً.

تشعر بالمياه تزداد برودةً حول كتفيها قبل أن تقرر العودة للسطح مجدداً قبل نفاذ ذلك الهواء المختنق برئيتها. تطلق العنان لرئيتها ليطلقا سراح ذلك الهواء المحتبس بداخلهما ليستبدلاه بآخر.. بارد!!

لقد لاحظتُ ازديادَ برودةِ المكانِ من حولها وخاصةً بالقرب من كتفيها، الحُمَامُ أيضاً يزداد برودة مع كل لحظة تمر أصبحت تستطيع رؤية ذلك الهواء الساخن المنطلق من فمها كبخارٍ أبيضٍ استطاعت أصابع يدها أن تمر خلاله عندما رفعت يدها اليمنى عالياً لتزيل تلك المياه والتي تشوّش عليها الرؤية عن وجهها وعينيها.

كانت تلك التغيرات قد أثارت الخوفَ بداخلها حتي سمعت همساً خافتاً ينطلق من ذلك الركن المظلم المقابل لها والذي لا يصل إليه ضوء القمر.. همساً أثار الذعر والخوف الشديد بقلبها، وجعلها تنكمش على نفسها.. همساً

جعلها تقول بصوت عال:

- أبي.. أبي..

همساً تَرَدَّدَ بأرجاء وأركان ذلك الحمَّام الصغير القابعة به
قبل أن يختفي فجأة..

كانت ما تزال تنادي أباه بصوت عالٍ عندما أَحَسَّت
ببرودة شديدة لأيدٍ قد أمسكت بكتفيها في قوة وإحكام
شديدين.

أيدٍ لا وجود لها ولكنها تشعر بلمسها وبإحكام قبضتها.
أيدٍ تغوص بها أسفل سطح الماء والذي بدأ يفقد دفئه
تدريجياً ليصبح شديد البرودة..

أيدٍ تعيقها عن الحركة وتبقيها بقاع ذلك الحوض، مانعة
إياها من التملص، ولا تترك لها أملاً في أي نجاة.

كانت تندفع بشق الأنفس ليستطيع وجهها أن يعبرَ
بصعوبة بالغة فوق سطح الماء لتصرخ مناديةً أباه.. كانت
تندفع بكامل قواها الخائرة مقاومةً أيدي لا قدرة لها على
إيقافها، مستنجدة بأي أحد أن ينقذها، ولكن تلك الأيدي
سرعان ما دفعتها مجدداً لأعماق ذلك الحوض القابعة به.

كانت تقاوم ما لا تراه.. تتملص من أيدٍ لا وجود لها..
حتي رأتهم.. تلك العيون السوداء والي تَبْدُل بياضها بلونٍ
أحمر دموي.. عيون تقترب منها وتتوعد لها بعذاب لا نهاية

له، تتوعد لها بموت مؤلم لن ينقذها أحدٌ منه.



كان يفتح عينيه في ببطء ليرى سطح المكتب الملتصق به وجهه قبل أن يعتدل بجلسته في ببطء ليفرد كِلتا ذراعيه أمامه بكسل وخمول شديد، ينظر إلى ساعته التي تعدت التاسعة مساءً قبل أن ينظر مجدداً إلى أوراق العمل المتناثرة أمامه والتي بدت بلا نهاية.

لقد أراد أن يأخذ قيلولةً صغيرة لا تتجاوز ساعة واحدة، ولكنها امتدت لتتجاوز ست ساعات، لكنه لا يشعر بالحزن لذلك بل بالراحة، إنها أول مرة يستغرق فيها في النوم دون أي كوابيس منذ أسابيع، ولكن على الرغم من ذلك بدا صوت جين الصارخ بذلك الحلم الغريب واقعياً بطريقة مريبة.

يقرر أن يفرد قدميه.. يقرر أن يقف ليتمشى قليلاً قبل أن يعود مجدداً لتل تلك الأعمال غير المنتهية، يخرج من غرفة مكتبه بأقدام متثاقلة وبخطوات بطيئة قبل أن يسمعه مجدداً.. صوت ابنته جين.. صوت ضعيف ولكن يسوده ألم شديد، إنه قادم من الطابق الثاني بالمنزل.. من الحمام.

يرتقي درجات السلم في ببطء متجهًا إليها وهو يتذمر في ضيق مخمناً أنها قد قامت بجرح نفسها أثناء تزيينها لنفسها.

- آه لمراهقات هذا الجيل..

هكذا يتنهد في يأس ساخرًا من حال ابنته وتفكيرها المزري الذي أصبحت عليه قبل أن يراها أمامه.. ليز.. التي وقفت في صمت تحديق بباب الحمام المغلق قبل أن تنتبه إلى وجوده لتلتفت إليه بعينين مغرورقين بالدموع تسيل كالسيول على خديها لتبلل ملابسها وتقول بصوت حملت نبرته كل معالم الحزن والألم، وبوجه ذي معالم باردةٍ خالٍ من أي إحساس:

- جين بحاجة إلى مساعدة..

وفي تلك اللحظة سمع صوتا ضعيفا لشخص يحتضر وقد أوشك على الغرق من داخل الحمام:

- النجدة.. ساعدوني..

تملكت الصدمة الكاملة من معالم وجه ستيفن قبل أن يندفع بعينين ذاهلتين محدقين تكاد أن تخرجا من محاجرهما إلى ذلك الباب الموصد محاولًا فتحه بلا فائدة، فيصرخ لـ جين التي لم تعد تستجيب لندائه راجيًا منها فتح الباب.

يشدد طريقه.. تشدد ضرباته.. تزداد قوة دفعه لذلك الباب الموصد بلا أي فائدة.

- إنها تموت..

هكذا قالتها ليز في ألم شديد، ولكن بمعالم وجه متحجرة لم تتغير ولو للحظة قبل أن يصرخ ستيفن مندفعًا بكامل قوته مرتطمًا بجانبه الأيسر بباب الحمام ليحطمه وليقع معه على أرضية الحمام الناعمة ليشعر بعدها بألم حاد يتغلغل ب صدره

وجانبه الأيسر بالكامل، وبصعوبة شديدة في التقاط أنفاسه ولكن هذا لم يمنعه من أن يقف مسرعاً ليتجه إلى حوض الاستحمام ليجد جين قابضة أسفل سطح الماء بعينين قد سادهما الذعر والخوف الشديد محدقين تجاه سقف المنزل مما جعله يندفع ساحباً إياها من ذلك الحوض في سرعة.

كان جسدها بارداً وبشدة ولكن ليس هي فقط!!! بل وكذلك الحمّام ومياه الحوض الذي سحبها منه للتو.

تغيرات عجيبة لم يهتم لها في الوقت الحالي بقدر اهتمامه لتغير معالم وجه ابنته ليز الذي سادته الذعر التام عندما نظرت إلى مِراة الحمّام قبل أن تندفع لتهرول بعيداً عنهما غير مبالية لندائه.. غير مبالية لمطلبه بالمساعدة منها.

لم يكن هناك وقتٌ متاح لـ ستيفن لمتابعة ليز فبشرة جين الباردة وصدرها الساكن كانا كافيين لإشغاله.

كان قد أحاط جسدَ ابنته العاري بستار الحمّام من أجل تدفئته، ولكنه لم يعرف بعدُ خطوته التالية.

كان يردّد اسمها بصوت مرتعش سادته القلق الشديد كأنه يحاول إيقاظها من نوم ثقيل قبل أن يدرك بالفعل أن ابنته من المحتمل وبشدة أن تكون قد فارقت الحياة.

يهزها في عنف.. يصرخ بوجهها.. يضرب وجنتيها في رفق بيد مرتعشة واهنة قبل أن ينتفض قلبه في قوة عندما لا يجد أي استجابة من ابنته الصامتة.

يصرخ بوجهها.. يستمر في ضرب وجهها في رفق.. يصرخ طالبًا المساعدة بدون أن تفارق يدها كتفيها.. يعلم أنه لن يسمعه أحد.. يعلم أنه لن يجيبه أحد.. يعلم أنه لن يساعده أحد.

لكنه لم يسطع مفارقتها.. لم يستطع تقبل الأمر.. ليس بعد.
لقد كاد أن يملكه اليأس، كاد أن يتمكن منه ذلك الصوت الصارخ بداخله قائلاً:

- إنها قد فارقت الحياة بالفعل.. لم يعد هناك أمل في إنقاذها..

صفعها بأقصى قوته قبل أن يصرخ فيها بأعلى صوت تمكنت شفتاه من إطلاقه، هاتفاً باسمها بعينين تفيضان بالدموع، ليراها تنتفض أخيراً.. ليراها تستنشق الهواء بصعوبة بالغة وليرى تلك المياه تندفع من داخل فمها في قوة.

رآها ترتعش وتهتز في رعب وخوف شديد لتدفعه بعيداً، لكنه لم يترك لها الفرصة لذلك، ليضمها إلى صدره في قوة.

كانت تصرخ وتبكي في آنٍ واحد غير مُلاحظةٍ نحيبه المكتوم وما أُمَّ به من خوف شديد منذ لحظات قليلة.

كان يردد لها في بصوت مرتعش أضاف إليه من الهدوء ما استطاع محاولاً طمأننتها:

- لقد انتهى الأمر يا عزيزتي.. أنِ بخير وعلى ما يرام الآن..

في حين لم تكف هي عن ترديد:

- تلك العيون.. لقد كانت تريد قتلي..



لقد مرَّ على تلك الحادثة أكثر من أربعة أيام، ولكن حدثها كان ما يزال تأثيرها جاريًا على أفراد المنزل بأكمله.

جين التي أصبحت تخشى الظلام مؤخرًا، وأصبحت لا تستطيع النوم إلا وأنوار غرفتها مضاءة..

ليز التي أصبحت تصرفاتها غير طبيعية، وأصبحت تتفادى النظر إلى أي مرآة منذ رؤيتها لمرآة الحمام أثناء فقدان جين لوعيها وتفحصها لها..

خوف ليز الحديث للمرايا أثار الريبة والقلق في قلب ستيفن، وخاصة أنه ألقى نظرة خاطفة على مرآة الحمام أثناء حمله لـ جين من الحمام إلى غرفتها، ولقد كانت.. طبيعية للغاية!!

لكن نظرة ابنته المريية لها.. نظرة الذعر الشديد الذي تمَّلَّك من عينيها.. هروبها وعدم استجابتها لندائه.. كل هذا يدفع عقله للتفكير بالأمر مرارًا وتكرارًا.

أفاق ستيفن من محاولته الفاشلة في النوم، فحتى قيلولة الظهيرة لم يعد يستطيع أن يحظى بها ولو في يوم إجازته والأهم من ذلك كان هناك صوت طرقات على باب المنزل،

وكان يظن أن الطارق ليز، فلقد طلبت منه الخروج منذ ساعتين لزيارة إحدى صديقاتها والتي سقطت ضحية لحُمى حادة وقوية من أجل الاطمئنان عليها، لم يستطع منعها عن ذلك وخاصة بعد مكوثها بالمنزل لأيام طويلة بعد حادثة حملها سكيناً إلى مدرستها!!

لقد طلب منها ألا تتأخر عن الساعة الرابعة مساءً، والساعة الآن تخطت الرابعة والنصف فوقف مسرعاً ينزل درجات السلم ليفتح الباب أملاً أن تكون هي، لكنه فوجيء باثنين من جيرانه وربما كانا الاثنين الوحيدين اللذين يعرفهما من جيرانه، وهما مانديل رنولد، وباتريك فوكس.

يراهما طوال الوقت معاً على الرغم من كم الاختلافات المتواجدة بينهما، والي جعل منهما ثنائياً غريب الشكل والطبع، ف مانديل رنولد شخص حسن المنظر نحيل الجسد مهتم بمظهره العام دائماً، ومن الناس المختصرة جداً في علاقاتها ولكنه يحسن معاملة الجيران، وإن كان نادراً ما تعامل معه ستيفن في تلك الأشهر القليلة التي استقر فيها بتلك المدينة المتواضعة. أمّا باتريك فوكس فشخص سمين البدن، ملامح وجهه كروية، وما يميزه هي تلك الذقن القصيرة والتي يبدو أنه أطلقها عن طريق الخطأ أو كتغييرٍ من شكله العام فقط لا غير، ويبدو أنه حلق جميع شعر رأسه ليمتلك تلك الرأس الصلعاء اللامعة نهائياً والمنطفئة ليلاً، وعلى عكس مانديل فهو من الشخصيات الاجتماعية جداً بالمنطقة حتى أنه أول من

رحب به عندما أتى المكان، وإن كان أول لقاء به كان يشوبه حزنٌ ما شعر به، وكأنه لم يكن يرحب بوجوده في هذا المكان على الرغم من استقباله الحار له ومساعدته في نقل الأثاث عندما علم أنه اشترى ذلك المنزل والذي يفصل بين منزله ومنزل مانديل.

كان مانديل يطلب من ستيفن أن ينضم إليه في حفل عيد ميلاد ابنه ريس والذي سيبلغ اليوم الثانية عشرة من عمره، وأكداً عليه أن يحضر كتعريف لنفسه ومن أجل توطيد علاقته بباقي الجيران.

- نصيحة جيدة..

هكذا أجاب ستيفن طلب مانديل وباتريك اللذين انصرفا في سرعة بعد أن أتما مهمتهما كمن يهرب من شيطان رأياه للتو.. إنهما بالتأكيد لم يقصدا ابنته ليز القادمة من آخر الشارع، ويبدو أنها اصطحبت إحدى صديقاتها لتأتي بها إلى المنزل.

كانت صديقتها ترتدي فستاناً أسوداً قديماً الطراز، وقد تركت ذلك الشعر الأسود الناعم لها ينسدل على وجهها.. مواصفات لا تتناسب إلا مع شخصية خيالية غير موجودة إلا بعقله هو فقط!!

شعر ستيفن بذلك التيار الكهربائي يجري في كل عروقه، وبالدماغ تكاد تتوقف في شرايينه من قوة الصدمة وهول

المفاجأة، مما جعله يَخرج مسرعًا إلى الشارع تجاه ليز وقد سيطر على عقله الخوف والرعب التامان ليشعر بأن قدميه لا تقويان على حمله وهو يجري تجاهها وخاصة أنها قد لوّحت له بيدها بعد أن رآته قادمًا إليها.. كان ستيفن قد اقترب كفاية منها عندما حذق بتلك الفتاة التي.. اختفت!!



حلّ الليل بسرعة قاضيًا على تلك الشمس وعلى ذلك اللون الأزرق للسماء ليحل محله القمر مصطحبًا معه اللون السوداوي للسماء والرمادي لغيومه، وسرعان ما كان يتجه ستيفن وابنتاه إلى ذلك الحفل الذي أقامه مانديل ملتمسين بعض الصحبة التي قد تنسيهم ما حدث معهم في الأيام السابقة، وبمجرد أن اقتربوا من المنزل ورأاهم باتريك حتى استقبلهم بحفاوة شديدة أشعرتهم بأن الحفل قد أُقيم من أجلهم، وسرعان ما افترق ستيفن عن ابنتيه ليعرفه باتريك على هذا وذاك من أشخاص عديدين من أصدقائه في مختلف المجالات، فهذا يعمل كطبيب وهذا مهندس وهذا ميكانيكي وهذا وهذا.. وسرعان ما تذكّر ستيفن أنه نسي تلك الهدية التي اشتراها منذ قليل لابن مانديل، فاستأذن في الانصراف ليحضرها، ولكن باتريك أصرَّ على أن يذهب معه ثم يعودا معًا، وبمجرد أن اقتربا من المنزل توقّف باتريك بتلك البقعة الخضراء الموجودة بفناء المنزل الأمامي، وعلى بعدٍ مناسب من المنزل يقدر بمثابة ثلاثة أمتار، ثم أخبر ستيفن بعينين قلقيتين

وبوجه شاحب أنه سينتظره في الخارج، فارتسمت تلك النظرة الحيرى بعيني ستيفن لأنه بالفعل لاحظ في الأيام الأخيرة أن باتريك يتفادى دخول منزله بأي طريقة ممكنة، فهو بعد كل شئ لم يدخل منزله سوى مرة واحدة عندما ساعده في نقل الأثاث وحتى من نظراته كان يبدو أنه يريد أن يتفق شيئاً ما ثم أسرع بالخروج عندما أنهى وظيفته معه.

كان من الواضح أن باتريك يخفي عنه شيئاً ما.. ولكن هذا التوقيت لا يسمح له بأي استجواب لأي احد، فلقد قبل دعوة مانديل إلى الحفل لكي يستطيع نسيان ما يمر به من أوهام وهلاوس تضطرم بعقله، وبمجرد دخول ستيفن المنزل تخلص من تلك الوسواس التي تعبت بفكره، ودخل إلى المطبخ ماراً بغرفة المعيشة حيث وجد هديته كما تركها فأسرع بالتقاطها لينطلق عائداً إلى باتريك، ولكن قبل ان يلمس مقبض باب المنزل سمع ضحكتها.. ضحكة ابنته ليز.

كانت ضحكاتها تنطلق من غرفتها بالطابق الثاني مما جعله يندهش متسائلاً ما الذي جعلها تعود هي الأخرى إلى المنزل؟!.. هل نسيث شيئاً ما أجبرها على العودة؟!!

صعد ستيفن درجات السلم منطلقاً إلى حجرة ابنته الصغيرة بعد محاولة فاشلة لإيقاظ أنوار منزله النائمة، حيث لسبب ما لم تعمل تلك المصابيح وهذا لم يفاجئه فكهرباء المنزل بأكملها بحاجة إلى تغيير شامل، بالإضافة إلى ذلك فإن المكان غير معتم بالكامل ليثور الخوف بداخله مما جعله

يكمل طريقه للأعلى ليدلف عبر باب الغرفة الخاص بها ليراها تقف في الظلام مرتديةً ذلك الفستان الأصفر البسيط ناظرةً من خلال النافذة إلى ذلك الحفل الصاخب في صمت فقال متسائلاً:

- عزيزتي ما الذي جعلكِ تتركين الحفل.. وتأتين إلى هنا؟؟

فسمعتها تقول بصوتٍ حزينٍ:

- كنتُ أتمنى ان يقام لي حفلٌ مثل هذا..

فقال في دهشة:

- عزيزتي نحن اقمنا لك مثل هذه الحفلات في أعياد ميلادك.. ألا تذكرينها.. ؟

لكنه سمعها تكمل كأنه لم يقل أي شيء:

- كنت أتمنى ان أحاطَ بمثل هذا الحب يوماً..

مما جعل ستيفن يقترب منها وقد غيِمَ الاستغراب والذهول على معالم وجهه وليصطدم بذلك الحائط من الحيرة الذي جعله لا يستطيع فهم لماذا تقول ابنته مثل هذا الكلام؟؟

هو لم يحرمها من أي شيء.. بل أغدق ليزَ بكل حب استطاع قلبه أن يخرجَه رغم علمه إن كانت توجد أي مشاعر في قلبه فسوف تخلو من أي مشاعر صادقة مثل الحب والصدق والغفران والسماحة وغيرها..

وبالقرب منها جثا علة إحدى ركبتيه ليحيطها بذراعيه
وليضم ظهرها إلى صدره وليطبق يديه على صدرها ليشعرها
ببعض من حنانه قبل أن يقترب بوجهه من وجهها الأبيض
الشاحب في الظلام وهو يكمل:

- لماذا يا ليز؟ هل حبي لك غير كافٍ؟؟

فسمعها تقول في يأس:

- عِدي يا أبي.. عِدي بأنك لن تتركني أبدًا إلى أن يفرق
الموتُ بيننا..

كاد ستيفن أن يعدها لولا أنه تساءل مندهشًا لماذا يشعر
ببرودة شديدة ببشرة ليز عندما ألصق خده بخدها؟ وببرودة
أيضًا بكفيها اللتين أمسكتا في قوة يديه؟!.. لكنه عرف السبب
لاحقًا عندما رأى ليز.. تلعب مع مَنْ تعرفهم مِنْ أصدقائها
في وسط الحفل!!

كان ستيفن يشعر بألم شديد في رأسه كمنْ صُدم بمطرقة
حديدية بلا هوادة ولكن هذا لم يكن الشعور الوحيد الذي
يخالجه في تلك اللحظة، فذلك الإحساس بالخوف الذي سيطر
على جسده، وشعوره بالدماء تأبى الحركة في عروقه ليشعر بذلك
الضعف يغزو جميع أنحاء جسده التي رفضت الإجابة لمطلبه
الوحيد وهو الهروب قبل أن يسمعها تقول في يأسٍ وحزنٍ:

- إلى هذه الدرجة تريد التخلص مِنِّي!!.. إلى هذه الدرجة

لا تحبني!!

لم يستطع أن يجيئها خاصة بعد تملُّك الصدمة من عقله..
وسرعان ما غزا الخوف والفرع الشديدان ملامح وجهه عندما
أبعدَ رأسه عن رأسها في بطاء للخلف لينظر إلي فستانها الأصفر
يتغير لونه للأسود، وقد بدأ يفقد رونقه ومرونته ليصبح رثًا
وباليًا.. ولكن هذا لم يثر الفرع داخله بقدر رؤيته لتلك العين
السوداء التي برزت خلال الشعر من مؤخرة رأسها والتي
اكتسى بياضها بحمرة شديدة.

فقط الخوف هو ما يملكه عندما ينظر إلى تلك العين
التي تُجرّد روحه عن جسده.. فقط الخوف هو ما يملكه
عندما ينظر إلى تلك العين التي ترى خلال العظم واللحم ما
تخفيه نفسه من مخاوفٍ وآلامٍ ومساوئ.. كان يشعر بقفصها
الصدري قد توقف عن الحركة.. قد توقف عن الحياة.. فيبدو
أنها لم تعد تحتاج للتظاهر بأنها ليز بعد أن اكتشف ستيفن
كل شيء، فبعد كل هذا اكشف أنها لا تحتاج للتنفس لتبقى
على قيد الحياة.. ومَن يعرف ما تحتاجه حقًا؟!

حاول ستيفن بكل الطرق التملص من قبضة يديها التي
أحكمت الإمساك بيديه وسمعها تقول في ألم:

- لماذا تريد التخلص مِنِّي؟؟.. لماذا لا تريد أن تتقبلني؟؟..
ألا تجدني مطيعة بما فيه الكفاية لأستحق حبك!!.. لماذا لا
تُرِنني ما يزعج قلبك حتى أخلصك منه؟؟

وفي تلك اللحظة سمع ضحكتها الساخرة وهي تكمل:

- بل إلى متى ستستطيع حماية قلبك مني؟؟

وبدأ ستيفن يشعر بذلك الظلام يغزو عقله.. وبدأ تسرب الوهن والضعف لأطرافه لتخور قواه وليصبح غير قادر على الحركة.

شعر أنه يفقد وعيه، وأن عقله قد استسلم لتلك العين اللعينة ليجر في ظلمات ليس لها نهاية، لم يعد يوجد أي أنوار تحيط به، ولم يعد يسمع أي أصوات من ذلك الحفل الصاخب المجاور له، إنه وحيد الآن لا يحيط به سوى الصمت التام.

استمر ذلك الصمت لفترة طويلة قبل أن يستطيع سماع ذلك الصوت يزداد قوة شيئاً فشيئاً.. إنه بكاء لطفلة.. لا بل لطفل.. ولكن لا يهم فذلك الصوت لن ينقذه على أية حال من تلك النهاية القريبة منه.. ولكن لسبب ما جذبته ذلك الصوت فهو يشعر أنه يعرف صاحبه.. ولكن لماذا على الرغم من قربته منه لا يستطيع أن يراه؟!.. هل ذلك بسبب ذلك الظلام الذي غشي على عينيه بالكامل؟؟.. ولكن ذلك الصوت بالفعل مألوف لأذنيه ويشعر أنه يعرف صاحبه معرفة كاملة، بل وكأنه عاش معه لسنوات قبل يتلفت حوله متسائلاً لماذا يشعر أنه أصبح أكثر حرية عن ذي قبل؟؟.. هل تركته تلك المخلوقة الغامضة؟ أم أنه قد أغشي عليه؟ أم أنه مات؟!؟

المكان معتم للغاية، وهو لا يستطيع الرؤية، ولكنه أخذ يمشي تجاه ذلك الصوت الباكي إلى أن شعر أنه أصبح أمام ذلك الطفل، ولكن على الرغم من ذلك لم يستطع رؤيته، وهنا بدأ نهر الذكريات يصطدم بضاف عقله لتتغلغل تلك

الذكريات إلى أعماقه، ولتروي تلك الأرض الجرداء عقله لتذكّره ولثّريّه أن ذلك الطفل الباكي والذي لم يتعدّ الثانية عشرة من العمر ليس إلا هو نفسه عندما كان صغيراً.. لقد أصبح واضحاً أمامه لأن الطفل يكاد يكون مضيئاً بالنسبة للظلام الذي أحاط بالمكان وإن كان هذا لا يهمه بقدر أهمية أن يتذكر سبب بكائه.

نعم إنه يبكي بسبب ذلك الشجار.. الشجار الذي نشب بين أبويه وانتهى بشئ قاسٍ.. ستيفن يحارب من أجل التذكر، فهو يعلم أنه لا يبكي بسبب الشجار بل بسبب ما نتج عنه.. يعتصر عقله.. نعم لقد طرد أبوه أمّه خارج المنزل في وسط ذلك الطقس السيئ.. إنه يرى الآن بوضوح.. يرى ذلك الطفل الذي بداخله والذي طالما تحاشاه.. يرى الطفل العاجز والضعيف والذي لا حول له ولا قوة، يرى شخصا لا يستطيع تغيير أي شئ في حياته.. إنه يكرهه ويبغضه.. ليس أيّاه بل ذلك الطفل.. إنه يكره نفسه!!

يشعر ستيفن بالاحتقان وبقلبه يشتعل بنيران الكراهية.. تلك النيران التي تحرق حاملها فقط وتجعله ساخطاً على العالم أجمع.. ذلك الطفل تتلاشى صورته شيئاً فشيئاً ويختفي معه صراخه، ولكنه ما زال يسمع صراخ طفل ما ولكن هذه المرة لم يكن هو بل كان صراخها.

كان الظلام قد تلاشى تماماً ليعود إلى غرفة ابنته مجدداً.. ولكن المفاجأة تلك المرة هو أن تلك المخلوقة كانت تمسك

رأسها بقوة مستخدمة كلتا يديها من شدة الألم الذي أصابها ليتحرر ستيفن من قبضتها ومن تلك النهاية السيئة التي كان على وشك المرور بها.

إنه يعلم أن ليس هناك أي وقت ليضيعه.. ويعلم أن عليه الهروب خاصة بعد إحساسه بالقوة تدب بأطرافه مجددًا.. فيأمر قدميه بأن تطلقا العنان خاصة بعد أن رآها تنظر إليه خلال تلك العين السوداء لها بغضب شديد، وبعد أن سمع صوت جزّ أسنانها من شدة الاحتكاك الذي يتم بينهما.

قدماه تأخذانه بعيدًا فيجري بأقصى قوته ولكنها تقترب منه.. يخرج من غرفة ليز في سرعة مذهلة لم يتوقع قط أن يصل إليها.. قدماه تأخذانه بعيدًا فيجري بأقصى قوته.. يكاد يشعر بقلبه ينتفض خارج صدره وهو يهرول عبر تلك الطريقة الصغيرة إلى السلم حيث تمرق قدماه درجاته بسرعة متهورة إلى الطابق الأرضي بدون أن ينظر ورائه لأنه يعلم أنها خلفه تمامًا.. يعلم أن الشيطان الذي يطارده لا يعرف الرحمة، فإن استطاعت أن تُحكِم قبضتها عليه هذه المرة.. فهو ميت لا محالة.. يسمع صوتها بعد أن قفزت من الطابق الثاني لتوفر الوقت الذي ستقطعه إذا هبطت السلم خلفه:

- هل تظن أنه بإمكانك الهروب مني؟؟

قالتها بغضب شديد يستطيع الشعور به من على بعد ألف ميل ليراها تهبط أمامه، ولكنه لن يتوقف خاصة بعد أن أصبح باب المنزل قريباً منه.. يحاول تجاوزها ولكن

بعد فوات الآوان، فقد تمكنت من الإمساك بذراعه اليمنى فيحاول بأقصى قوته الوصول إلى الباب وإن كان يشعر بسرعته تبطيء.. يجدها تلتف حوله مثل ثعبان انقض على فريسته ليختفي ذلك الباب وليحل محله وجهها المغطي بشعرها الأسود الطويل، وليواجه عينها اليمنى مرة أخرى حيث يغطي شعرها الكثيف عينها اليسرى مانعاً إياه من رؤيتها.. ولكن هذه المرة لن يستسلم فهو يعلم جيداً أنه على بعد خطوات من الباب.. وأنه على بعد خطوات من النجاة.... وأنه على بعد خطوات من الهروب من الموت.... يشعر بالضعف يدب في أطرافه مجدداً، ولكنه يستمر في إجهادها وتحريكها إلى الأمام... لقد أحاط به الظلام لي شعر أنه يغيب عن الوعي مرة أخرى، ولكنه استمر في التقدم إلى الأمام حتى شعر بأصابع يديه الممتدة أمامه تلمس ذلك السطح الخشبي للباب وسرعان ما حدث أمر لم يكن يتوقعه وهو اندفاعه القوي ليحطم الباب وليقع خارجاً على تلك الحشائش الخضراء وقد غطي الضباب عينيه اللتين أصبحتا تريان كل شئ وكأنه مغطى بالماء.. ولكن تلك الغشاوة التي غطت على عينيه لم تخدعه عندما رأى باتريك يقترب منه ويميل عليه ليتأكد من أنه على ما يرام، وسرعان ما سمع صوت ذلك الانفجار والذي صاحبه ضوء أبيض شديد القوة لتسود عينيه بعده تلك الشاشة السوداء.



أفاق ستيفن على صوت مانديل الهادئ:

- ستيفن هل أنت على ما يرام؟؟.. أجبني يا ستيفن..

كان ستيفن قد فتح عينيه عن آخرهما، ولكن ما زالت تلك الغشاوة تشوّش الرؤية لديه.. فأغلقهما وفرك عينيه بقوة في حين امتدت يد أخرى لتمسك بكتفه ولتساعده على الاعتدال، ويبد أخرى تقدم كوب ماء بارد ليتناوله في صمت وسرعان ما قال في قلق:

- هل ليز وجين على ما يرام؟؟

فسمع صوت جين تقول في خوف وقلق:

- أنا بخير يا أبي..

ففتح ستيفن عينيه في ببطء ليرى بوضوح كل شئ حوله هذه المرة.

كان ستيفن وابنتاه ومعهما مانديل وباتريك يتواجدون جميعاً بغرفة المعيشة حيث يجلس ستيفن على الأريكة التي أرقدوه عليها عندما فقد وعيه، وفي حين باتريك ومانديل يجلسان على الكرسيين المطوقين لتلك الأريكة، أمّا جين فقد فضلت أن تقف بعيدة بالقرب من مدخل المطبخ حيث أحاطت ليز بحنان.. تلك الفتاة الصغيرة التي تطلعت إلى

أبيها في خوف والذي بادلها النظراتِ القلقة في صمت.

وسرعان ما قال باتريك في صوت هادئ:

- أرجوكِ يا جين.. هل تستطيعين أن تذهبي بأختك إلى غرفتها وتخلديها للنوم؟؟.. فنحن نريد أن نتحدث مع أبيك في موضوع مهم.

ولكنها نظرت إلى أبيها في قلق الذي أوماً إليها بالموافقة في صمت لتذهب مصطحبة معها ليز والتي اندفعت في تلقائية متخلصة من شباك أختها لتلقي بنفسها في حضن والدها ولتدفن وجهها ب صدره ولتحيطه بذراعيها، وليقوم ستيفن بضمها إليه في قوة.

لقد كان في هذه اللحظة يتمنى لو توقف الزمن للأبد ليبقى بهذه الصورة وليبقى معها فقط.. ليشعرها بالدفء الذي لم يشعر به من قبل.. وليشعرها بالحب الذي تمنى يومًا أن يكون محاطا به.. ولكن الوقت يستمر في المرور وما يحدث حوله يجبره على تركها بعينين حزينتين وهو يقول بصوت متألم:

- لا تقلقي يا عزيزتي سوف آتي إليك بعد قليل.. لأطمئن عليك.

لكنه كان على علم بأن هناك احتمالاً كبيراً ألا يحدث هذا اليوم، وسوف يكون على ليز أن تنام بمفردها اليوم، وسوف يكون عليه أن يكون مستيقظاً طوال الليل محاولاً تفسير ما

حدث له منذ قليل.

انتظرَ ستيفن قليلاً ليمسح صورة ليز بعينيهما الباكيين من عينيه، والتي لم تكن تريد الرحيل عن ذاكرته، وليعرف أنه مهما طالبت به الأيام لن يستطيع نسيان تلك الصورة وربما إلى أن يموت.

كانت جين قد أخذت ليز لتخلد بها إلى النوم، وسرعان ما انفض المسرح إلا من ثلاثة وهُم مانديل، وباتريك، وستيفن ذو الوجه المطأطيء إلى الأرض في صمت بدون أن يبدي أي ملامح للآلام التي تتعارك داخل صدره، بدون أن يبدي لأي أحد ما بداخله من غضب ويأس في نفس الوقت فهو يعلم أن هناك خطراً ما يحرق بعائلته وها هو عاجز عن حمايتهم.. عاجز عن توفير الأمان لهم.. لقد أصبح في النهاية فاشلاً مثله.

استيقظ ستيفن على صوت مانديل مجدداً يقول له في جدية لم تخلُ نبرته منها منذ أن رآه وتعرّف عليه:

- أعتقد أنك بحاجة لرؤية هذا..

ثم وضع أمامه على تلك الطاولة الزجاجية الصغيرة والتي تتوسط الأثاث وتتوسط جلستهم بالأخص ملفاً رمادياً يبدو أنه قد حُشد بالأوراق، فنظر إليه ستيفن في استغراب وتعجب، لكنه لاحظ تلك النظرة الجادة التي ارتسمت على وجه باتريك أيضاً مما دفعه إلي فتح الملف.

كان تأثير الصدمة قوياً ومتجلياً بشدة على معالم عينه

المتسعة عندما فتح ذلك الملف ليواجه تلك الورقة التي تحمل رسمة مميزة، والتي كانت البوابة لدخول الشياطين إلى عقله.. رآها.. رأى تلك العين.. رأى ذلك الشعر الأسود الذي ينسدل على وجهها مغطياً معظمه ما عدا جزءاً بسيطاً من وجهها الشاحب وقد اختلط لون شعرها مع ذلك الفستان الأسود البالي.

شعر ستيفن بأن حلقه أصبح جافاً، وأنه بالكاد يستطيع التنفس.. فلقد تجسدت أوهامه لتصبح حقيقة بل وعلى ورق أيضاً.. فأمسك بكوب الماء الذي قدمه له باتريك منذ قليل، ولكن الرعشة التي سرت بيده جعلته لا يحكم الإمساك به ليسقط منه ولكن لحسن حظه أنه سقط على ذلك السجاد المدثر أسفله فلم يحدث أي صوت.

كانت عيناه لا تستطيعان الهروب من تلك العين اللعينة حتى من خلال صورة.. شعر ستيفن بأن أنفاسه أصبحت ثقيلة، وأنه بالكاد يستطيع أن يلتقطها.. إنه يريد إبعاد تلك الرسمة عن عينيه ولكنه لا يستطيع.. لقد تملكته تلك الرسمة.. إذاً ماذا سيحدث لو قابل صاحبها مرة أخرى؟؟

لكن سرعان ما أمسك مانديل تلك الورقة ليسحبها من أمامه وبدون أن ينظر إليها قلبها على ظهرها ليواجه ستيفن تلك الخلفية البيضاء لها بعد أن وضعها على الطاولة بالقرب منهم، وليسمع بعدها كلاهما تلك الشهقة والتي حاول بها ستيفن أن يجمع كل ما يستطيع جمعه من هواء بداخل

صدره بعد أن شعر أنه كاد أن يفارق الحياة.. وهذا من مشاهدة رسمة ولكن لم يمهله ذلك الملف أي وقت ليلتقط أنفاسه حيث رأي ستيفن أوراق الجرائد القديمة والمكدسة والتي تواجدت أسفل تلك الرسمة والتي تتحدث عناوينها عن جرائم قتل بشعة من آباء لأبنائهم.

نظر ستيفن في هول وفزع إلي تلك الأوراق وما يصاحبها من صور لجثث وآباء مُلقى القبض عليهم من الشرطة، وآخرين في قاعة المحاكمة، كانت الجرائد تتكلم عن جريمة واحدة ولكن بأسماء مختلفة، وعلى الرغم من أن القاتل في النهاية أبٌ والضحية ابنة إلا أن دفاعهم جميعاً كان مبنياً على أمر واحد، وهو أنهم كانوا يحاولون إيقاف شيطان صغير من الاستحواذ على جسد بناتهم وأبنائهم.

أوراق كثيرة أخذ يقلب بينها ستيفن بأيدي مرتعشة بالكاد تقوى على حملها من هول المفاجأة التي يتعرض لها.. إنه يشعر بأن تلك الأوراق ليس لها حصر ولا تريد الانتهاء، مما جعله يقلب بينها في سرعة ولكن مهما كانت سرعته كان يبدو وكأن تلك الأوراق بلا نهاية، مما جعله يدفع بالملف ويلقي به بعيداً لتطاير أوراقه في الهواء ولتتساقط متناثرة هنا وهناك، ثم أخفى ستيفن وجهه المتعرق بين كفيّه محاولاً التظاهر بأن ذلك أحد كوابيسه التي سيستيقظ منها قريباً، لكن بمجرد أن أفرج عن عينيه ليتيح لهما الإبصار والرؤية وجد الأوراق المتناثرة على الأرض ما زالت بانتظاره لتُعلمه أن

ما يراه حقيقة لا يستطيع التهرب منها بعد الآن.

كان مانديل وباتريك يجلسان على جانبيه في هدوء يتشاركان تلك النظرة المشفقة عليه من غير أن يبدي أحدهما أي تعليق.. كانا ينتظران أن تهدأ أعصابه وأن تخف حدة توتره ولكن يبدو أن هذا أمر مستحيل حدوثه خاصة بعد أن لاحظا أنفاس ستيفن المتسارعة وقد ركز ببصره على أوراق الجرائد التي غطت المكان، حيث كانت هناك أوراق أخرى والتي كانت تنافس في كميتها أوراق الجرائد ثم التفت بعينين زائغتين إلى مانديل عندما سمع صوته يقول في هدوء:

- لا بد أنك تسأل كيف حدث هذا؟؟

لكن ستيفن لم يتكلم، بل كان قد فقد القدرة على النطق من هول ما رأى مما جعل مانديل يكمل في هدوء:

- أسباب ظهورها لا نعرفها، ولكننا شهدنا بعض أحداث تلك الشيطانة اللعينة؟؟

ثم أشار إلى نفسه وإلى باتريك مكملًا:

- وربما ما شهدناه قد يساعدك في شيء..

لكن مانديل فوجئ بهجوم يدي ستيفن لتحيطا بعنقه ولتبدأ بعصرها وهو يصرخ في غضب:

- أكنتَ تعلم أن ذلك البيت مسكون وجعلتنا نسكن به؟!

وسرعان ما أمسكت قبضتان فولاذيتان بيدي ستيفن

لتفلهما عن عنق مانديل ثم لتدفعه جانباً ليسقط ستيفن مجدداً على الأريكة، وليجد باتريك يحكم الإمساك بكتفيه وهو يقول في حزم وجدية:

- لا.. ليس البيت بمسكون.. لم يكن بمسكون قط.. لقد عاش في ذلك المنزل صديقٌ لنا قضى فيه أسعد أيام حياته.. لويس كال كنت.. لقد قضى في ذلك المنزل الصغير طفولته بالكامل ومعظم شبابه.. لقد تزوج.. وعاش أطفاله في هذا المنزل بحق الجحيم!!

ثم تنحَّى باتريك بعيداً ليلقي بنفسه على ذلك الكرسي الوثير بجانبه مجدداً قبل أن يكمل بصوت قد خيم عليه الحزن الشديد:

- لقد غادر هذه البلدة وهو مضطراً لذلك.. بعد أن باع بيته ليسدد تلك الديون المتراكمة عليه..

ثم التزم باتريك الصمت مجدداً قبل أن يرى ستيفن قدميه قد بدأت بالارتعاش وهو يكمل بصوت محتقن مختنق بذلك الغضب المكتوم داخل صدره:

- لم يكن المنزل بمسكون قط.. بل كل هذا خطأ ذلك اللعين كريس.. والآن عليك أن تستمع إلينا بحرص وأن تركز في كل كلمة سنقولها.. لأن بعد ذلك سيكون عليك الاعتماد على نفسك ولن يستطيع أحد منا ولو كان الشيطان بعينه مساعدتك أو إنقاذك أنت وعائلتك منها..

قيّد ستيفن غضبه بسلاسلِ الصبر ودفنه بأعماق صدره حتى يستطيع أن يستمع إليهما.. وحاول بكل جهده أن يركز في كل كلمة يقولانها كمن تعتمد حياته على تلك الكلمات التي سيزودانه بها.. بل الحقيقة أنه بالفعل بحاجة لسماع كل كلمة سيقولانها حتي يقرر ما هي خطوته التالية وما الذي سيفعله؟!

خيم الحزن على وجه مانديل والذي تحسس عنقه المتألمة دون شكوى حين اضطر للرجوع بذاكرته قائلاً في صوت ساد نبرته الحزنُ التام:

- لا نعلم كيف بدأ الأمر، ولكننا نعلم شيئاً واحداً هو أنها جاءت مع شخص سكن قبلك هنا كان يدعي كريس جاردنر كمبتون..

استحوذت علامات التعجب على ستيفن ولكنها سرعان ما زالت عندما وجده يكمل:

- أخته ماريت هي مَنْ باعت ذلك المنزل لك بعد وفاته.. ولكن هذا ليس موضوعنا الآن..

ظهرت علامات الغضب على وجه ستيفن عندما تذكر ذلك السمسار اللعين الذي ساعد في عملية البيع تلك، وأقسم أنه سيقتله لو رآه مجدداً ولكنه انتبه إلى صوت مانديل الذي اتجه إلى الجديّة:

- لقد بدأ الأمر مع قدوم كريس إلى البلدة منذ سنتين..

عندها كان منغلّقاً على نفسه.. كانت عائلته مكونة من
 فردّين هُما زوجته الجميلة صوفيا، وابنته الصغيرة فلورا..
 وهنا توقف مانديل عن الكلام وقد تألّأت تلك الدموع
 الصغيرة في عينيه وعندها حرك باتريك شفّتيه استعداداً
 للتحديث ولكنه سمع مانديل يكمل:

- تلك الفتاة الصغيرة التي لم تتجاوز الحادية عشرة من
 عمرها.. كانت.. جميلة بكل معنى الكلمة..

ثم أخرج من جيب قميصه صورة لكريس وعائلته والتي
 يبدو أنه التقطها بمجرد مجيئهم للمنزل حيث كان ما يزال
 هناك بعض من أثاثهم خارج المنزل.

كان كريس متوسط الطول، نحيلاً يبدو على ملامح وجهه
 الكِبَر على الرغم من صغر سنه وكأنه عانى الكثير من الأهوال
 التي شاب لها شعره الأصفر، في حين بدأت زوجته الجميلة
 صوفيا ذات الملامح الخلابة كأخته الصغيرة وليس كزوجته،
 حيث يبدو أن الفارق العمري بينهما كبير.. كان وجهها
 ناصع البياض مما جعل شعرها الأحمر يعطيه رونقاً خاصاً
 به، وكذلك عيناها الزرقاوان مثل لون البحر لتتلاءم مع تلك
 الأنف الصغيرة والشفّتين الصغيرتين مثل حبات كريس والتي
 تجبر أي شخص على إختلاس النظر إليها.. كانت بالفعل
 جميلةً وزوجته.. ربما هذه الجينات الراقية هي ما جعلت
 فلورا والتي كانت نسخة من أمها تبدو كملاكٍ طاهر عندما
 توسطتهما في تلك الصورة وقد أمسك كل منهما بإحدى يديها

وقد تَلَأَّت تلك الابتسامة على شفيتها.

لكن على الرغم من ذلك كان الإعياء واضحًا على فلورا.. بسبب وجهها الشاحب وبسبب ذلك السواد البارز من أسفل عينيها.. كان كل شئ يخبره أنها ليست على ما يرام.. انتبه ستيفن إلى باتريك هذه المرة الذي قال في حذر وكأنه قد قرأ أفكاره:

- لا يغرك مظهر الإعياء الذي تبدو عليه فلورا، فقوة هذه الفتاة توازي عشرة رجال..

لكن مانديل قاطعه قائلاً:

- ولكن هذا بعد أن عادت إلى الاستحواذ على جسدها مرة أخرى..

فنظر إليه ستيفن في تعجب وقد أكمل مانديل حديثه متظاهراً بالهدوء:

- في البداية كان كل شيء عاديًا.. مجرد زوجين جديدين قادمين يحاولان بأقصى جهدهما الاستقرار في تلك المدينة الهادئة.. كانت الأمور على ما يرام ولمدة شهرين من مكوثهما في البلدة حتى ذلك اليوم الذي سمعت فيه صراخ صوفيا..

في هذه اللحظة قاطعه باتريك بجدية قائلاً:

- كنتُ قريبًا من منزلهما، وكانت الساعة الحادية عشرة مساءً حيث قررتُ الذهاب لشراء بعض الأطعمة وبعض

متطلبات المنزل، وعندها سمعت الصراخ فكنت أول المسرعين إلى منزلهم.. لقد اعتقدتُ أن هناك مكروها ما حدث لهم، أو ربما اشتعل حريق في منزلهم.. أو أن لصًا حاول سرقتهـم.. أيا كان.. لقد كان الباب موصدًا بقوة مما دفعني إلى كسره عندما سمعت استنـجاد صوفيا بكريس وطلبها للنـجدة.. عندها كان مانديل قد وصل إليّ ثم اندفع كلانا تجاه صوتها..

قاطع مانديل باتريك قائلاً بنفس الجدية وبحزنٍ بادٍ بوضوح على صوته:

- لحسن الحظ أننا كنا أول الواصلين إليها؛ لأن ما رأيناه كان منظرًا تشيب له الرؤوس ويدمر إيمان النفوس.. كانت صوفيا تزحف على بطنها إلى الخارج من غرفة فلورا والتي هي غرفة ليز حاليـا.. على ما أظن كما أخبرت باتريك عندما ساعدك في نقل الأثاث..

ثم أشار تجاه الطابق العلوي.. تجاه غرفة ليز مكملًا:

- لقد كانت ملابسها مـضـرجة بدمائها.. وكانت هناك جروح عميقة على سطح ظهرها وبعض التمزق بملابسها وكانت تنزف بغزارة.. لن أستطيع أن أنسي تلك النظرة التي رأيتهـا في عينيها.. نظرة خوف وهلع شديد.. أضف إليها الإستياء الشديد لوجودنا من أجل مساعدتها.. لقد كانت تطلب المساعدة من كريس والذي يبدو أنه كان خارج المنزل ولكن بدلًا منه وجدتنا نحن.. لم أفهم حينها سبب تلك النظرة، ولكنه لم يخفَ لوقت طويل.. كان الأمر غريبًا للغاية.. بمجرد

أن رأتنا صوفيا طلبت منا الهروب.. النجاة بأرواحنا ولكن من ماذا؟!.. لقد أخبرتك أن السبب سيظهر سريعًا.. ولقد تمثل ذلك السبب في فتاة صغيرة رأيناها تخرج من غرفتها في خطوات متباطئة.. رأيناها تمشي عبر تلك الطريقة في هدوء تجاهنا.. أنوار مصابيح الطريقة قد بدأت حينها في التذبذب.. المصابيح كانت تضيئ وتطفأ من نفسها وبدون تدخل من أي أحد..

صمت مانديل لبضع ثوانٍ التقط بها أنفاسه المتسارعة.. وجهه قد بدأ يتصبب بالعرق.. صوته أصبح مرتعشًا.. رآه ستيفن يغمض عينيه عدة مرات في قوة محاولاً أن يبطيء اندفاع تلك الذكريات المروعة تجاه عقله، ولكن يبدو أن محاولاته باءت بالفشل وقد بدا هذا واضحًا عندما سمعه ستيفن يكمل بصوت مختنق تفوح منه رائحة الهلع الشديد والتي لم يستطع أن يخفيها:

- فتاة صغيرة ذات بشرة شاحبة تميل للزرقة، ذات شعر وعينين سوداوين تنافس في سوادهما ظلام الليل المعتم والذي يصبح فيه القمر محاقًا.. كانت تمسك بتلك السكين التي غطيت بدماء صوفيا.. كان لون ملابسها قد تبدل من الأخضر إلى الأحمر من كثرة الدماء التي تشبعت به.. لم تكن تلك الصغيرة هي فلورا ولم نكن نعرف اسمها في ذلك الحين ولكننا عرفناه لاحقًا باسم.. كارمن..

وبمجرد سماع ستيفن لذلك الاسم حتي سرت رعشة باردة

بجسده لاحظها كل من باتريك ومانديل، وعاد ليكمل مسرعًا:
 - كانت كارمن تقترب بذلك السكين من صوفيا، ثم رفعته
 عاليًا لتطعنها الطعنة الأخيرة ولتودي بحياتها..

فقاطعه باتريك قائلاً:

- وهنا قمْتُ بسحب صوفيا ناحيتي، وقام مانديل بضرب
 فلورا أقصد كارمن بقدمه في بطنها دافعًا إياها بعيدًا..
 ثم عاد مانديل ليكمل في قلق كأنه يعيش تلك اللحظات
 مجددًا:

- لا أستطيع أن أصف لك مدى الألم الذي شعرتُ به
 بقدمي.. كأنني قد ضربت قدمي بحائط أسمنتى سميك..
 لكن ضربتي قد نجحت في إسقاطها أرضًا.. وتستطيع القول
 أيضًا إن الحظ قد حالفنا إلى حد ما، فبمجرد اصطدام رأسها
 بالأرض فقدت الوعي.. ولم تنتظر وقتًا طويلاً من أجل تفسير
 ما حدث.. فلقد جاء الرد سريعًا حين رأينا شعر فلورا
 يستعيد لونه الذهبي مجددًا، كذلك لون بشرتها يستعيد
 نضارته في بضع..

ثم تنهد مانديل في ألم قبل أن يكمل:

- استدعينا سيارة الإسعاف بسرعة، ثم قمنا بعدها بربط
 كارمن بإحكام وما إن انتهينا من الأمر كان كريس قد وصل،
 وعندها استيقظت فلورا وكنا قد أرقدناها..

ثم أشار إلى مكان ستيفن مكملًا:

- حيث تجلس أنت حيث كانت توجد أريكة كريس أيضًا..

وهنا أكمل مانديل وقد وقف على قدميه من فرط التوتر الذي لحق بعقله وجسده:

- بمجرد دخول كريس من الباب حتى وجدنا تلك الفتاة تمزق تلك الحبال التي التفت بعناية حولها لتقيدها بإحكام كأنها مصنوعة من ورق، ثم وقفت أمامه مبتسمة في براءة رافعة يديها للأعلى طالبة منه أن يحضنها.. أن يعانقها.. أن يغمرها بحبه.. ولكن ما حدث كان عكس ذلك.. فقد التفت يده حول عنقها ووقع كلاهما على الأرض وهو يخنقها.. يقتلها.. يحاول دفنها بيديه داخل تلك الأرض الخشبية غامرًا إياها بحقه وبغضبه.. لا بل بكرهه.. وعلى الرغم من الآلام التي بدت على وجهها إلا أنها لم تقابله سوى بتلك الابتسامة الرقيقة التي داعبت شفيتها، في حين بدأت يداها ترتفعان في ببطء لتلمسا خده ولتمسحا تلك الدموع التي تساقطت من عينيه، مما جعله يتعد عنها مسرعًا وليُخرج من جيب معطفه حقنة صغيرة غرز إبرتها سريعًا في عنقها ليدخل محتواها في جسدها ولتبدأ عينها في الاستسلام والانغلاق في هدوء..

ساد الصمت لعدة دقائق قبل أن يكمل مانديل:

- وسرعان ما لاحظ كريس تلك السكين والتي غسلها في

سرعة قبل أن تأتي سيارة الإسعاف والشرطة مخلّصًا ابنته من آثار الجريمة الشنيعة التي ارتكبتها للتو وأخبرنا أن ننسي ما شاهدناه وإن سألتنا الشرطة عما حدث فإني سأخبرهم بأنه حدث سطو على المنزل من قِبَل أحد المجرمين والذي هرب بعد أن أتينَا من أجل مساعدة صوفيا..

وهنا قاطعه باتريك في غضب:

- لم أستطع تحمّل الكلام الذي أخبرني به كريس، مما دفعني للتساؤل لماذا يفعل ذلك؟! وما الذي حدث لابنته؟! وما سبب تلك التغيرات التي طرأت على جسدها؟!.. ولكن كانت إجابته لنا.. سأخبركم بكل شيء في الوقت المناسب.

سرعان ما كان مانديل يتنفس الصعداء كمن أراح حَجَرًا كبيرًا كان يطبق على صدره وقلبه حين أنهى باتريك حديثه وأكمل قائلاً:

- وبالفعل تم ما حدث، ولكن بعد أن وعدنا بأن يخبرنا بكل شيء.. وصدّقَت الشرطة أقوالنا لأنه لن يصدق أحد أن هناك طفلة ستحاول اغتيال أمّها لأن هناك روحاً ملعونة تسكنها.. كان هذا يفوق تصور أي شخص.. وبالفعل جلس ثلاثتنا في ذلك المكان الذي نحن فيه الآن.. وشرح لنا ما سأقوله لك الآن.. باختصارٍ شديد إنها روح ضائعة لم تجد السكينة في حياتها، ولم تجد السكينة أيضًا بعد مماتها.. روح لطفلة عانت كثيرًا في حياتها السابقة.. طفلة انتهى بها الأمر بفقدان براءتها لتتحول إلى شيطان قاتل..

- أنت بالتأكيد تمزح؟!

هكذا أراد ستيفن أن يعلق على ما يقوله مانديل، والذي استمر في حديثه مكملًا:

- لقد كنتُ لا أريد إخبارك بهذا، ولكنه أمر لا بد منه.. هل تعلم كيف ماتت تلك الملعونة في حياتها السابقة؟ لقد قتلت جميع أفراد عائلتها..

- ما تقوله مستحيل.. أخبرني أنك تمزح!!

- ثم انتهى بها الأمر بقتل نفسها.. شئ يدعو للجنون.. وما يثير غرابة الأمر أنها فعلت ذلك وعمرها لم يتجاوز الاثني عشر عامًا..

- إن ما تقوله هو الجنون نفسه.. أخبرني أن ما تقوله الآن مجرد هراء.. أرجوك..

- كارمن.. هذا هو اسمها.. هذا ما أخبرنا به كريس..

كان ستيفن ينظر إليه في قلق شديد.. وجهه يتصبب بالعرق.. بشرته أصبحت شاحبة.. كانت كل الدلالات تشير إلى أنه يكاد يفقد صوابه وهو يقول بصوت مرتعش:

- إن ما تقوله مستحيل..

كان كلٌّ من مانديل وباتريك يعلمان أن الأمر صادم بالنسبة له، ولكنهما لم يعلما السبب الحقيقي لعدم تقبله لكلامهما.. لا يعلمان أن تلك الشخصية قد قرأ قصة حياتها

بالفعل في كتاب شهير لمؤلف معروف.. لا يعلمان بأمر تلك المفقرة السوداء التي بحوزته وطريقة سردها حياة تلك الروح الملعونة بأكثر من طريقة.. شئ واحد فقط جعله يتقبل الأمر ألا وهو ذكر المؤلف المشهور أن قصة حياة كارمن واقعية في روايته المشهورة والتي يبدو أنه لم يحالف الحظ باتريك أو مانديل في قراءتها.. بل هذا بالتأكيد من حُسن حظهم..

- نعم بالتأكيد مستحيل.. حتى أنا لم أرِد تصديق ذلك.. ولكن كريس قد أكمل حوارهِ معنا موضحًا كل شئ.. بالتأكيد هناك العديد من الأسئلة تدور برأسك الآن كما حدث معنا.. كيف له بمعرفة ذلك؟؟.. ما علاقته بهذا الأمر؟!.. كريس يعمل كمعالج روحي وكطارِدٍ للشياطين وللأرواح الشريرة.. وظيفة غريبة لكسب الرزق، ولكنه ماهر فيها واستطاع خلالها أن يخلص الكثيرين من معاناتهم إلى أن جاء يوم من الأيام ورُشِحَ لوظيفة مهمة وهي طرد روح لعينة من جسد ابنة أحد الأغنياء، والذي قام باستخدام الكثير من المشعوذين وطاردي الأرواح ولكن لم يستطع أي منهم فعل أي شئ، وكانت هزيمتهم نكراء.. بالطبع لم يتقبل كريس الوظيفة بسبب المبلغ المالي الذي عُرض عليه، بل بسبب حالة الفتاة المريضة التي فتك بها المرض بطريقة بشعة.. وانتهى الأمر بالموافقة.. وهنا أخفى العميل أمرًا في غاية الأهمية.. أن تلك اللعنة قد تنتقل لعائلته أيضًا إن لم يفلح في التخلص منها.. وهنا حدث ما حدث وفشل بطريقة مهينة مثل بقية زملائه.. والأسوأ حدث بالفعل في استحواذ الروح الشريرة على جسد ابنته.. اختفى

كريس عن العالم هو وزوجته صوفيا والتي كانت على معرفةٍ بطقوس طاردي الأرواح، ولكنها فضلت كونها طبيبة على تلك الوظيفة التي تسري في عروق عائلتها مسرى الدم.. واستأجروا منزلًا يقع بعيدًا عن عيون البشر واستمروا في إجراء الطقوس من أجل تخليص ابنتهم من تلك الروح اللعينة، ولكن كل محاولاتهم باءت بالفشل.. بل على العكس كانوا كلما تمادوا في استخدام طقوسهم ازدادت قوتها وازداد استحواذها لجسد ابنتهم.. إلى أن جاء اليوم الذي نال فيه التعب منهم بطريقة بشعة بعد أداء طقوس طويلة المدى والتي استمروا في أدائها لأيام استخدموا فيها كل خدعهم المتبقية، إلى أن نفدت منهم الحِيل تمامًا ولكن تلك الشيطانة بجسد ابنتهم كانت تبتسم لهم وتضحك عليهم كأنهم يلعبون معها لا يحاولون القضاء عليها، وهنا انهال كريس على ابنته ضربًا وأخبرها أنه يكرهها ويلعنها حتى الموت، وأنه يبغض اليوم الذي ولدت فيه.. وفي اليوم التالي اختفت اللعنة كأنها لم توجد..

توقف مانديل عن الكلام نتيجة للإرهاق الذي بدأ يتمكن منه، مما جعل باتريك يكمل في ألم:

- أنا أتذكر تلك الابتسامة التي ظهرت على وجه كريس عندما تذكر أنه تخلص من تلك اللعنة.. ولكنها سرعان ما اختفت.. لتظهر مكانها تلك الدموع التي سرت على وجنتيه لتبلل شفتيه عندما أكمل أنه كان يعلم أنها ستعود إلى الاستحواذ على جسد ابنته؛ لأن اختفاءها لم يكن نتيجة

طقوس، بل لأنها أرادت أن ترى إن كان يكره ابنته كما قال
أم أن ما فعله كان مجرد فعل طائش في لحظة غضب..!! كان
يعلم أنها ستستحوذ على جسد ابنته مرة أخرى لأنها تريد أن
ترى المعاناة في عيون الآخرين مثلما عانت في حياتها.. هذا ما
أخبرنا كريس عن علاقته بها..

ولكن مانديل قاطع باتريك قائلاً:

- ولكنه كان جاهزاً هذه المرة.. لقد أخبرنا كريس أنه قد
توصل لطريقة لإنهاءها وقریباً سوف تكتمل وسوف يريح
الجميع من شرورها، وأنه سيخلص المجتمع من أذاها ويفرج
عن تلك الأرواح التي استحوذت عليها خلال طريقها الدموي
الطويل..

وهنا تذكر ستيفن تلك المفكرة السوداء التي تحتوي على
الأوراق القديمة والتي تحتوي أيضاً على قصتين مسرودين
إحداهما غير مكتملة... وتساءل هل هذه هي الطريقة التي
كان سيقضي بها على كارمن؟؟

انتبه ستيفن إليمانيديل الذي أكمل في هدوء وقد أمال
رأسه إلى الأرض:

- لم تمر أيام على حديثنا معه وتوفيت صوفيا.. لقد حضرنا
جنازتها أنا وباتريك، ولكن يبدو أن كريس لم يستطع البقاء
إلى النهاية.. حتي أنه لم يستطع أن ينتظر حتى تدفن زوجته
وانصرف مبكراً.. كانت الصدمة شديدة عليه ولا أعتقد أنه

استطاع أن يتحمل فراقها لفترة طويلة.. ثم قرر شيئاً ما كنا نعرفه مسبقاً، وكنا نحاول منعه من فعله على الرغم من عدم قوة علاقتنا به.. ولكن كان قد فات الآوان..

صمتَ مانديل ليس بسبب الإرهاق والتعب الذين نالا منه، بل لأنه قد أنهى كل ما يستطيع قوله وكل ما شاهده مع كريس ثم استمَعَ إلى باتريك يكمل:

- كانت ليلة مظلمة.. ما زلتُ أتذكرها جيداً مثلما أتذكر سماءها التي تكاثفت بها تلك السحب السوداء منذرة بحدوث سوء عظيم.. ولكنني خرجتُ من منزلي محاولاً التخلص من بعض الضيق الذي علق بصدري من الأحداث التي رأيتها مع كريس، ولكنني رأيتُه يضع ابنته بداخل سيارته الجيب الكبيرة وقد وضع معها بعض الحاجيات الأخرى التي لم أستطع تبينها بسبب تغليفها بأكياسٍ سوداء، ولكن لم يكن هذا ما يهم فعندما قدمتُ إليه أخبرني بأنه لم يعد يهتم بحياته بعد أن خسر كل شيء، وأنه لم يبق أمامه سوى مهمةٍ واحدة سيقوم بها من أجل إنهاء معاناته ومعاناة ابنته الصغيرة قبل أن يتطور الأمر، وطلب منِّي أن أقوم بأمرين.. الأول أن أقوم بحرق المنزل إن لم يعد بعد الساعة الحادية عشرة مساءً.. أمّا الثاني فأن أخبر الساكن الجديد إن تعرض لها وإن فشل كريس في التخلص منها نهائياً أن الوسيلة الوحيدة للبقاء آمناً منها هو أن يَستخدم الضوء في مواجهتها، فهذا هو الشيء الوحيد القادر على ردعها.. وبالفعل انصرف كريس وملامح

وجهه تحمل الكثير من الحزن والانكسار و.... الموت.. والذي قد عرفنا أنه لحق به وبابنته لاحقًا..

ثم صمت باتريك لينهي كلامه بمسح رأسه من ذلك العرق الذي يتصبب منه بغزارة.

وهنا قال ستيفن متسائلًا:

- وهل أحرقتَ المنزل؟!

فنظر إليه باتريك ثم نظر مرة أخرى إلى الأرض كأنه يحاول أن يسترجع داخل ذكرياته الدفينة أمرًا ما، ولكنه لم يستغرق وقتًا طويلاً في الإجابة عندما قال:

- في الحقيقة لقد احترق المنزل بمفرده.. ولكي أكون دقيقًا في تمام الساعة الحادية عشرة والنصف مساء.. ربما يكون هذا الوقت الذي قد توفي فيه كريس وابنته أيضًا!!.. ربما!!

سرعان ما ساد الحزن واليأس وجوه الحاضرين.. ولكن ستيفن قطع ذلك الصمت الذي خيم على المكان قائلاً:

- إذاً كل ما على هو أن أنتقل أنا وعائلي من هنا.. وأهرب من ذلك المكان..

لكن باتريك قاطعه قائلاً:

- أعتقد أنه ربما اختلط عليك الأمر.. لكن تلك الشيطانة اللعينة لم تكن موجودة بهذا المنزل.. أو في البلدة بأسرها إلى أن قدم كريس وعائلته.. وأظن أنك قد تكون فقدت تركيزك

في النقطة التي أخبرتك فيها.. إن كريس وابنته ماتا خارج البلدة..

فقال ستيفن متسائلاً:

-وماذا يعني هذا؟!

فأجابه باتريك في هدوء:

- نظرياً وهذا ما نعتقده أنا ومانديل أنك أينما ذهبت.. بل أينما هربت فستلاحقك وستجرك وستحوّل حياتك إلى جحيم لا يطاق..

نظر ستيفن إلى الأرض لفترة بسيطة قبل أن يتكلم في يأس:

- إذاً ماذا يجب أن أفعل؟؟.. وكيف أتخلص من تلك اللعنة؟؟

فنظر باتريك إلى الأوراق المتناثرة وأشار إليهم قائلاً:

- نحن لا نستطيع مساعدتك، ولكن ربما يستطيع هؤلاء.. فهي آخر الأشياء التي تبقت من كريس وبحشه، وقد كلفني بأن أعطيها للمشتري الجديد للمنزل أي إليك في حالة ظهور تلك اللعينة مرة أخرى.. وبالإضافة إلى ذلك..

أحضر باتريك حقيبة سفر حمراء متوسطة الحجم كان قد خبأها وراء كرسيه ثم وضعها بجانب ستيفن وهو يقول:

- مصابيح ضوئية ومشاعل إنقاذ وقنابل ضوئية..

نظر إليه ستيفن في دهشة عندما فتح تلك الحقيبة

الحمراء ليجد بالفعل الكثير من القنابل الضوئية بداخلها..
والعشرات من مشاعل الإنقاذ وخمسة كشافات ضوئية
متفاوتة في الحجم وفي قوة إضاءتها، ثم نظر مجدداً إلى باتريك
الذي وقف استعداداً للرحيل قائلاً:

- أعتقد أن هنا يتوقف حديثنا بعد أن تجاوزت الساعة
الثانية والنصف.. وأرجو أن تنسى ما قلته لك في البداية عن
كونك ستعتمد على نفسك فقط بعد ذلك.. نحن بجانبك إن
أردت أي شيء منا، ولكن كما تعلم فالآن ليس لدينا أي شيء
آخر نقدمه لمساعدتك... كل ما نعلمه أخبرناك به..

فارتسمت على شفتي ستيفن ابتسامة صغيرة، وربما
تصنّعها ليشكر بها باتريك ومانديل على مساعدتهما، ولكنه
يعلم لا بل كلهم يعلمون أنه لن يستطيع أحد مساعدته
بعد الآن..



خرج كل من باتريك ومانديل ليتركا ستيفن بمفرده
لمعاناته.. لآلامه.. للعنته.. كان لا يستطيع التفكير في أي شيء
الآن، ولكنه اتبع نصيحتهم بالنسبة للأضواء حتى أنه أضاء كل
مصابيح المنزل.. ثم عاد ليجلس وحيداً على تلك الأريكة بعد
أن غطى وجهه بيديه.. إنه يعلم الآن مدى خطورة الموقف
المحيط به.

استغرق الأمر خمس دقائق قبل أن يزيل ستيفن يديه

عن وجهه لينظر إلى الأوراق المتناثرة على الأرض من جرائد وأوراقٍ أخرى بيضاء مكتوب عليها ملحوظات مهمة، ثم نظر إلى الساعة ليجدها تشير إلى الثالثة صباحًا، ولكنه بدلاً من أن يكون نائمًا فيها هو يجلس على مكتبه محدقًا في أوراق الجرائد التي جمعها بعد أن قرأ أول الملحوظات التي كتبها كريس أن حوادث القتل لم يُقْم بها الأب فقط فهناك حوادث أيضًا انتهت بقتل الأم لجميع عائلتها، وفي أحيان نادرة تقوم الفتاة الصغيرة والمستحوذ عليها بعمل ذلك المجهود المضني.. وبعد أن حصر ستيفن عدد جرائم القتل المتعلقة بتلك اللعنة وجدها قد تعدت الثلاثين جريمة، هذا إن كان كريس يعتمد على أوراق الجرائد فقط في تعقب جرائم تلك الشيطانة، وهنا خطر على ذهن ستيفن تلك الرواية اللعينة والتي منها تعرّف مسبقًا على تلك الملعونة كارمن، فهي قد طُبعت منذ عشرين سنة، فهل هي سبب ظهورها أم أنها كانت موجودة قبل ذلك..؟ فحص ستيفن في سرعةٍ تواريخ تلك الجرائد فوجد أن هناك ما يزيد عن سبع جرائد بها حوادث قتل متعلقة بتلك اللعنة، وتعود تواريخها إلى ما قبل ميعاد نشر الرواية.. إذا فالرواية ليس لها علاقة بتلك اللعنة، بل ربما يكون الكاتب استمد أحداث القتل المتناثرة حوله كإلهام يدعمه في كتابة روايته.. إذا ما سبب ظهورها وعودتها من عالم الأموات؟.. هل تريد الانتقام؟؟ ولكن ممن؟؟

تلك اللعينة قد قُتلت جميع عائلتها وما زالت تستمر في القتل فما الذي تريده؟؟.. كانت تلك الأسئلة مكتوبة بإحدى

الأوراق بدون إجابة، فأخذ يقلب في الأوراق إلى أن وجد أخرى اقتنع بأنها تحتوي إجابة تلك الأسئلة بعد أن كُتِبَ بها بأنها تريد الاستحواذَ على جسد طفلة صغيرة، ولكن بحيث أن يكون أبوها يحمل لها حبًّا شديدًا.. حبًّا تستطيع به أن تعوّض كل ما قابلته من حزن ومشقة ومعاناة.

وهنا يتساءل ستيفن.. إذا كان كريس يعرف عنها كل تلك المعلومات فلماذا لم يستطع أن يتخلص من تلك الفتاة؟؟

سرعان ما وجد إجابة ذلك السؤال في إحدى الأوراق التي كتب فيها كريس أنه جرب معها كل الطقوس الروحية والتي استخدم بها أنواعًا كثيرة من الكتب الدينية ولكنها لم تُجدِ نفعًا.. وكذلك بعض التعاويذ السحرية والتي باءت نتيجتها بالفشل التام.

يقرأ عن تلك الطقوس والتي لم يستطع أن يفهم كيفية تطبيقها، ويقرأ عن تلك التعاويذ والتي اختلفت أنواعها من تعاويذ حماية إلى ختم وقتل، ولكن على الرغم من المجهود المضني الذي بذله كريس في تطبيق تلك التعاويذ والطقوس إلا أنها لم تحظَ بأي نجاح

- ألم يكن كريس قويًا بما يكفي ليصبح نذًا لها وليسطيع مواجهتها..؟ أم أنه اتجه إلى الطريق الخاطئ منذ البداية..؟

هكذا يتحدث ستيفن إلى نفسه قبل أن يعود مجددًا إلى أوراق الجرائد محاولًا التوصل إلى بداية الخيط.. البداية التي

منها ظهرت تلك اللعنة، والسبب الذي جعل تلك الفتاة تعود من عالم الأموات إلى عالم الأحياء.. ما السبب الذي جعلها تتكلف كل هذه المشقة لتستيقظ من راحتها وتواجه عالم البشر مجددًا ولتنشر الفساد والدم في كل مكان؟؟.. ما السبب؟؟

لا بل ما الهدف من كل هذا؟؟.. إنه غير مقتنع بقصة بحثها عن الحب المفقود، فلا توجد روحٌ تفعل كل هذا من أجل الحب.. من أجل شئ لم يره ولم يشعر به من قبل، وعلى الرغم من أنه يتبادلته مع بناته كل يوم وربما شعر بوجوده يومًا ما في بداية زواجه مع سيلينا.. ولكنه لم يؤمن به قط، وإن كان يشعر بشئ بسيط منه عندما يكون معها.. مع ليز.. ابنته الصغيرة التي ما زالت تبعث فيه الأمل يوميًا والتي تتربص بها الآن تلك الحيّة الرقطاء والتي تنتظر اللحظة المناسبة لتنقض عليها، وها هو لا يستطيع أن يقدم لها أي مساعدة.. لا يستطيع حمايتها أو الدفاع عنها.. لا يستطيع أن يفعل لها أي شئ.

كانت كل حوادث القتل تشمل عائلاتٍ من مختلف الطبقات والمهن.. أي أنه ليس هناك رابط مشترك بينهم، وشيئًا فشيئًا بدأ اليأس يتسلل لقلب ستيفن ليدرك أنه يواجه شيئًا يفوق قدراته البسيطة.. فهو ببساطة يواجه روحًا لا يستطيع أن يفنيها بأي أسلوب أو أداة.. ولا يستطيع أن يصرفها بأي تعاويذ أو أختام.. وفي نهاية الأمر ستجعله يقتل من يحب،

ثم يلحق نفسه بها إن استمر في المقاومة.

نظر في حزن إلى إحدى أوراق كريس التي كتب فيها جملة واحدة (أنا آسف يا ابنتي) مما جعله يصرخ بداخله.

إنه لن يصل إلى تلك المرحلة ولن يقول تلك الجملة.. وهنا ترددت على ذهنه تلك المفكرة اللعينة.. ففتح درج مكتبه ليخرجها بسرعة مع الرواية الأصلية، ثم أخذ يحدق فيهما بعد تذكره أن مانديل قد أخبره بتوصل كريس لطريقة سيستطيع بها إنهاء تلك اللعنة، ولكنه على الرغم من ذلك لم يستطع القضاء عليها.. هل هذا لأنه لم يستطع أن يكملها؟!

فتح ستيفن المفكرة السوداء وأخرج ورقة الملاحظات من درج المكتب مجدداً ليراجع ما كتبه.. كانت الاختلافات كالآتي:

ثلاث روايات تختلف فيما بينها في بعض الأحداث وخاصة ذلك الجانب الخاص بتلك اللعينة وعلاقتها مع أبيها، بالإضافة إلى أن نهاية اثنتين منهم لم يكتملا بعد وهذا لسبب غير معلوم، لذلك يرجح أن تلك الرواية والتي يظن أنها كُتبت بيد المعجب هي التي كان يكتبها كريس، أما الاثنتان الباقيتان - الرواية الشهيرة وتلك التي تم سردها على الأوراق البالية - فبدايتهما والأحداث المذكورة بهما بينهما بعض الاختلافات قد تكون طفيفة ولكنها مؤثرة، ولكن بالنسبة للشخصية الرئيسية لتلك الملعونة فهي تختلف في صفاتها تماماً، وخاصة بعد ذكرها بتلك الأوراق البالية القديمة.. إنها عمياء!!

اختلافات لا تساعده في إيجاد حل لمشكلته بل تزيدها تعقيدًا.. اختلافات تجعله يصرخ في يأس قائلاً:

- ما الذي تريدينه منِّي أيتها اللعينة؟؟.. ما الذي تحاولين إثباته بكل هذا؟؟... أخبريني.. اللعنة عليك..

كان يحدق في المفكرة بدون أن يتوقف عن الصراخ فيها وعن سبِّها ولعنها بعد أن أغلقت في وجهه كل أبواب الأمل والنجاة، وبعد أن أصبح واضحًا أنه لا يهم مدى مقاومته فهي ستربح في النهاية مهما كانت محاولاته.

أرخى جسده للخلف مستندًا على ذلك الكرسي الذي يجلس عليه بعد ما أصابه من تعب، وبعد أن تمكّن منه اليأس محاولًا أن يستريح.. محاولًا أن يجمع شتات نفسه.. محاولًا أن يري ثغرة لم يرها العشرات من قبله.. لا بل المئات وربما الآلاف.. فَمِن المفترض به النجاح ضد شيطان يأبى الفناء.

كانت عيناه تأبيان الراحة وترفضان الانغلاق.. فعاد مجددًا للنظر إلى تلك المفكرة، وهنا لاحظ شيئًا غريبًا ليس في ورق المفكرة، بل في ذلك الورق الهرم الملصق بها.. كانت الكلمات تختفي لا بل الحروف التي تشكلها.. كأنها تحاول أن تقول له شيئًا عبر تلك الكلمات المتبقية.

وسرعان ما اختفت جميع الكلمات الموجودة في الورقة تاركة أربعة أحرفٍ فقط بها لتشكّل كلمة واحدة (life) - حياة -.. مما جعله يقول في دهشة وحيرة:

- حياة.. أي حياة..؟ هل تريدني أن أقتل شخصًا ما؟؟..
هل تريدني..

وفجأة عجز ستيفن عن الكلام.. بعد أن تذكر كلام جيرانه وما قرأه منذ قليل من كتابات كريس عن كونها تريد الاستحواذ على جسد فتاة صغيرة لتحل مكانها.. إنه يعرف جيدًا ما الذي تريده من قبل، ولكنه لم يكن يريد تقبل الأمر وها هي الآن تضعه أمام الأمر الواقع بعد أن كشفت جميع الأوراق أمامه بذكرها لتلك الكلمة لتزيل كل الشكوك حول غرضها.. إنها تريد ما هو بمثابة حياته.. تريد عمره.. تريد قلبه.. تريد حياة ابنته مما جعله يقول في صوت مرتعش يشوبه الغضب المكبوت وذلك الضغط الذي يحاول به السيطرة على جماح نفسه الثائرة:

- أنتِ تعلمين أنني لن أعطيك هذا أبدًا.. بل الذي لا تعلمينه
أني أفضل الموت على هذا..

أمسك ستيفن المفكرة بكلتا يديه وهزها في قوة كأنه
يمسك بكارمن شخصيًا وبدأ يصرخ فيها بصوت يعلو مرة
بعد أخرى:

- أنا لن أدع هذا يحدث ما دام يتردد بصدري نَفَس.. لن
أجعلك تلمسينها إلا على جثتي، وإن حاولتِ الاقتراب منها
سأدمرك..

وسرعان ما اختفت الحروف المشككة لكلمة (حياة) لتظهر

حروف أخرى مشكلةً كلمتين جديدتين (الن سلوف) وكان ذلك الاسم معروفًا لديه جيدًا.

نظر ستيفن إلى غلاف الرواية وبالأخص إلى ذلك الحيز حيث يوجد اسم المؤلف والذي بهتت حروفه مع مرور السنين وإن كانت هناك بعض الحروف الواضحة والتي جعلت من السهل تخمين الاسم ((الن سلوف)).

كان التعب قد نال من جسد ستيفن فسقطت المفكرة من بين يديه لتقع على سطح المكتب، وبمجرد ارتطامها به انقطع الضوء عن المنزل ما عدا ضوء غرفة مكتبه الذي ظل ينير المكان من حوله.. ليراها.. تمشي في الظلام وتحاول الاقتراب من غرفته والدخول إليه، لكن شيئًا ما يمنعها عن ذلك.. مما جعله يتساءل هل هو الضوء كما نبهه جيرانه؟؟

كانت تنظر إليه خلال الظلام وقد وقفت أمام الباب محدقة به عبر ذلك الشعر الأسود المنسدل على عينيها.. مما جعله يقف في ببطء مراقبًا إياها في صمت بعد أن جف حلقه، وأصبح جسده كورقة مرتعشة في مهب رياح الخريف تعصف به إلى أطلال الظلام حيث لا يوجد غيرها.. توجه ستيفن ناحيتها محاولًا التخلص من ذلك الخوف الذي يقبض على قلبه معتمرًا إياه ليجعله يشعر بالآلام لا توصف.. ليست بالآلام جسدية بل نفسية.. كانت تقف في مكانها بدون حراك تحديق به وكأنها تنتظر رد فعله.. وما الذي يستطيع فعله ضدها؟!!

كان يكره كونه عاجزًا، مما جعله يقترب ناحية الباب محاولًا في نفس الوقت أن يبقى في الضوء حتي لا تستطيع أن تقترب منه أو بالأخص حتي لا تؤذيه.. كأنه يُريها أنه لا يخاف منها ويحاول أن يثبت لها أنه لا يخشاها.. ولكنه سمع ضحكتها ورآها تتراجع إلى الخلف حتى توقفت عند تلك الأريكة وقد استندت عليها ناظرة إليه، بل وأشارت تجاهه بسبابة يديها اليمنى بأن يأتي إليها.. كان يعلم أنها تسخر منه ولكنه فكر في الأمر، فإن لم يخرج إليها فهناك ابنته ليز بالأعلى وأيضًا جين.. ومن الممكن أن تصيب أيا منهما بمكروه.. امتلأ قلبه بشجاعة وهمية ظن بها أنه يستطيع مواجهتها.. وبمجرد خروجه إلى حافة الظلام عرف مدى الخوف الذي يملكه والذي جعل أقدامه ترتعش.. ولكن ها هو يكمل تقدمه إليها.. كان يتقدم إليها في ببطء شديد حتي شمله الظلام بالكامل.. كان يتقدم إليها مع رعشةٍ تنتشر بجميع أنحاء قدميه مع كل خطوة يخطوها إليها.. أغمض عينيه بعد أن أصبح على بعد خطوات منها منتظرًا منها ما ستقوم بفعله بعد ذلك.. فها هو أصبح أمامها وبعيدًا عن الأنوار كما أرادت.

شعر بيديها تحيطان به وبوجهها تدفنه عند خصره وهي تقول في خوف:

- أبي لقد أخفتني بشدة..

فتح ستيفن عينيه في ذهول عندما سمع صوت ليز الرقيق

وهي تكمل:

- لماذا كنت تجلس في الظلام وحيداً؟!

كانت غرفة المعيشة مضاءة، فنظر إلى ليز وقد شحب وجهها من شدة الخوف ثم قال متظاهراً بالهدوء:

- لا تخافي يا عزيزتي.. ولكني لم أكن أجلس..

ثم نظر ستيفن خلفه إلى غرفة مكتبه والتي كانت حالكة الظلام وهو يكمل في صدمة:

- في الظلام..

نظر ستيفن إلى ابنته مجدداً وقد ابتلع الصدمة كلها في داخله ليمحو ملامح الرعب التي ارتسمت على وجهه للتو وقال في صوت يملؤه الحنان محاولاً تخليص ليز من خوفها:

- لا تقلقي يا عزيزتي.. والدك يحاول إصلاح الكهرباء بالمنزل، ولكن ها هي النتيجة.. يبدو أننا سنحتاج إليى كهربائي وبسرعة.. ولكن لماذا أنت مستيقظة إلى الآن؟!

نظرت إليه ليز في ريبة بعد أن أدركت أنه يخفي أمراً ما لتجيبه في تعجب:

- أنت سبب استيقاظي.. صوتك العالي وصراخك جعلني أظن أن مكروهاً ما حدث لك..

ساد الصمت لبضع ثوانٍ مرت كأنها شهور طويلة قبل أن يتكلم ستيفن مطمئناً ابنته:

- لا يا عزيزتي.. لم يصبني أي مكروه.. إن أعمالي فقط أصبحت أكثر صعوبة..

ثم قام برسم تلك الابتسامة المزيفة على شفثيه والتي تميزها ليز جيداً فهو يستخدمها عندما يريد أن يخفي أمراً ما.. وسرعان ما كان ستيفن ممسكاً بيدها ليعيدها إلى فراشها مرة أخرى لتخلد إلى نوم عميق.

كان ينظر إلى ذلك الملاك النائم بعد أن زالت كل شكوكه حول نوايا كارمن.. متأكداً أن الحائل بينهما الآن مجرد وقت.. لا يعلم كم.. قد يكون أياماً أو شهوراً.. وستستيقظ تلك البريئة لتصبح كارمن بدلاً من ليز مما جعله يقول في غضب:
- على جثتي..

ووقف مسرعاً ليخرج من غرفتها ويسرع بالنزول إلى القبو وليضئ تلك الغرفة الممتلئة بالصناديق القديمة.

أخذ ستيفن يقلب بين الصناديق إلى أن وجد ضالته، شئ يظن أن به سيستطيع إيقافها على الرغم من أن ما حدث معه في غرفة المكتب الخاص به يؤكد عكس ذلك.. مصابيح كهربية ذات قوة إضاءة عالية ومولّد كهرباء احتياطي.. إنه يعلم الآن فقط مدى التعب الذي تكبّده كريس ليحرص على سلامة ابنته.. وفي دقائق معدودة كان ستيفن يبدأ عمله في تركيب تلك المصابيح داخل المنزل واستمر في العمل إلى أن بزغت الشمس، حيث كان يرگّب بعض المصابيح في واجهة

المنزل حيث رآه باتريك والذي تناول أحد المصابيح في هدوء
وناوله إياها فأخذها ستيفن منه بدون أن يتكلم ليسمع
باتريك يقول في هدوء بعد أن لمح ذلك المولّد القديم:

- لديّ واحد أفضل منه إذا كنت تريده..

فارتسمت تلك الابتسامة البسيطة على شفّتيه وهو يقول
في إنهاك وتعّب:

- بالطبع سأحتاجه..

وبعد أن انتهى ستيفن من عمله كان المنزل مثل شجرة
كريسماس في أعياد الميلاد المجيد مثلما علّق باتريك.. كان
يعلم أن هذا مجرد ملاحظة حتي يكسب المزيد من الوقت..

اليوم الأحد والساعة الآن السابعة صباحًا والنحاس بدأ
يتمكن من ستيفن ولكن ليس هناك وقت ليضيعه فهو في
بداية الطريق، وأول الخيط هو (الن سلوف) فأمسك بالهاتف
المحمول ليتصل بزوجته ليخبرها أنه سيسافر إلى باترويج حيث
توجد دار النشر التي تعاملت مع (الن سلوف) وأنه سيضطر
إلى المبيت هناك بضعة أيام.. لذا سيحتاج أن تعود سيلينا إلى
المنزل لترعى كلاً من جين وليمز.. كان يريد أن يخبرها كم هو
يحتاج إليها الآن.. وقبل أن ينقطع الاتصال سمع صوتًا يجيبه
قائلًا:

- آلو مَن معي..؟

لم يستطع أن يتحدث ستيفن من قوة الصدمة.. فهو يعلم

أن اليوم أجازة بالنسبة لـ سيلينا.. أي أنها بالتأكيد في الفندق..
 ما الذي يفكر فيه؟!.. هذا صوت رجل، والساعة الآن السابعة
 صباحًا وهذا يشير إلى شئ واحد فقط ولكنه لم يرد أن يصدق
 الأمر إلى أن سمع صوته مجددًا يقول:

- مَن معي..؟

كان لابد أن يتغلب على تلك الصدمة المسيطرة على عقله
 ليجيبه ستيفن في صوت صارم:

- هل أستطيع التحدث إلى سيلينا؟؟

فأجابه الرجل في سرعة:

- إنها في الحمام.. إذا كنت تريد أن تبلغها بشئ ضروري
 بإمكانك أن تخبرني به و..

ولم يتحمل ستيفن أن يكمل سماع ما سيقوله ذلك الرجل
 فأغلق الاتصال في وجهه.

لقد كانت الشكوك تساوره بأن سيلينا على علاقة بشخص
 ما لكنه لم يرد تصديق هذا يومًا، وسرعان ما سمع رنين
 هاتفه حيث ظهر اسم زوجته على الشاشة الصغيرة للهاتف..
 مما جعله ينظر إليه في سكون بوجه مغمور بالصدمة الكاملة
 ليجيبها قائلاً:

- آلو..

سمع أنفاسها المتسارعة ولكنه لم يسمع صوتها.. كان يعلم
 أنها تبحث عن شئ تدافع به عن نفسها.. كان يعلم أنها

لا تريد أن يتم الانفصال بينهما بهذه الطريقة.. وسرعان ما سمعها تقول بصوت مرتعش:
- أنا.. أنا..

لكنه لم يهملها الفرصة لتتحدث فقاطعها بصوت متحرج:
- أنت بحاجة إلى العودة لبناتك الآن؛ لأن لدي عملاً عاجلاً ولا بد أن أتمه في باترويج لذا لا بد أن تعودى اليوم.. اليوم يا سيلينا..

ثم أغلق الاتصال بدون أن يستمع إليها.. بدون أن يجعلها تقدّم أي مبررات للدفاع عن نفسها.. لقد كان يشك في الأمر ولكنه لم يرد أن يؤكده.. كان لا يريد أن يخسرها.. كان لا يريد أن يفقدها.. كان لا يريد لتلك العائلة أن تتفكك مثلما تفككت عائلة أبيه من قبل.

لم يع ستيفن بنفسه إلا وهو في سيارته يستعد للانطلاق، وقبل أن يتحرك سمعها تصرخ منادية عليه.. عندها أفق ستيفن على صوتها تهتف بكلمة واحدة ولكن وقع تأثيرها كبير عليه.. (أبي).. ورآها تتسلق جانب السيارة لتطل بوجهها القلق خلال نافذة السيارة صارخة به:

- إلى أين أنت ذاهب؟؟

نظر ستيفن إلى ليز بوجه بائس تملؤه الهموم وقال في حزن:

- سوف أذهب إلى باترويج، وسوف أعود بعد يومين أو ثلاثة..

فرأى الدموعَ في عينيها وهي تقاطعه بصوت باكٍ:

- خذني معك..

لم يستطع ستيفن التحدث لأنه كان يشعر بدموعه ستساقط أمامها مما دفعه لفتح الباب في بطاء وليخرج جاذبًا ابنته ليضعها في أحضانه والتي فعلت مثله بضمه إليها بقوة.

كانت لا تريد الانفصال عنه لثانية واحدة، ولكنه على الرغم من ذلك أزاحها بعيدًا عنه في عطف وحنان ليمسح تلك الدموع عن عينيها في هدوء وهو يكمل:

- لا أستطيع هذه المرة يا عزيزتي، أنا أريد ذلك ولكن لا أستطيع.. الأماكن التي سأذهب إليها أنتِ لا تستطيعين رؤيتها..

وضمَّها إليه مرة أخرى.. كان يريد الصراخ.. كان يريد البوح بكثير من الأشياء لها ولكنه لا يستطيع ذلك ليس لأنها لن تفهم ما سيقوله بل لأنه لم يرد أن يقول شيئًا ربما يغير به ما بداخل قلبها من براءة.. لم يرد أن يغير عالمها الطفولي والذي لا يريده أن ينتهي إلى أن يموت.. أو ربما لأنها في النهاية مجرد طفلة. وعلى مقربة منهما لاحظ جين تنظر إليهما في حزن وقد هيمنت ملامح القلق على وجهها فأشار إليها بيده

بأن تأتي إليه.

ومجرد أن اقتربت منه أسرع بضمها إليه ولثم جبينها قائلاً
في حزن:

- والدتك ستأتي اليوم وستكون بجانبكما، لذا كل ما سأطلبه
منك اليوم هو أن تحافظي على الهدوء بالمنزل وأن تضعي
ليز أمام عينيك ..

واتجه ستيفن إلى السيارة ليفتح الباب المواجه لمقعد
السائق ليستقله وليدير السيارة مكملاً:

- واتركي المصابيح الكهربائية تعمل طوال الوقت.. إلى أن
أعود..

ولكن ليز الصغيرة سرعان ما تشبث بجانب السيارة
مجدداً لترجوه أن يأخذها معه ولكنه لم يستطع التحدث إليها..
لم يستطع أن يرجوها أن تبتعد عنه.. فوجد جين تمسك بها
لتبعدها عنه ليستغل تلك اللحظة ولينطلق بعيداً.... بعيداً
عن لعنته... بعيداً عن روحه... بعيداً عن صوتها الصارخ
بكلمة لها تأثير كبير على نفسه.



لم يكن حاله مختلفاً في باترويدج عن ريتواسن.. كان تائهاً لا
يعرف إلى مَنْ يلجأ؟؟ ولا إلى أين يذهب؟؟

كان الليل قد حل بظلامه الذي أصبح لا يطيقه، مما جعله

يذهب إلى أول فندق يراه أمامه ليستقر به وسرعان ما كان بداخل غرفته يراجع بعض الأوراق التي كتبها كريس والتي أحضرها معه أملاً أن يغلب عليه النوم.. ولكن بلا فائدة فعيناه مفتوحتان عن آخرهما ترفضان الانغلاق.. ترفضان الراحة.. تأبيان طاعته.. كان يعلم أنها ستكون ليلة طويلة وشاقة عليه إلى أن بدأ يرى خيالها في كل مكان حوله.. وليرى شعرها الأسود وقد بدأ ينتشر في كل مكان كَشَبَاكٍ عنكبوت تحيط بفريستها تضيق عليها نطاق الهرب وتجعلها تفقد الأمل، وشيئاً فشيئاً وفي الوقت المناسب ينقض ذلك العنكبوت على فريسته لتصبح الشاشة سوداء بالكامل.



كانت تجلس في هدوء على ذلك الكرسي المتحرك لها تنظر خلال نافذة غرفتها إلى ذلك الثلج المتساقط من السماء.. تنظر إلى تلك الأرض المغطاة باللون الأبيض للثلوج المنهمرة بلا توقف.

لطالما تخيلت أن تلك الثلوج لَهي هبةٌ من الملائكة لتغطي بها ذلك الفساد الذي زرعه النفوس بتلك الأرض الجرداء الواهنة والتي لم تعد تنبت غير الأشواك والألم.. لطالما رأت الشتاءً فصلاً أخيراً لنهاية كتاب ومقدمة لبداية آخر، ولكن يبدو أنها لن تتمكن من إكمال مقدمة ذلك الكتاب الجديد تلك المرة.

عينها تتطلعان إلى تلك السماء البيضاء مع نسيم هادئ

يتسلل عبر أوراق الأشجار المتكاسلة في نعومة وسلاسة.. نسيم يغريها إلى فتح تلك النافذة المغلقة ولكن بوضعها الحالي لن تتمكن أبداً من لمس مقبض تلك النافذة..

ولكن لمَ لا..؟

تندفع في تهور دافعة نفسها بكل ما أوتيت من قوة بأرجلٍ واهنة لتلمس أصابعُ يدها ذلك المقبضَ الفضي للنافذة، ولكنها لم تتمكن من التمسك به.. لطالما كان قصر قامتها عائقاً لها في فعل الكثير من الأشياء ولكن هذا ليس شيئاً يمكن لطفلة تبلغ عشرة أعوام من العمر أن تتغلب عليه.

جسدها الواهن طريح الأرض الآن.. لا تستطيع أن تتحرك قيد أنملة.. كل ما تستطيع فعله هو النظر خلال تلك النافذة إلى السماء مع جسدٍ واهن راقد عاجز عن الحراك.

تستطيع سماعَ باب غرفتها يُفتح في ببطء، ولكنها ليست بحاجة للنظر إلى الشخص القادم إليها، إنها تعلم مَنْ هو، ولكنها لا تطيق أن تراه بتلك الصورة الآن.. لا تطيق أن ترى ملابسه الملطخة بالدماء.. لا تطيق أن ترى ذلك الوجه العابس الملتأم والمغمور بالأسى والحزن.. لا تطيق أن ترى دموعه.

لقد سمعت صراخهم منذ قليل.. صراخ إخوتها وأمها من خارج غرفتها.. سمعت توسلهم من أجل حياتهم.. سمعت نحيبهم وطلبهم للنجدة.. لقد قتلهم جميعاً.. قتلهم حتى لا

يعانوا بسببها.

لطالما قام بتعنيفها مؤخرًا.. لطالما انهال عليها بالضرب..
لطالما صرخ بها محذرًا إياها من أذاهم، ولكن كيف لها
بفعل ذلك؟!

كيف تؤذي مَنْ تحب؟!.. كيف تؤذي جزءاً من كيائها؟!..
كيف تؤذي مَنْ هُم بمثابة روحها وحياتها؟!.. كيف تستطيع
أن تؤذي عائلتها؟!.. وحتى ولو تخيلت للحظة - مع استحالة
حدوث ذلك - أنها تريد أذاهم وقتلهم فجسدها واهن
يأبى التحرك، إذًا كيف لها بفعل ذلك؟!.. جسدها عاجز عن
الحراك فكيف لها بالقيام بذلك؟!

إنها لا تتذكر محاولة قيامها بخنق أخيها الصغير.. لا تتذكر
محاولة إغراقها لأختها الرضيعة.. جسدها واهن يأبى التحرك،
إذًا كيف لها بفعل ذلك؟!.. جسدها عاجز عن الحراك فكيف
لها بالقيام بذلك؟!

كيف تستطيع طفلةً لم تتجاوز بعدُ العشرة أعوام أن تفعل
ذلك؟!

تسمع وَقَعَ خطوات أقدامه المقتربة منها.. تسمع أنفاسه
المتباطئة بعد عراكٍ وعناء شديدين في القيام بما فعله.. تأبى
النظر إليه حتى لا تغيّر من صورة ذلك الأب الذي عاشت
معه.. المبتسم المداعب والذي معه لم تخلُ حياتها من المرح.
معه فقط عرفت معاني الكثيرة عن الحياة.. معه فقط

شعرت بالأمان والحب والاطمئنان..

لكنها لم تعد تدرك ذلك الأمان الآن.. لم تعد تدرك ذلك الحب الآن.. لم تدرك سوي العذاب والألم واللكمات ونزيف الدماء من أنفها في الأشهر السابقة.. لا تتذكر الكثير من الأشياء.. لكنها تتذكر فقط المعاناة.

تراه يميل على جسدها الساكن والمرتعش بعينين حاقتين.. تستطيع رؤية تلك السكين بيده اليمنى عندما ساعد جسدها بيده الأخرى على الاعتدال.. ترى تلك الدموع تنهمر بغزارة من عينيه.. ترى تلك الآلام المنتشرة عبر ملامح وجهه.

ترى عيونا صارخة بالألم المشتعل بداخله.. تري عينين غاضبتين.. ترى عينين قد ملأهما عطش الانتقام.. منها!!

تراه يدفن رأسه بصدرها.. تسمع صوت نحيبه المتزايد في العلو.. تسمع صوت أنفاسه المتسارعة.. حينها تعلم في قرارة نفسها أنه سوف يكيل لها اللكمات والضربات الآن.

سوف يحيل حياتها أو ما تبقي منها إلى جحيم، سيجعلها تتمنى الموت وبسرعة.

لكن لسبب ما لا تشعر بالخوف.. لسبب ما لم تعد تهتم بالألم، لم تعد تشعر بالأسى والحزن يمزق قلبها الصغير.. بل أصبح يغمرها إحساس بالهدوء والراحة.. إحساس يتخلل صدرها ويطمئنها.. ذلك الإحساس والشعور يتزايد كلما سمعت صراخه يزداد في العلو ونحيبه الحاد، والذي يحاول

كتمه بصعوبة مع ازدياد دفع رأسه تجاه صدرها.

تقترب يدها في وهن شديد من وجهه لترفع رأسه التي انسابت معها بلا إرادة وبطاعةٍ لأمر لا تستطيع رفضه.

تنظر إلى عينيهِ الباكيتين، تنظر إلى معالم ذلك الوجه المغمور بالندم، تنظر إلى تلك البشرة الشاحبة.. تقترب أصابعها من عينيهِ لتمسح تلك الدموع بعيداً عنها.

تحاول إخباره أنها قد تقبّلت نهايتها منذ زمن بعيد بعينين اغرورقتا بدموع تنسال على وجنتيها الباريدين في ببطء.. تحاول إخباره أنها لن تكرهه وسيظل حبها له خالداً بابتسامة بسيطة بدأت تتسلل إلى شفتيها الداكنتين الساكنتين والمرتعشتين.. تحاول إخباره أنها تريده أن يكف عن البكاء لجسد ينتفض لبكائه ولروح تتمزق لرؤية دموعه.

تراه يقترب بشفتيه من جبينها البارد ليلثمها في ببطء قبل أن يخبرها بجملة لطالما سمعتها منه مراراً.. سمعتها منه في أوقات عديدة، ولكن تأثيرها عليها ما يزال جارياً حتي تلك اللحظة التي شعرت بها بنصلٍ حاد يخترق صدرها نافذاً إلى قلبها مباشرة.

جملة ترددت بأذنيها في صوت لم يكف عن النحيب قط.. جملة ترددت بأذنيها حين غشي ذلك الظلام عينيها وحتى تجردت روحها من جسدها.

جملة ما تزال تسمعها وتهديها ذلك الطريق المظلم حيث

تأمل أن تجد في نهايته عائلتها تنتظرها.. وربما تجده معهم هناك أيضًا.

- عزيزتي أنتِ لا تعلمين إلى أي مدى أحبك.. وإلى أي مدى سيظل حبي لك خالدًا..



استيقظ ستيفن مبكرًا في الساعة السادسة صباحًا، كان يشعر برأسه تكاد تتمزق من الألم.. يشعر برأسه تغلي وبقلبه ينتفض، ينظر حوله إلى الأوراق المبعثرة في كل مكان على الرغم من عدم تذكره قراءة كل تلك الأوراق، أو ربما فعل ذلك ولكنه لم يبال لهذا فلا وقت أمامه ليضيعه في التساؤلات، وسرعان ما كان يجمع أشلاء الأوراق الناتجة عن حرب البارحة والتي ما يزال لا يتذكر عنها أي شيء.. لا إنه لا يتذكر سوى شعرها الأسود المحفور في عينيه ودموع فتاة انتفض قلبها ألمًا لدموع أبيها بكابوس لن يستطيع نسيانه لفترة طويلة.

خرج ستيفن مسرعًا إلى دار النشر التي قامت بنشر تلك الرواية اللعينة لـ الن سلوف، وعندما وجدها لم يتردد في الدخول ليتحدث مع موظفة الاستقبال وليسألها عن عنوان الن سلوف وكانت إجابتها المعتادة:

- سيدي نحن غير مصرح لنا بنشر أي معلومات خاصة عن كتابنا أو.. عملائنا..

مما جعله يقول في جدية:

- لكنها لضرورة ملحة وتهمة شخصياً.. من الممكن أن تطلقى عليها حياة أو موت..

لكنها أجابته بنفس النبرة الباردة:

- سيدي مهما كانت أهمية حديثك أو ما ستخبره لمستر الن سلوف.. فأنا لست مفوضة بأن أعطي أي معلومات عنه لأي أحد مهما كان..

فبدأ صوت ستيفن يعلو معها شيئاً فشيئاً مما جذب انتباه أحد الموظفين وخاصة بعد سماعه اسم الن سلوف والذي جعله يسرع في خطواته إلى ستيفن ليقترّب من أذنه قائلاً في صوت خافت وهادئ:

- هل تبحث عن مستر الن سلوف؟؟

فأجابه ستيفن مسرعاً:

- نعم.. معى شئ مهم بالنسبة له.. ولابد أن أريه إياه

فجذبه من يده قائلاً بنفس الهدوء:

- إذاً يفضل أن تتبعني بسرعة؛ لأنه بعد قليل سيخرج من غرفة المدير ونادراً ما كان يمكث في هذا المكان طويلاً..

فانطلق ستيفن مسرعاً مع ذلك الموظف إلى غرفة المدير بعد أن رمق موظفة الاستقبال بنظرة ساخرة، حيث أجلسه ذلك الموظف لاحقاً على أحد المقاعد الجلدية الناعمة لينتظر الن سلوف في غرفة الانتظار والتي لا يفصلها عن مكتب

المدير سوى ذلك الباب الخشبي الفاخر.

ومرّ الوقت ببطء وكأنه دهر من الزمن اعتصر فيه ستيفن ذلك المظروف الأصفر الكبير والذي حرص أن يضع فيه المفكرة السوداء بمفردها ليرى تأثيرها على ملامح وجهه.. وسرعان ما رآه يخرج بعد أن فُتِحَ ذلك الباب الخشبي الشاهق.

شخصٌ نحيل الجسد يرتدي بدلة بنية اللون وقميصاً أبيض.. ذو وجه حسن وأنف بارزة عالية تنم عن حزم وجدية تبعاً هذا الرجل طوال حياته.. يبلغ من العمر ستة وخمسين سنة، وعلي الرغم من غزارة الشعر الأبيض المشتعل برأسه إلا أن الناظر إليه يعطيه عمراً أصغر من عمره الحقيقي بالتأكيد.

كان يضحك قائلاً:

- لا تقلق سأتي الاثنين القادم بالتأكيد..

ولكن الرجل الآخر قال في جدية:

- أنت تقول تلك الكلمة كثيراً الآن، ولكنك لا تعمل بها..

تقدم ستيفن إليه في بطء هاتفاً بهدوء:

- مستر الن سلوف..

فنظر إليه في استغراب قائلاً:

- نعم، هل أستطيع مساعدتك؟؟

فأجابه ستيفن مسرعاً:

- لقد طلب مني أحد الأشخاص أن أرسل إليك هذا..

وأعطاه المظروف الأصفر ليفتحه الن في هدوء وليرى محتوياته..

لن ينسي ستيفن تلك النظرة التي ارتسمت على وجه الن مهما طال به العمر وإلى أن يوافيه الموت.. كان وجه الن كمن لدغته حية رقطاء.. ملامح الرعب المرتسمة على وجهه وعينيه الجاحظتين والتي توحى بأن صاحبها على وشك الدخول في سكتة قلبية حادة من أثر المفاجأة.. لينظر إليه الن بعد ذلك بوجه قد هربت منه أي معالم للحياة.. ولولا أن شعره أبيض بالفعل للاحظ ستيفن أنه يزداد بياضاً، ثم سمع ستيفن صوتاً ضعيفاً يبدو أنه صدر منه:

- هل.. من أين؟؟.. مَن أعطاك هذا الشئ؟؟

فنظر ستيفن إليه في غضب مجيئاً:

- إذًا فأنت تعرف تلك المفكرة وتعرف صاحبها..

ثم خطف ستيفن ذلك المظروف من يد الن ليمزقه وليمسك بتلك المفكرة وهو يكمل في غضب:

- أتريد أن تعرف مَن أعطاني تلك المفكرة اللعينة وأرسلني إليك؟..

وكاد ستيفن أن يفتح تلك المفكرة لولا أن يدي الن أطبقتا على يديه لتمنعه عن ذلك قائلاً بصوت حذر:

- هناك أشخاص أبرياء في هذا المكان.. وما أنت على وشك فعله الآن سيكلفهم الكثير.. وربما يكلفهم أيضًا حياتهم..
 وحينما أقول حياتهم فأنا لا أقصد تلك الروح التي تسكن أجسادهم، بل أنا أقصد شيئاً آخر ينافس في الأهمية لديهم،
 وأنت تعرف ما الذي أشير إليه.. أليس كذلك؟؟

ثم نظر ستيفن إلى حيث استقرت عينا الن إلى تلك
 السكرتيرة والتي تحدثت للتو مع ذلك الموظف الذي ساعده
 منذ قليل في غرفة الانتظار وبصوت مرتعش لا يخلو من
 الحذر سمعه ستيفن يكمل:

- هل أنت على استعدادٍ لتحمل تلك الذنوب الناتجة عن
 آلامهم ومعاناتهم إذا وقعوا في شباكها؟!
 مما جعل ستيفن يقول في صوت حاد:
 - إذاً هذه المفكرة..

ولكن الن قاطعه بصوت جاد ينم عن مدى خطورة
 الموقف:

- هنا ليس المكان المناسب لمناقشة مثل هذا الأمر.. أرجوك
 اتبعني إلى خارج المبنى، وأعدك أنني سأبقي كل شيء تريده..

وبالفعل انطلقا معاً إلى سيارته حيث أرشد الن ستيفن
 إلى منطقة هادئة بالقرب من أحد الكباري الشاهقة ليتوقفا
 هناك بعيداً عن أعين الناس، وقبل أن ينطق ستيفن بكلمة
 واحدة كان الن قد أخرج مسدس كولت كان يخفيه أسفل

سترته ليسدد فوهته إلى رأس ستيفن وليصرخ في قوة:

- منذ متى وأنت تتعرض لتأثيرها؟؟

مما جعل ستيفن يصرخ عاليًا:

- أنا لا أفهم ما الذي تقصده..!

فسأله الن بسرعة وبنبرة صوت تحمل ذلك التحذير في أن يتلاعب بإجابته:

- منذ متى وأنت ترى تلك الكوابيس لأبناء يتعرضون للقتل من قِبل آبائهم؟؟.. منذ متى وأنت ترى كارمن؟؟
فصمت ستيفن لوهلة قبل أن يجيبه مسرعًا:

- قرابة الأسبوعين.. وربما أكثر من ذلك..

وهنا تجلت الدهشة على وجه الن الذي قال بصوت حذر:

- مستحيل.. مستحيل.. أنت تكذب وتحاول أن تتلاعب بي..
واحد فقط أعرفه لم تظهر عليه تلك المعالم ولم يتأثر بشرور كارمن..

فقال ستيفن في صدمة وقد بدت علامات الحيرة الشديدة على وجهه:

- أي معالم وأي شرور تتحدث عنها..؟

لسبب ما لم يرد الن أن يخفض ذلك المسدس بعيدًا عن

رأس ستيفن، لأن كل ما رآه وسمعه منه إلى الآن يجعل الشكوك تزدد في قلبه وتزيد من تلك الحيرة التي تكاثفت بعقله.. إلى ان سمعه يقول:

- اسمعني بعناية أرجوك.. أنا لم آتِ إلى هنا لأني أعرف شيئاً أو خيطاً لتلك اللعنة التي بدأت تحوم حولي وحول ابنتي، بل لأن تلك المفكرة اللعينة أظهرت لي ثلاث كلمات... الأولى هي (حياة) والباقيتان هما (الن سلوف).. اسمك.. فأرجوك أنصت إليّ جيداً.. أنا مجرد أب يسعى بكل جهده ليبعد أي خطر عن بناته، وعندما ظهرت تلك الكلمات لم أتردد للحظة في الانطلاق وراء ذلك الخيط والذي يعتبر بمثابة أمل لي لإنقاذ ابنتي من تلك اللعنة والتي أسميتها كارمن و..

ولكن الن قاطعه في صوت يائس:

- ليس من أمل لك، بل الأمل لنا في شئ أصبح من المستحيل إنقاذه منذ وقت طويل.. أمل تحاشيناه لعلمنا أنه صعب المنال.. لقد تعلقنا به مرة وكاد أن يفتك بنا، وها أنت الآن تعيده لنا من جديد..

أخفض الن يده ليبعد ذلك المسدس عن رأس ستيفن وأردف مكملًا:

- من أين أنت يا مستر..؟؟

فأجابه ستيفن مسرعًا:

- ستيفن.. أسكن بلدة ريتواسن..

لم يدعه الن يكمل وقاطعه قائلاً في جدية:

- منزل كريس.. أنت الساكن الجديد بمنزل كريس.. أليس كذلك؟؟

فأوماً ستيفن رأسه بالموافقة.. ليسود بعدها الصمت لعدة دقائق مرت كأنها سنوات طويلة بالنسبة لستيفن إلى أن سمع الن يقطعه في يأس:

- أنا لست ضدك ولست معك يا سيد ستيفن، ولكن طريقك يتقاطع مع طريقي في نقطة واحدة وهي كارمن.. هناك أشياء أريد أن أريها لك ولكن ما يمنعني هو أنني لا أعرفك، وقد علّمتني الأيام ألا اثق بشخص غريب.. فما أدراك بشخص لا أعرفه وقادم بسببها..

فبادر ستيفن بإجابته قائلاً:

- سيد الن أنا أعلم أن لك حياتك الخاصة، وأعلم أنك تخفي شيئاً تخشى أن يظهره أحد لهذا العالم..

ولكن الن قاطعه مجدداً في هدوء وقد بدت على وجه علامات الجدية التامة:

- ولكن سيد ستيفن أنا لست أخشاك، والذي أخفيه ليس بإرادتي الخاصة وليس لأنني أخاف أن يكتشف أحد ما.. هذا ال.. شئ الذي أخفيه فيبتزني أحدهم أو تصبح إحدى الفضائح الكبرى في كل الجرائد الصفراء.. لقد أخفيت كل ما يتعلق بيني وبين هذه الشيطانة لأنني أخاف على هذا العالم.. لأنني

أخاف على أمثالك مِن أن يصبحوا ضحية مثلما أصبحت أنت الآن..

فصمت ستيفن وأطرق برأسه إلى الأرض مستمعًا إليه يكمل:

- الأشياء التي أنت على وشك رؤيتها قد تغيّر حياتك إلى الأبد، قد تحطم مفاهيم خاصة في قلبك وعقلك.. أشياء ستطاردك في أحلامك لتحولها إلى كوابيس ليست لها نهاية.. أشياء ستغير الكثير من المفاهيم التي آمنتَ بها طوال حياتك.. وربما.. وربما..

لكن ستيفن لم يترك له الفرصة ليتردد وقاطعه بصوت جاد:

- أنا مستعد لأي شيء.. لقد أتيتُ إلى هنا وأنا أعلم المخاطر جيدًا.. كما أنني أعرض عائلتي للخطر بمكوثي هنا معك، ولا أعلم ما الذي قد يحدث لهم إذا انفردتَ بهم تلك اللعينة.. لذا من المستحيل أن أراجع الآن.. لابد أن أجد حلاً لتلك اللعنة وأنت ستساعدني على ذلك..

ارتسمت تلك الابتسامة الساخرة على شفَتَي الن وغمغم قائلاً:

- أساعدك على ذلك ها.. أعتقد أنه يجب عليك أن تجعلني أقود هذه المرة.. لأن المكان الذي سأخذك إليه لن تحب أن تذهب إليه بنفسك فدعني أتحمل ذلك الألم عنك..

وسرعان ما تبادل الاثنان الأماكن ليجلس الن في مقعد السائق وليقول في جديّة:

- وهناك شئ آخر.. أعتقد أنه من الآن صاعدًا ستدعوني
بـ.. ريد سلوف..

سيطرت الحيرة على معالم وجه ستيفن وهو يسمع ريد
يكمل:

- الن هو توأمي..



مشفى اتيمنسن النفسية والذي يقع على بعد ثلاث
ساعات قيادة بالسيارة من باترويچ.. كانا يمشيان بها بخطوات
هادئة بعد أن تعرفت موظفة الاستقبال على ريد وأخبرها
أن هذا موعد زيارته الأسبوعية لأخيه، كانا متجهين إلى الدور
العلوي الخاص بالحالات المستعصى علاجها والذي يضم قسم
الحالات الخطرة أيضا.. وأمام الغرفة 503 توقفت الممرضة
التي كانا يتبعانها على بعد خمس خطوات من الباب، كأن
حدود سُلطاتها قد انتهت عند تلك النقطة، ثم نظرت في
قلق إلى ريد الذي قال مسرعًا:

- يكفي هنا آنسة جاكين، أعتقد أننا نستطيع أن نتعامل
مع الن بمفردنا.. وأعتقد أن هناك أعمالا أخرى بحاجة إليك
أكثر منا.. يمكنك الانصراف يا عزيزتي..

فغمرت الفرحة العارمة ذلك الوجه الشاحب لها ليتورد
مجددًا وإن لم تخلُ معاملته من القلق، حيث اقتربت منه
وآمال ريد بوجهه منصتًا إليها لتهمس في أذنه بصوت خافت

لم يستطع ستيفن أن يسمع منه أي شيء.. ولتنتقل عدوى القلق إلى معالم وجهه ريد، وإن لم يشبه الشحوب مثلها حيث كان ريد معيداً نفسه لأي شيء.. وبمجرد إنهاء تلك الممرضة حديثها حتى أسرعَت تجري من المكان كأن شيطاناً يطاردها ليبقى كل من ستيفن وريد الذي فرك ذقنه بيده اليمنى بعد أن تمكن منه القلق.. ثم عاد ليلتف إلى ستيفن قائلاً في حذر:

- يبدو أن الأمور قد تعقدت اليوم قليلاً، فإن كنت مُصرّاً على أن ترى ما ستراه الآن فأعلم أنه لا رجعة في الأمر بعد ذلك..

فأوماً ستيفن بالموافقة.

فتح ريد تلك الغرفة المظلمة بسبب تلك الستائر ذات الألوان الثقيلة والتي تُنفذ القليل جداً من أشعة الشمس لتجعلك بالكاد ترى خطاك بداخلها.. كانت غرفة متوسطة المساحة بالكاد ترى ما بداخلها من سرير بسيط ودولاب خشبي قديم يوجد بداخله القليل من الكتب، وطاولة صغيرة يعانقها كرسيان خشبيان بسيطان.. ويتوسط تلك الحجرة كرسي حديدي متحرك بعجلات يجلس عليه شخص قد أحاطت به تلك الأغطية البيضاء لتقيده حركته على الرغم من أنه لم يكن ليؤذي أحداً، ولكن تم أخذ هذه الاحتياطات تحسباً لحدوث أي شيء غير متوقع.

كان يولي ظهره لهما عندما قال في صوت ضعيف:

- لقد أتيت متأخرًا هذه المرة.. يا ريد..

فأجابه ريد وهو يتقدم إليه في بطء:

- زحمة المرور يا أخي العزيز.. ولكني سأقضي معك باقي اليوم لأعوضك عن زيارتي المتأخرة في الأسبوع السابق أيضًا..

لكن الن قاطعه مكملًا كأنه لم يستمع لأي من الكلمات التي قالها ريد للتو:

- من معك يا ريد؟؟

انحنى ريد برأسه مجيبًا:

- مجرد صديق.. له القدرة على مساعدتك..

لكن ستيفن سمعه يضحك في ضعف وإن كانت ضحكاته لم تخلُ من الآلام التي انتشرت في صدره لتجعله يجز على أسنانه في قوة قائلًا:

- لا تستخف بعقلي يا ريد، فأنا أستطيع أن أُميّز كذبتك حتي ولو كنتُ في حالي هذه..

فأجابه ريد مسرعًا:

- لم أقصد يا أخي..

لكن الن أكمل ملقيًا بكلام أخيه عرض الحائط:

- أستطيع أن أشعر بطيفها بالقرب منه.. لقد أحضرت معك شخصا آخر ملعونًا بسببها يا ريد.. ألم تتعلم من الدروس

السابقة أي شئ..؟

فأجابه ريد مسرعًا:

- ولكنه يختلف عن الآخرين.. إنه يستطيع أن يتغلب عليها..

كان صوت الن قد ازداد قوةً، وإن كانت نبرته توضح تمكُّن الأم من صاحبها:

- كريس كان مختلفًا عن الآخرين، وعلى الرغم من إرادته القوية ومقاومته المذهلة.. لم تختلف نهايته عن الآخرين..

وهنا انفجر ستيفن غضبًا ليصرخ قائلاً:

- أنت لم تخبر كريس أن تلك اللعنة ستنتقل إليه.. لقد أخفيت عنه الكثير من المعلومات.. أعتقد أن هذا هو سبب إخفاقه

لكن الن قاطعه في هدوء:

- ولكني أيضًا أعطيته الكثير من المال..

مما أيقظ نيران الغضب في صدر ستيفن الذي صرخ في حرقه:

- أيها اللعين لقد فقد كل عائلته بسببك.. لقد قتل ابنته بسببك.. وتقول لي إنك عوّضته بالمال..

ولولا وجود ريد ليمسك بكثف ستيفن وليقف حائلًا بينه وبين أخيه لفتك بالن بلا هوادة والذي ضحك بدوره قائلاً:

- إذن أنت تعتقد أنني السبب فيما ألحق به ها.. الآن فقط أعرف لماذا تتمسك بك لهذه الدرجة؟؟ ولماذا تكبذت تلك الخطورة بإرسالك إلى هنا؟؟

فتمكنت الحيرة من عقل ستيفن الذي أصبح مشتتاً أكثر مما كان عليه ولكنه سمع الن يقول لريد:

- أرجوك يا ريد ساعدني في الالتفات إليه لأريه ماذا أقصد؟؟

نظر ريد إلى ستيفن في حذر واقترب من أخيه ومال على أذنه ليهمس ببعض الكلمات التي لم يتبين منها ستيفن أي شيء، ولكنه سرعان ما سمع الن يقول في هدوء وجدية:

- لقد فات الآوان على هذا يا ريد.. لقد تكبد كل هذا العناء ليراني.. بالإضافة إلى هذا هي التي أرسلته إليّ، وهذا له مغزى آخر أنا نفسي لا أفهمه والآن لا تضيّع وقتي وساعدني في الالتفات إليه..

عينا كارمن.. كان هذا أقرب وصفٍ لعيني الن عندما واجهت عيني ستيفن.. ذلك الوجه الشاحب المائل للون الأزرق.. تلك الشفاه الجافة المتشققة لتصبح ذابلة وليتغير لونها للون الرمادي.. ذلك اللون الأسود الذي غزا شعره بدلاً من ذلك اللون الأبيض الذي برأس ريد توأمه المتطابق.. كان أشبه بكارمن لولا أنه يعرف أنه رجل عجوز.. عمره لا يتجاوز السادسة والخمسين.

أغمض ستيفن عينيه لبضع ثوانٍ محاولاً تناسي تلك الصورة التي رآها الآن متمنيًا أن يكون هذا مجرد أحد الهلاوس التي تريها كارمن لعينيه، ولكن بمجرد أن واجه تلك العيون السوداء مجددًا والتي تحوّل بياضها إلى اللون الأحمر الدامي حتي علم أنه لا يرى كابوسًا، وإنما حقيقة متجسدة أمامه.. حقيقة من لحم وعظم ودم لا يعرف لونه.. كائن بشري ينتمي للآدميين، ولكن الحقيقة بالتأكيد غير ذلك.. إنه بالتأكيد شيطانٌ ما حل محل الن.. هذه ليست بشرة ولا عيني إنسان.. إنها عينا كائن لا يعرف الحياة وربما لم يتذوق طعمها يومًا.

نظر ستيفن إلى الأرض حين سمع صوت الن الضعيف:

- أعتقد أن هذا يوضح كل شيء..

شعر ستيفن بتشويش يؤثر على عقله، فقال بصوت بدت عليه الصدمة واضحة وبظرة امتعاضٍ لم يستطع أن يخفيها:

- ماذا تقصد؟؟

- إختفائي عن العالم الأدبي بعد رواية واحدة ناجحة..

ثم أشار إلى أخيه مكملًا:

- وكون أخي ينتحل شخصيتي..

أطرق ستيفن برأسه إلى الأرض حتى لا يواجه عيني الن مجددًا الذي أكمل قائلاً:

- أنا أعلم أن الأمور معقدة الآن.. ولكن إن أنصت إليّ ستزداد الأمور وضوحًا تدريجيًا.. يا مستر..

- ستيفن..

- سادعوك بستييف..

فنظر إليه ستيفن في غضب شديد قبل أن يصرخ قائلاً:

- عائلتي في خطر.. ابنتي ستتحول إلى شيطان.. وأنت تريد أن تمزح معي؟؟

نظر إليه الن في صمت بعد أن تبادل النظرات مع أخيه قبل أن يكمل في هدوء:

- اعذرني لاندفاعي الساذج في مقولتي.. كل ما في الأمر أنني مكثت في تلك المستشفى بل بتلك الحجرة لوقت طويل.. لم أرَ من البشر غير الأطباء والممرضين والممرضات.. فترة طويلة أنستني كيف تكون بشرياً وكيف تكون مشاعر البشر؟؟.. لم يتبقَ لي من البشر غير أخي.. لا ينتظرنني بالخارج أحد، ولا أعتقد أنه هناك أحد يهتم لوجودي منذ وقت طويل.. ولم يتبقَ لي سوى شئ واحد أنتظره.. شئ أخير يذكر ذلك الجسد الضعيف لي بطبيعتي.. بشريتي.. بإنسانيتي.. ولكن انتظاري له قد طال..

ثم أشرق الن برأسه إلى الأرض قليلاً قبل أن يكمل:

- لم تكتفِ تلك اللعينة بأخذ حياتي مني.. لم تكتفِ بسلب

روحي.. بل حتى الموت جردتني منه.. جردتني من الراحة الأخيرة التي ينعم بها أي بشري.. أنت لست بحاجة لسماع كل هذا مني، وأعتقد أنني مدين لك بقصة.. قصة حزينة ولكنها بالتأكيد ستبين لك..

رفع الن رأسه في هدوء مجددًا ليواجه عيني ستيفن الكارنتين للنظر إليه قائلاً:

- أنت لا تعلم بعد.. لا تعلم أنه مهما كان غضبك ومهما كان حقدك ومهما كانت قوتك.. أنت لن تستطيع بأي من هذا فعل شيء في مواجهتها..

ساد الصمت لبضع دقائق قبل يكمل الن بصوت ضعيف هادئ وإن كانت نبرته تدل على التعب الشديد ليس لإنهاك جسدي سيقوم به بل لعلمه أنه سيقص حكاية رواها لكثير من الأشخاص ولم تفدّهم.. لقد قصّها لعديد من المرات ولم تتغير نهاية مستمعها:

- لقد بدأ الأمر منذ عشرين سنة، كنت صغيراً ويافعاً وممتلئاً بالحيوية، كنت أشعر أنه ليس هناك حدود للأشياء التي أستطيع فعلها والتي يستطيع أحد فعلها مثلي.. ويبدو أن هذا صحيح، فقد استطعت أن أجلب لعنة لم يستطع أحد أن يدمرها..

صمت الن قليلاً بعد أن تذكر هؤلاء الذين ماتوا بسببها وكانوا ضحية كذبتة الصغيرة.. ولكنه عاد ليكمل في هدوء:

- ولكن من أين بدأ كل هذا؟؟.. آه.. تذكرت.. لقد بدأ الأمر أثناء تصفحي للجرائد محاولاً الوصول لشيء جديد.. شيء أستمده ليصبح محورا لقصتي.. كنت أبحث عن أي شيء يجذب ذهن القراء.. كنت كاتباً مبتدئاً أحاول جاهداً إثبات نفسي وسط هؤلاء الكتّاب الذين أصبحوا ملوك الأحداث الاجتماعية، وفي نفس الوقت لم أكن بارعاً بما يكفي لأغزو مجال الخيال العلمي.. فلم يتبق لي سوى مجال الجريمة.. ذلك المجال الذي يحتاج لخيال كبير ومجهود ذهني أكبر من الكاتب لجعل القارئ يتشبت بالبطل ويحدد نوايا المجرم، ولكن هذا ليس موضوعنا.. أليس كذلك؟؟.. فبعد كل شيء لن أجد أفضل من الجرائم التي فعلتها تلك اللعينة بضحاياها.. حاولت بشتى الطرق البحث عن موضوع جديد وأثناء قرائتي لإحدى الجرائد وجدتها تناديني.. كانت تلك خامس جريمة تتم على يدها.. كانت الخمس جرائم تتحدث عن قتل الأب لجميع أفراد الأسرة نتيجة لشيطانٍ استحوذ على أجسادهم.. كانت وقتها تلك هي الموجة الرائجة وسط القراء، والطريقة التي تجذب بها الجرائد عقول الناس لزيادة مبيعاتها.. لقد جذبني الأمر في بدايته.. خاصة أن كل الجرائم تتحدث عن شيطان يظهر على هيئة فتاة صغيرة تحاول الاستحواذ على جسد الفتيات الصغيرات، كان الأمر غريباً لي وسلب فكري بالفعل... تتبعْتُ كل الجرائم المشابهة والمرتبطة بذلك الشيطان الذي كانوا يتحدثوا عنه.. ثم قررت أن أقابل أحد هؤلاء القَتلة الذين تم القبض عليهم حديثاً

لأتمكن من معرفة القصة بالكامل، أو على الأقل لأحاول أن
احصل على صورة أكبر للموضوع.. وهنا لاحظتُ شيئًا غريبًا..
أن معظم الجرائم التي تتم على يديها تنتهي بموت جميع
العائلة ولا يتم معرفة القاتل إلا بعد التحليل الجنائي لتلك
الجرائم الشنيعة، أمّا القلة الي يتم القبض عليها أحياء فغالبًا
ما شير إلى أن هناك شيطانا ما يحاول أن يستحوذ على جسد
بناتهم الصغيرة، والغريب في الأمر أنهم لا يحاولون التملص
من الأمر، لذا كانت فرصتي كما ترى ضئيلة جدا في معرفة
ما يحدث بالفعل، خاصة بعد معرفتي بأن ما يتم القبض
عليهم والذين كانوا على علاقة بالفعل بتلك اللعنة ينتحرون
بعد فترة وجيزة من إمساك الشرطة بهم.. لذا ففرصتي
الوحيدة في معرفة ما الذي يحدث بالفعل هي أن أقابل ذلك
الرجل الذي قتل عائلته للتو في أقرب فرصة، وكالعادة كان
سببه وعذره أن هناك شيطانا حاول أن يسيطر على جسد
ابنته الصغيرة، ومعظم الموجودين من محققين وضباط شرطة
ومحاميين يظنون أنه يدّعي الجنون مثله مثل السابقين حتى
يستطيع الحصول على عقوبة مخففة أو أي شئ يبعده عن
كرسي الكهرباء المميت أو عن الموت الرحيم بالسّم.. لكن كل
هذا تغير عندما قابلتُ ذلك الشخص.. كان يبدو بكامل قواه
العقلية.. لقد حدّثني عن كل شئ.. اسمه جي كوب، ويعمل
كسمسار عقارات، وقد كُلفَ في يوم من الأيام بأن يقيّم
منزلا في إحدى ضواحي نيويورك ليستطيع أن يضع له السعر
المناسب وليضمه إلى سلسلة تعاملاته. وأثناء تجوله خلال

المنزل وجد صناديق كارتون متراكمة بإحدى العُرف، وبالقرب من أحد الصناديق وجد تلك المفكرة السوداء ملقاةً على الأرض والتي تخفيها بجيب معطفك الآن..

فنظر ستيفن في صدمة ودهشة بدت واضحة على عينيه إلى الن الذي ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتيه وهو يكمل:

- كانت مفتوحة ومقلوبة على وجهها.. فأمسك بها ليضعها بداخل أي صندوق قريبٍ منه.. ولكنه عندما قلبها ورأى تلك الأوراق الصفراء الملصقة به وقرأ بها تلك الرواية غير المنتهية.. لا تخف لم يحدث له أي شئ ولم يرَ شيطاناً معلقاً على الحائط ينظر له، ولم تخرج له وحوشٌ بعيونٍ صفراءَ وحمراءَ وخضراءَ مثل إشارات المرور.. وبالفعل وضع تلك المفكرة السوداء في أحد تلك الصناديق بعد أن أغلقها وخرج بعد ذلك ليمارس حياته الطبيعية والتي لم تدم لفترة طويلة، وبمجرد عودته للمنزل كانت الحياة المنزلية العادية والمملة بانتظاره، إلا أنه لاحظ شيئاً غير طبيعي في ابنته وهو تقربها غير الطبيعي له خلال أول عشرة أيام.. أحلام غريبة.. كوابيس يرى بها فتاة ذات شعر حالك السواد، ذات عيونٍ سوداءٍ دامية.. فتاة مثل التي قرأ عنها بتلك المفكرة السوداء.. كوابيس يرى بها آباء يقتلون أبناءهم.. كوابيس ترى بها نفسك تقتل ابنتك..

أطرق الن برأسه للأرض قليلاً قبل أن ينظر إلى ستيفن الذي بادله النظراتِ بأخرى يسودها الريبة والقلق قبل أن

يشيح برأسه بعيدًا ليكمل:

- كوايبس ترى بها انعكاسك بالمرآة إلا أنك لا تجد بها شخصاً يشبهك على الإطلاق.. بل ترى بها وحشاً دموياً قاتلاً تغطي يده دماء ضحاياه من أحبائه.. أنا أعلم أنك تراها.. أعلم أنك قد واجهت بعضاً منها في الأيام أو الأسابيع السابقة.. ولكن هذا لا يعني أن كارمن قد بدأت عملها.. بل هذا يعني أنها قد تمكنت منك وقد قارب حلمها على الانتهاء.. ومثلما حدث معه أنا أعلم أن ما سأقوله قد تكرر لك.. لقد أصبحت ابنته فيما بعد أكثر عزلة.. لا تغادر غرفتها تقريباً إلا قليلاً.. لقد أصبحت ابنته لا تتحدث مع أي أحد إلا هو، بل وأثناء تحدثها معه تطلب منه أن يناديها باسم آخر غير اسمها.. يناديها بكارمن.. اسم غريب.. ولكن الأغرب أن يكون ذلك الاسم هو اسم تلك الملعونة التي تراوده بكوايبسه.. وبعد وقت ليس بطويل أصبحت ابنته تكتب وترسم أشياء غريبة ليس لها وجود..

وجد الن ستيفن يرمقه بنظرة حادة فبادلته إياها بابتسامة ساخرة وهو يكمل بصوت جاد:

- نعم يا عزيزي.. لقد تمكنت منه كارمن.. مثلما تمكنت منك.. أوهام الماضي والتي يخفيها عن الجميع بالنسبة لها مكشوفة وبطريقة واضحة.. لا تخف فأنت لم تعان بعد من تلك النهاية التي عانى هو منها..

كان الن يتنفس بصعوبة كمن تذكر كابوساً مفرعاً ويحاول

الاستيقاظ منه مكملاً:

- لن أستطيع نسيان نظرات عينيه الخائفتين والمغرورقتين بالدموع.. لن أستطيع نسيان معالم وجهه المكتسية بالآلام والندم.. لا أستطيع نسيانها لأنها قد تمكنت مِنِّي أيضًا في يوم من الأيام.. لا أستطيع نسيانها لأنِّي اخترتها أيضًا.. مشاعر الألم.. الغضب.. اليأس.. الندم.. وأخيرًا الرغبة بالموت.

كانت الدموع تفرق بعيني الن.. دموع سوداء.. دموع تسيل على خديه لتبلل ملابسه ولتغير لونها الأبيض إلى الأسود وهو يكمل بصوت ساد نبرته الحزن الشديد قائلاً:

- لقد عاد في يوم عادي روتيني مثل بقية الأيام.. عاد وهو يتخيل عائلته بانتظاره.. عاد وهو يتخيل أن الأمور ستكون طبيعية.. عاد حاملاً أكياس الأطعمة ولعبةً صغيرة لطفله الصغير، وكتاباً به قصص قصيرة لابنته غريبة الأطوار مؤخراً.. عاد إلى منزله والذي لا يستطيع أن يجد في غيره راحته.. عاد إلى كابوسه.. عاد إلى نهايته.. لا أستطيع أن أنسى نبرة صوته التي تخللها الفزع التام والرعب الشديد حينما ذكر لي كيف كان منزله بعد أول خمس خطوات له بداخله.. الفوضى العارمة التي كان بها المكان.. الدماء المنتشرة بأرضية المنزل.. لا أستطيع وصف إحساس الخوف الذي تخلله.. لا أستطيع وصف الألم الذي تعرض له حين هرول تجاه غرف المنزل صارخاً بأسماء عائلته.. زوجته وطفليه.. لقد أسرع تجاه غرفة طفله الصغير أولاً، والذي لم يتعدَّ بعدُ الثلاث سنوات ليجده مطعوناً في أكثر

من بقعة من جسده لتخرج ملابسه وسريره الصغير دماؤه.. لم يقوَ على حمل جسده، لم يستطع لمسه.. فقط صرخة مكتومة وآلام تخللت صدره الثائر والمنتفض بالقلق والخوف لزوجته ولطفلته الأخرى حين أسرع تجاه غرفتها.. حينها شاهد شيئاً غير ما بنفسه البشرية من معانٍ.. واجه شيئاً ليس بإمكان أي من البشر تحمله.. لقد رآها تجلس وحيدة بمنصف الغرفة المظلمة لها، تلعب بشئ كروي لم يتبينه في البداية.. لقد صرخ هاتفاً باسمها ولكنها لم تجبه.. لقد أراد أن يندفع إليها ليطمئن عليها، ولكن تعثره بشئ كبير أوقعه أرضاً.. أوقعه على شئ لزج انتشر على سطح الأرضية الخشبية للغرفة.. دندنة ابنته الغريبة وعدم استجابتها لندائه.. ذلك الشئ اللزج ورائحة المريبة دفعه إلى الإسراع بفتح أنوار الغرفة والتي لم تعمل في بادئ الأمر، ولكنه سرعان ما استجابت لمطلبه لتنير تلك المصابيح المتكاسلة غرفتها.. لثريه كابوساً لم يستطع نسيانه حتى لحظة مماته.. جسد زوجته الممزق إلى قطع كبيرة.. دماؤها التي انتشرت بكل أنحاء الغرفة.. ولكن هذا لا يقارن برؤيته لابنته الصغيرة وهي تلعب غارزةً نصلَ سكينٍ صغيرة برأس زوجته المقطوع بلا توقف.. دندنتها المستمرة بلا توقف.. شعرها الأسود.. عيناها السوداوان واللتان استحال بياضهما إلى اللون الأحمر الدموي.. لقد رآها تقف بابتسامة هادئة على شفيتها لتقترب منه ولتضمه إليها حين جثا على كلتا ركبتيه بأيدي ملطخة بالدماء.. دماء عائلتها.. أخبرته أنها ليست بحاجة إليهم.. أخبرته أنها قد حررته.. أخبرته أنها

تعبه، وأن حبه من المفترض أن يكون لها وحدها وأنهم لا يستحقونه.. لقد أخبرني أنه لم يشعر بنفسه.. لم يشعر بنفسه إلا بداخل سيارة الشرطة.. لم يشعر بنفسه إلا بغرفة الاستجواب وهم يتهمونه بقتل كل عائلته.. وأنه قد قتل طفله الصغيرة بالأخص بوحشية.. لقد طعنها بلا توقف حتى جعل التعرف عليها كاد يكون مستحيلًا.. لقد بكى كثيرًا أمامي.. لقد طلب مني المساعدة.. طلب مني أن أثبت براءته، وأنه لم يكن شئ بإمكانه فعله سوى أن يحرر ابنته أو جسدها من تلك الروح الملعونة التي استحوذت عليها.. لم يكن هناك حل آخر.. ولقد وعدته بأن أحاول مساعدته، ولكنه لم يكن بحاجة إليها بعد وقت ليس بطويل!!

صمت الن قليلاً وأطرق برأسه إلى الأرض ثم عاد يقول بصوت حزين:

- لقد مات بعد يومين من لقائي به.. يقولون إنه ذبح نفسه بعد أن قام باقتلاع أحد الشرائح الحديدية لإحدى قوائم سرير زنزانته.. بعد صراخه وهو يطلب ألا يسمع صوتها الذي يؤنبه.. ليس صوت كارمن بل صوت ابنته التي أخبرته بأنه لم يقاوم بما فيه الكفاية من أجلها.. لم يضع حياته على كفة الموت من أجلها.. لم يخاطر بروحه من أجلها..

ثم صمت مجددًا ليسود ذلك الصمت لبضع ثوانٍ قبل أن يكمل بصوت خنقه الندم واليأس:

- لم تقاتل بما فيه الكفاية من أجلهم.. هذا ما تُرينا إياه

تلك اللعينة.. هذا ما تعذبك به.. تجعلك ترى أبناءك الذين قتلتهم لتخلصهم من براثنها وهم يشيرون إليك بأصابع مليئة بالاستنكار، وتجعلك تعيش بإحساس ذنب وجُرم لا يُغتفر لأنك يُسْتَفْتَى في الوقت الذي كان من المفترض أن تقاوم حتى الموت، ثم تجعلك تنهار بعد أن تثير ذلك الشك بنفسك بأن ما فعلته كان خطأ ويستحق العقاب وتستمر في ذلك التعذيب النفسي إلى أن تفضل الموت على أن تشاهد أشباح أطفالك كل يوم يطاردونك باستمرار وبلا توقف، وفي أوقات أخرى تجعلك ترى تلك الكوابيس عن استنجادهم بك، وبدلاً من أن تساعدكم.. تقتلهم.. تدفنهم.. تتخلص منهم بدون ألم.. هكذا تجعلك ترى الأمور.. هكذا تجعلك تندم على التخلص من أبناءك.. بل على التخلص منها.. إلى أن ينتهي الأمر بأن تختار أسهل الأمور لعدم مواجهة ذلك التعذيب المتوالي يوماً بعد يوم.. وهو الانتحار..

توقف الن عن الكلام مجدداً ليسود المكان السكون التام.. سكون تبادل به الجميع النظرات وإن اختلف مضمونها مما تحمله من مشاعر ومن حيرة وخوف وقلق على مستقبل غير مضمون وأمل غير موجود في إنهاء تلك اللعنة والقضاء على شئ لم يعرف له أحد أي نقاط ضعف!!

عاد ليكمل الن في هدوء أو بما استطاع أن يفيض به من هدوء على صوته:

- لقد تتبععت خطوات ذلك الرجل، وحاولت أن أعرف

ما السبب؟؟.. لا بل على الأرجح كيف انتقلت إليه اللعنة ولكنني خمنتُ شيئًا واحدًا.. أنه ربما كان للأمر علاقة بذلك المنزل الملعون الذي عاينه من قبل، وبالأخص تلك المفكرة السوداء التي تحدّثَ عنها، وبالفعل ذهبتُ إليه، حيث أخبرني ذلك المسكين بعنوانه قبل وفاته.. ليس الأمر صعبًا في دخول بيت مهجور، وليس عسيرًا تفتيش محتوياته للحصول على ما بداخله إن حصلتَ على المساعدة اللازمة..

ثم نظر الن إلى ريد بابتسامة ساخرة والذي بادله إياها بأخرى مماثلةٍ قبل أن يكمل:

- وأثناء تفتيشي له وجدت تلك المفكرة.. تصفحتها.. قرأت بها أشياء غريبة بالإضافة إلى طريقة كتابة الرواية بها.. كل هذا جعلني أشعر تجاهها بشئٍ مريب.. كان من المفترض بي تركها، ولكنني وجدت نفسي أدرسها بجيب معطفي لأحتفظ بها، ثم غادرت ذلك المنزل بعد فشلي في الحصول على أي شئ يدل على وجود ذلك الشيطان الذي تحدّث عنه.. غادرتُ صفرَ اليدين إلا من تلك المفكرة.. ثم مرّت على خمسة أيام ثم أسبوع ثم شهر كامل، ولم يحدث لي أي شئ.. كنت متعجبًا من الأمر، عندما قرأت قصة تلك الفتاة من خلال ما كتبتة في الأوراق القديمة المتهالكة..

وهنا قاطعه ستيفن قائلًا في صدمة:

- هل تقصد أن الفتاة سجلت قصة حياتها في تلك الأوراق القديمة؟؟.. ولكن كيف؟!.. إنها عمياء.. من المستحيل لها أن

تفعل ذلك!!

لكن الن أكمل في هدوء:

- لم تكن الأوراق هي المصدر الوحيد لروايتي.. لقد كانت هناك تلك الأحلام الخاصة بها.. تلك الكوابيس التي تتعلق بذكرياتها..

لكن الن وجد ستيفن ينظر إليه في دهشة فأكمل بصوت ساخر:

- آسف.. لقد نسيت.. أنت لم تتعرض لتلك الأحلام بعد.. لكن لا تقلق كل شئ سيصبح واضحًا في أوانه.. وعندها كل أسئلتك ستُجاب تقريبًا وخاصة تلك المتعلقة بشخصيتها.. بحياتها..

ثم أشاح الن بوجهه بعيدًا ناظرًا إلى أشعة الشمس الضئيلة والمتسربة خلال تلك الستائر الكثيفة لغرفته وأكمل في هدوء:

- لا أعلم لماذا ذكرت أنها مقتبسة من قصة واقعية وقتها؟؟.. ولا أعلم لماذا ظهرت لي بعد ذلك؟؟.. ولكنني أعلم جيدًا أنني مكثت لمدة شهرين استطعتُ خلالها إنهاء روايتي بعد قراءتي لتلك المفكرة جيدًا.. كان الوقت يمر في ببطء وبحشي في تلك اللعنة استمر أكثر مما ينبغي، لدرجة أن الامر بدأ يثير بعض الشبهات حولي بأنني متورط بإحدى تلك الجرائم.. لذا اضطررت إلى إيقاف ذلك البحث غير المُجدي والذي لم يطلني منه سوى العناء والتعب.. وسرعان ما نشرت

روايتي ولاقت ذلك النجاح المعهود إن كنتَ قرأتها..

فقال ستيفن مواسيًا:

- لقد قرأتها بالفعل..

فبرزت تلك الابتسامة على وجه الن قبل أن يطلب من ريد أن يميل برأسه عليه وليهمس في أذنه بكلمات لم يتبين منها ستيفن أي شيء، ولكنه بالتأكيد كان مطلبًا سيئًا وكافيا لإزعاج ريد الذي ضغط على أسنانه في قوة من شدة الحزن الذي تملكه ليقول بصوت متحشرج:

- أنت تعلم أنني لا أستطيع.. فحتى أنا تحاشيت أن أراها طوال السنوات السابقة.. أنت نفسك لا تريد ذلك.. بالإضافة إلى ذلك الأمر سيؤلمك أنت أكثر مني..

لكن الن أجابه في ضعف وهدوء بدون أن تتغير ملامح وجهه عن الجدية التي استقرت به مؤخرًا:

- لا أُبالي لذلك، خاصة ربما يكون هذا آخر أملٍ لنا.. لذا فعليه أن يعرف كل شيء عنها..

امتلل ريد لمطلب أخيه ليطلب من ستيفن بعدها أن يتبعه بعد أن علّق تلك السماعة الصغيرة الخاصة بالاتصال الهاتفي لمحموله بأذن الن اليمنى تاركًا معه هاتفه الخليوي، ثم طلب من ستيفن أن يتبعه ليغادرا غرفة الن مما جعل ستيفن يصيح في توتر:

- ولكن ما زالت هناك الكثير من الأسئلة التي أريد طرحها عليه وبحاجة إلى إجابتها..

ولكنه سمع ريد يقول في جدية:

- اتبعني وكل أسئلتك ستجاب قريبًا..

واستخدما المصعد لينزلا طابقين عن ذلك الذي به الن، وليذهبا إلى غرفة ليست بعيدة حيث غلفها ذلك الظلام المماثل لغرفة الن نتيجة لوضع الكثير من الستائر التي استطاع خلالها أن يتسرب قليل من ضوء الشمس وبما يكفي فقط للممرضات أو للزائرين أن يروا مواضع أقدامهم، وأيضًا بما يكفي لرؤية تلك الفتاة ذات الشعر الأسود والبشرة الشاحبة والشفاه الرمادية والأنامل السوداء.. كل شئ يدل على شئ واحد.. أن كارمن تلاعبت بتلك الشابة النائمة الآن.. وربما كانت هي كارمن، ولكنها بانتظار مَنْ يوقظها وينهي ذلك السبات التي يقيدها ليحررها من تلك الأغلال التي تمنعها من الحركة.

انتزع ستيفن من أفكاره على صوت ريد يقول في جدية:

- سيتحدث إليك عبر هذا..

وبمجرد أن وضع الهاتف على أذنه سمع صوت الن الواهن:

- انظرُ إليها جيدًا.. فأنا أريدك أن تحفر صورتها في ذهنك وعقلك.. ولا أريدك أن تجعل ذلك المشهد يفارق عينيك لحظة

واحدة.. وأريدك أن تعرف أن هذه هي النهاية التي ستلاحق ابنتك.. وهذا إن استطاعت مقاومتها واستمرت في البقاء على قيد الحياة.. هذه هي نهايتها مجرد جسدٍ خاوٍ خالٍ من أي مظاهرٍ للحياة.. مجرد جسدٍ جُرد من تلك الروح التي كانت تبث فيه الحياة، ولا يستطيع أحد مساعدتها.. أريدك أن تتأمل تلك الجثة الهامدة التي أمامك.. تلك الجثة التي زُرعت أنابيب التغذية والإعاشة بكل قطعة من جسدها.. أريدك أن تتأمل ذلك الجسد العاجز عن الراحة والموت وحتى إن أردت أن تزيل عنها كل هذا الألم فلن تطيعك يداك على تخليصها من ذلك العذاب الذي هي به؛ لأنك تعلم أن روحها ستعلق مع تلك الشيطانة للأبد، وستظل هائمة في الأرض بلا هدف بلا طريق للعودة وبلا طريق للموت.. سيطاردك شبحها أينما كنت.. ستغزو كوابيسك وستلومك على ما ألحقته بها.. لا أستطيع أن أقول إني شجاع بما يكفي للقيام بفعل ما فعله مَنْ قَبلي، وربما مَنْ بعدي تجاه تلك اللعنة التي لازمتني ولكني تمسكت بذلك الأمل على الرغم من أنني لم أعد أرى سوى اليأس.. ففضلت الحياة معذبًا معها وأن تعاني بجانبها عن الراحة وهي تعاني بعيدًا عني.. لم أستطع التخلص منها ولن أستطيع فعل ذلك.. ليس لأني لست مستعدًا لذلك ولكن لأنها بعد كل شيء ابنتي، شريكتي، دمي، تراثي.. وهي أيضًا جحيمي والذي لن أتنصل منه.. فهل ستستطيع إكمال ما فشل فيه العديد من قبلك..؟ أم ستصبح مثلي مجرد رجل عجوز ينتظر الموت وحيدًا بقلب يملؤه الحسرة والفجع على

ما وصل إليه.. هل تستطيع فعل ذلك؟!

نظر إليها بألم.. نظر إليها بقلب موجوع.. نظر إليها بحسرة وانهارت تلك الدموع من عينيه عندما اقترب منها في بطاء بعد أن تغيرت ملامح تلك الفتاة إلى ليز.. إنه يرى ليز نائمة على ذلك السرير تعاني من تلك اللعنة التي تريد أن تطيح بروحها لتحل بشيطان مكانها.. اقترب من يدها في حذر شديد.. ليلمس تلك البشرة الباردة والتي لم يستطع مقاومة معانقتها بيده لتتشابك مع يدها.. فلقد أثار مشهد تلك الفتاة العديد من المشاعر في قلبه، فلم يعد يعرف ماذا يريد؟.. إنه غاضب، ثائر، محتد بنيران الغيظ التي اشتعلت بصدرة، إنه لا يريد تلك النهاية لابنته ويتمنى ألا تنتهي بهذه الصورة.. ظل صامتًا تائهاً حائرًا لا يستطيع النطق بأي شيء إلا أن شفثيه تحركتا بتلقائية لتقول:

- على جثتي.. تلك اللعينة لن تحصل على ابنتي طالما أنا على قيد الحياة..

لم يدر كيف وافته الشجاعة ليقول تلك الكلمات، ولكنه قالها ومعها أحس قلبه بارتياح كبير، ولكن سرعان ما انقبض مجددًا عندما قال الن:

- لا تخف يا عزيزي فسوف يتحقق مطلبك إن فشلت في ذلك..

لكن ستيفن أسرع بالسؤال بصوت يشوبه التوتر:

- ولكن كيف حدث هذا لك..؟ كيف انتهى الأمر بك

وبابنتك إلى هذا المطاف؟

سمع ستيفن الن وهو يأخذ نَفْسًا عميقًا محاولًا التخفيف عما بداخله من آلام وحسرات شملت جسده وروحه واعتصرت قلبه لسنوات طويلة، ثم عاد ليتكلم قائلاً في صوت يائس أشبه بصوت رجلٍ موشكٍ على الموت:

- لقد بدا الأمر بعد شهرين كما قلتُ لك وبعد انتهائي من روايتي اللعينة المفكرة السوداء والتي اقتبست اسمها من تلك المفكرة التي بحوزتك الآن.. حتى لاحظت تلك التغيرات التي شملت ابنتي مثلما حدث مع ابنة ذلك المسكين الذي طلب مني مساعدته ولم أستطع.. كنت أعلم أن هناك خطأ ما جعلها تتسلل إلى عائلتي.. ولكن كان قد فات الأوان.. أتعرف ما المضحك في الموضوع؟!.. كيفية تغلغل تلك اللعينة خلال عقل ابنتك وخلال روحها.. ففي بداية الأمر تتم العملية كصوت ينمو بداخلها.. صوت يحثها على حب أبيها وبقوة.. صوت يحثها على التقرب منه.. صوت يتزايد بدخلها لا يشبعه ما يقدمه الأب من حنان وعطف لها.. ويجعلها تسعى من أجل المزيد.. ولكن لا تسرح بخيالك بعيداً فهذا يتم في نطاق الأبوة فقط.. فذلك الحب المقدم من الأب إلى الابنة ليس كافياً بالنسبة لها، مما يجعلها تطلب المزيد من العطف والحنان منه.. الشيء المثير للسخرية أنها تنمو خلال ذلك الحب البرئ بينهما، وكلما زادت قوة ذلك الرابط الأبوي كلما زاد تغلغل كارمن بداخل جسد ابنتك والتي لا تشعر بها تفتك بعقلها

وبروحها لأنها دائماً تظن أن ذلك الشعور نابغ من داخل قلبها، وأنه ليس هناك مَنْ يؤثر عليها.. إلى أن تتمكن كارمن من فريستها وتُحكّم سيطرتها عليها فتتملك من ذلك الجسد ليصبح ملكاً لها.. وبذلك يتم الأمر، ومَنْ كان منسياً يعود من جديد ليطالب بما كان في يوم من الأيام ملكاً له.. ولكن هل ينتهي الأمر عند ذلك؟؟.. لا يا عزيزي.. فهناك طريقتان لإنهاء الأمر ولقد عانيتُ من كلا الخيارين.. الأول هو أن كارمن لا تستطيع المكوث بجسد الابنة طالما أن الأب يكره ابنته أو يلعنها وسيقوم بتركها للأبد، وفي نفس الوقت لا بد أن يتقبلها الأب بداخل جسد ابنته حتى تستطيع أن تستحوذ عليه كاملاً.. فكما قلت إنها تستمر بجسد ابنته بوجود ذلك الحب الذي يغمرها من الأب والذي بحث عنه لسنين.. أمّا الثانية فهي بيد الابنة نفسها عن طريق مقاومتها والتصدي لها، ولكن هذا لا ينجح لسبب بسيط وهو كيف لطفلة أن تنجح في مواجهة شيطان؟!.. سأترك الباقي لتخيلك الواسع..

كان الأمر لا يحتاج إلى تفكير عميق أو تخمين صعب لأحداث متشابكة ومعقدة.. كانت الإجابة واضحة وساطعة كشمس الظهيرة في السماء، وما زاد أشعتها وضوحاً هو ما قاله الن مكملًا بعد بضع ثوانٍ عندما لم يسمع ردًا من ستيفن حيث ظن أنه ما زال حائرًا:

- ألم تستطع أن تجد إجابة بعد؟!.. دعني أساعدك.. فما حدث كان كالآتي.. لقد قاومت ابنتي كارمن بضراوة.. ولكن

هذا لم يكن كافيًا.. فقمْتُ بلعن ابنتي وبكرهها.. بالتخلي عنها أملًا أن تموت لكي تستريح.. كنت أريد التخلص منها كل يوم أكثر من السابق، بعد أن أصبح من المؤلم رؤيتها تعاني على يد تلك اللعينة.. ستسألني كيف فعلت ذلك؟؟.. كيف تخلّيت عن ابنتي بهذه الطريقة؟؟.. سأقول لك إنه أمرٌ لا بد منه.. وكان ثمنه باهظًا.. وخاصة عليّ.. أنت لا تدري كيف سيكون شعورك عندما تعلم أنه لا يفصل بينك وبين ابنتك سوى طابقين ولا تستطيع رؤيتها.. لا بل حُرِّم عليك رؤيتها، ولا تعلم ذلك الإحساس الذي يحرق قلبك عندما تعلم أنها بحاجة إليك، وأنها تهتف باسمك طوال الوقت راجية منك إنقاذها ولكنك لن تستطيع أن تفعل لها شيئًا.. مجرد عجزك عن نجاتها وما يفصل بينكما هو بضع خطوات يزيد آلامك آلامًا ويجعل حياتك لا تطاق.. وفوق كل هذا لا تستطيع أن تذرف الدموع على ما وصل إليه حالها لأن عليك أن تكرهها.. لقد قاومنا لفترة كبيرة.. استنفدت فيها كل أموالى على السحرة وعلى المشعوذين وعلى طاردي الأرواح.. وعندما أدركت أنه ليس هناك فائدة من التغلب على كارمن كانت هي نفسها قد يئست من التغلب على روح ابنتي الصغيرة ذات الإحدى عشرة سنة.. لذا فقد قامت بمعاقبتنا.. لقد أخذت مني زوجتي.. وسلبت منها أمها.. لقد قتلتها كارمن.. استيقظت يوما فوجدتها مختنقة بجانبى.. نعم لقد ماتت زوجتي بدون أن أشعر بها.. لقد ماتت أمها بدون أي وداع مسبق، وهنا لم أستطع التحمل.. وهنا أيضًا لم تستطع ابنتي المقاومة أكثر

من ذلك فأصابت بغيوبة لم تستيقظ منها حتى الآن.. لكن دعنا لا ننسى تلك الهدية التي تركتها بأجسادنا نحن الاثنين.. لقد تركت علامتها علينا ليكون لها القدرة على العودة متى تشاء.. أتعلم أنني قد مرت على لحظات يأس وأمرت بقتل ابنتي قتلاً رحيماً بالسم.. ولكن السم لم يؤثر عليها.. هنا أدركت شيئاً واحداً أن هذه اللعنة ستلازمنا إلى الموت، خاصة بعد موت آخر أمل لي على يد كريس.. ولكن ها هو الآن يعود على يديك مجدداً فهل ستستطيع أن تفعل ما فشل فيه الكثير من قبلك؟؟.. ولم لا..؟ ولكن إجابة هذا السؤال تكمن في رد فعلك أنت وفيما ستفعله أنت..

ثم ساد الصمت التام والذي لم يستطع بعده أن يقول ستيفن أي شيء، مما أجبره على أن يعطي الهاتف لريد الذي تحاور مع أخيه في عدة مواضيع، بينما فضل ستيفن المكوث خارج الغرفة بعد أن شعر بذلك الدوار يعصف بعقله.. لقد أصبح كل شيء واضحاً أمامه الآن، فهذه لعنة حقيقية حتى وإن لم يقبل عقله بها خاصة بعد رؤيته لالين وابنته كدليل قاطع على وجودها.. هل كارمن أرسلته إليه لتعلمه بتلك النهاية إن حاول مقاومتها؟؟.. هل الموت هو النهاية المحتومة لابنته إن فشل في إبعادها؟؟.. هل هذه هي نهاية ليز؟؟.. مجرد جسد خاو تمتد إليه الكثير من الأجهزة الطبية لمراقبته ولإبقائه على قيد الحياة إن حاولت مقاومتها.

- لا.. لن يحدث هذا طالما أنا على قيد الحياة.. ولن أدعها

تلمسها حتى ولو تكلف هذا حياتي..

قالها ستيفن لنفسه محاولاً استجماع شتات عقله.. محاولاً الإلمام بكل التفاصيل التي قالها الن.. محاولاً ربطها مع الحديث الذي دار بينه وبين مانديل وباتريك.. ثم ليتلاحم كل هذا مع الأوراق التي كتبها كريس والجرائد التي قرأها معها.. كل هذا يشكل التحفة النهائية.. كارمن.. تلك الشيطانة التي لم يستطع أحد القضاء عليها.. ذلك السم الذي يسري في الأرض بدون أي ردع له.. تلك اللعنة التي لا تصاحبها سوى نهاية مقاوميتها ومواجهتها.

- أي جحيم هذا!!!

قالها ستيفن وهو يستند إلى أحد الكراسي ليجلس عليه، لكنه سرعان ما أنتزع من عالمه عندما سمع صوت الن يقول في جدية:

- أعتقد أننا لا نستطيع التوقف الآن.. أليس كذلك؟؟

فنظر إليه ستيفن في ألم بعد أن بدأ الدوار يشد به قائلاً:

- وماذا الآن؟!

أجابه ريد في عجلة بعد أن أغلق الاتصال مع أخيه:

- أعتقد أن هناك شخصاً آخر عليك رؤيته.. ثم بعدها من الممكن أن تستريح أو تقاتل أو تفعل ما تشاء..



كان ريد قد أصر على القيادة هذه المرة بعد أن شعر بإعياء ستيفن والذي لم تستطع عيناه أن تستريحاً بعد أن سيطر عليهما القلق والخوف، مما جعله ينظر خلال النافذة إلى تلك التلال الخضراء والتي اختفت ببداية ظهور معالم مدينة باترويج المتحضرة بأبنيتها الشاهقة ذات الواجهات الزجاجية.. وسرعان ما سأل ريد ستيفن أن ينير مصابيح السيارة الداخلية.. ولم يناقشه ستيفن ولم يسأله عن السبب بل فعل ما طلب منه في هدوء.. وسرعان ما انفصلا عن تلك الطرق المضيئة إلى شوارع أخرى جانبية أقل إضاءة وأكثر هدوءاً، إلى أن استقر ريد في شارع مظلم بالكامل إلا من مكان بسيط مضاء بعمود إنارة يبدو عليه القَدَم الشديد، وهنا تنهد ريد في راحة كمن أنهى مهمة شاقة للتو وخرج من السيارة ومشى للجانب المقابل في صمت، لدرجة أن ستيفن ظن أنه سيتركه ويغادر فأسرع بالخروج من السيارة لينادي عليه، ولكن ريد لم ينصت لكلامه واستمر في مشيه إلى أن وصل بالقرب من ذلك العمود حيث ذلك الضوء البسيط، ثم اتجه إلى أقرب مبنى إليه ليترك على بابه الحديدي.

كان ستيفن قد جرى تجاهه وعندما اقترب منه أشار إليه بيده بأن ينتظر وبالفعل توقف ستيفن ليدخل ريد المنزل في سرعة عندما فتح ذلك الباب الحديدي والذي أغلق بعد دخوله مباشرة ليعاني ستيفن من الوحدة لمدة خمس دقائق أثناء انتظاره له والتي مرت عليه كأنها خمس سنوات ليخرج ريد مجدداً حيث انطلق ناحيته ليسأله في غضب:

- ما الذي يحدث بحق الجحيم؟؟.. هل هناك خبر سيئ آخر لا تريد إخباري به؟؟

فقال ريد في جدية:

- لا ليس هناك أي أخبار أخرى بإمكانني أن أقولها لك.. إلى هنا ينتهي دوري يا ستيفن..

ثم أشار إلى الباب الحديدي الذي كان ما يزال مفتوحًا بعد خروجه وأكمل:

- سوف تدخل الآن ذلك المنزل لتتحدث مع سيدة تدعي شيلي.. إنها السيدة الوحيدة المتبقية والتي يمكنها مساعدتك، والشئ الجدير بالذكر أنها تعتبر أحد أصدقاء كريس المقربين.. وهي أيضًا التي رشحته لنا.. لذلك أنا متأكد أنها ستساعدك بأقصى قدراتها.. ولن تبخل عليك بشئ.. هنا ينتهي طريقي معك أيها الرفيق العزيز.. وأتمنى أن تنجح فيما فشل به قبلك..

ثم تركه وبدأ يتحرك إلى حيث قدم، ولكن يبدو أنه تذكر شيئًا آخر قبل أن يغادر تلك البقعة المضيئة، فتوقف فجأة سائلًا ستيفن الذي بدا حائرًا من أمره:

- هل أنت مؤمن يا سيد ستيفن؟!

لاذ ستيفن بالصمت ولم يجبه، وبدأ الوجوم على وجهه واضحًا مما جعل ريد يكمل:

- أهذا السؤال صعب إلى هذه الدرجة؟!

لكنه قوطع بصوت ستيفن الحاد:

- أنا أوّمن بأن الرب لم يضع أي شئ بهذا العالم بدون سبب.. وأوّمن أنه لا يوجد مجال للمصادفات..

مما جعل ريد يضحك ويقول:

- أتعلم.. لقد كنت أتمنى إجابة أفضل من ذلك، ولكن إجابتك ليست سيئة أيضًا ولكن دعني أذكرك بشئ قبل ذهابي ربما يساعدك يومًا.. القدر شئ حتمي لا يمكن تغييره بيد إنسان أو بأي يدٍ أخرى على هذا الكوكب الصغير ولكن... أتعلم عندما أُصيب أخي وابنته بتلك اللعنة واضطرتُّ لانتحال شخصيته حتي نتمكن من إخفاء الأمر.. أنت فقط لا تدرك صعوبة الأمر عندما ترى تلك الطفلة الصغيرة تنمو يومًا بعد يوم.. لقد ظننت أنه مع كل يوم يمر ربما مقاومتها تقل وتضعف إلى أن تتمكن منها كارمن في لحظة ما.. ليظهر ذلك الشيطان مجددًا.. ولكن ما حدث هو أنها لم تظهر قط.. لهذا أظن أنها لن تعود إلينا مجددًا وأظن أنها اكتفت بمعاقبة أخي بذلك القدر اللعين الذي أصاب جسده الآن، ولكن على الرغم من كل هذا لم أياس يومًا ولم يختفِ الأمل من قلبي ولو للحظة بأن الرب سيرسل مَنْ سيساعدنا للتخلص مما أصابنا، وما زلت أوّمن بأنه يومًا ما سأرى ابنة ابنة أخي مرة أخرى.. ربما لن تكون تلك الابتسامة مثلما عهدتها عندما كانت صغيرة، وربما سيشوبها الضعف

والألم مما حدث، ولكنني واثق ومؤمن بأنني سأراها مرة أخرى..
فقاطعه ستيفن قائلاً:

- لا تقلق يا ريد، وثق بأنني سأعمل جاهداً على ذلك..
سأخلصكم من تلك اللعينة وسأمحو ذكراها من ذلك العالم
للأبد..

لكن ستيفن فُوجيء بضحك ريد مرة أخرى وهو يقاطعه
قائلاً:

- أنا اتمنى ذلك..

ثم ظهرت نبرة الحزن التي اختلطت بصوته اليأس وهو
يكمل:

- ولكن لكي تتغلب على تلك الفتاة أنت بحاجة إلى أكثر
من مجرد عمل شاق أو حتى معجزة تهبط عليك من
السماء.. أنت بحاجة إلى قَدَر..

قالها ريد هو يتحرك مولياً له ظهره، وعندما حذره
ستيفن من الظلام أجابه ريد في هدوء:

- إنها لا تسعى خلفي.. إنها تسعى خلفك انت..

لينسحب مختفياً في الظلام، حيث لم يعد ستيفن قادراً على
رؤيته، ثم لينظر في حذر إلى ذلك الباب الحديدي المفتوح
والمنتظر دخوله حيث يمكث خلفه ذلك الممر المغلف بالظلام
الدامس، وبنهايته باب مفتوح آخر ينبعث منه ذلك النور

البسيط.. فنظر ستيفن إلى ضوء ذلك المصباح بأعلى العمود وقد تذبذبت إضاءته محذرًا بانهيائه في أي لحظة مما جعله ينظر حوله مجددًا إلى ذلك الظلام.. ليبدأ يشعر بتلك الأعين تنظر إليه حتى وإن لم يستطع أن يراها فهو يعلم بوجودها في مكان ما، تراقبه، تشاهده، تنتظر أن يخطيء بشئ ما وعندها ستكون نهايته.. ولكنها لن تكون نهايته وحده.



انطلق ستيفن محاولًا بكل جهده تجاهل ذلك الشعور بالتوتر الذي يسري بكل جسده.. تجاهل ذلك الشعور بالخوف الذي يعتصر قلبه.. كان يمشي خلال ذلك الظلام إلى نهاية الطريقة حيث النور.. حيث يمكث طريق النجاة.. وربما حيث سيجد النهاية لتلك الكوابيس التي تطارد حياته مؤخرًا، وشيئًا فشيئًا اقترب من ذلك الباب الخشبي المفتوح قليلًا لينبعث منه ضوءٌ ضعيف.

يدفع ستيفن ذلك الباب في ببطء ليرى غرفة واسعة يسودها الظلام، غرفة يوجد بنهايتها مدفأة قد وضع بها قطع خشبية صغيرة أضمرت بها النيران، وبالقرب من تلك المدفأة يوجد كرسيان وثيران يحيطان بطاولة صغيرة وُضع عليها مطفأة كريستالية بها عدد من السجائر المحترقة والمطفأة والتي من الصعب حصرها.

كان يقترب من تلك المدفأة في ببطء، وقد أثار القلق بداخله تلك الأقنعة الكبيرة ذات الأشكال المربية والمخيفة المعلقة

بحوائط الغرفة.. تلك المكتبة والتي تزامت بها كُتُب تنفذ منها رائحة كريهة مشابهة لتلك الصادرة من المنزل المهجور القابع خلف منزله.. تلك الطاولات الكبيرة والتي تناثرت عليها أوراق بيضاء رُسِمت عليها علامات كالتي رآها بأوراق كريس.

كان يقترب من تلك المدفأة في بطء حتى أصبح على بعد بضع خطوات من تلك الكرسي الوثيرة حين سمع صوتها.. صوت هادئ وجاف لم يخلُ من الجدية والتي لم تفارقها قط:

- أي نوعٍ مِنَ الرجال أنت؟!

- ماذا؟؟

- لم أجد بعدُ لقبا مناسباً.. لقبا أستطيع به وصف ذلك النوع من الرجال.. ذلك النوع الذي يندفع تجاه الظلام وبقلبه آمال في أن يجد النور.. ذلك النوع الذي يلقي بروحه داخل الجحيم وهو يعتقد أن بنهايته أبواب الجنة مفتوحة بانتظاره.. ذلك النوع الذي يتوقف أمام شياطين الظلام وملائكة الموت وهو يظن أن هناك فرصة في الانتصار.. أي نوع من الرجال هؤلاء.. بماذا أستطيع أن أصفهم؟؟

- مُضَحَّون.. حُماة.. آباء.. يحاولون إنقاذ أبنائهم ويضعون أرواحهم فداءً لهؤلاء الذين سيرثون تراثهم.. هؤلاء..

- حمقى..

- ماذا؟!

قالها ستيفن في صدمة وهو يستمع إليها تكمل بصوت هادئ:

- هؤلاء هم الحمقى الذين واجهوا كارمن.. وهؤلاء كان الموت هو مصيرهم الأخير.

تقدّم ستيفن بخطوات ثابتة تجاهها.. تقدم بقلب مشتعل بالغضب تجاه الكراسي ليتخطاها وليصبح أمامها وهو يجيئها بصوت متحرج:

- إذاً فلاأكن أحمق، إذا كانت حياة ابنتي ستُعفى وستنقذ من مخالف كارمن..

كانت لا تبدو عجوزاً كما تخيلها.. إنما امرأة في أواخر عقدها الرابع، متوسطة الجمال، ولكنها لا تكثر بمقياس الجمال في وضع مساحيق التجميل، وقد ظهر هذا واضحاً في شعرها الأحمر غير المهذب، وفي طريقة تسريحته غير المنتظمة، بيضاء البشرة وربما يشوبها بعض الشحوب بسبب قلة تعرضها لأشعة الشمس، خضراء العينين ولكنه يستطيع رؤية تلك الهالات السوداء أسفلهما بوضوح والتي تعبر عن احتياجها الشديد للنوم والذي يبدو أنها لم تره منذ فترة ولكن ها هي تحاول أن تتأقلم مع تلك الحياة الصعبة كغيرها من أبناء جنسها وإن كانت احتياجاتها تختلف عنهم.

كانت تجلس في كسلٍ شديد، وقد وضعت تلك السيارة المشتعلة بيدها اليمنى جانباً بتلك المطفأة وهي ترمقه بنظرة

هادئة، قبل أن تعود مجدداً للنظر إلى نيران تلك المدفأة
قائلة:

- أنت تقول ذلك الآن يا مستر ستيفن لأنك لا تعلم بعدُ
هوية الكائن الذي أنت بصدد مواجهته..

- بل أعلم.. أعلم مما قرأته بأوراق كريس.. ومما سمعته
من الن سلوف.. أعلم جيداً نوع الكائن الذي أواجهه.. روح
ملعوننة لم يستطع أحد بعدُ القضاء عليها.

- بل لن يستطيع أحد على الإطلاق القضاء عليها..

- لماذا؟!!

لم تلتفت إليه ولم تجبه، بل سرعان ما دسَّت يدها بجيب
معطفها الأسود لتخرج منه نظارة يبدو عليها القَدَم الشديد
لتمسحها بعناية بمنديلٍ أسودٍ ناعمٍ وهي تقول في هدوء:

- هل اتصلتَ بابنتك مؤخراً؟!!

فأجابها ستيفن مندهشاً:

- لا.. ولكن لا أعتقد أن.. لقد تغيبتُ عن المنزل ليوم واحد
فقط.. فلا أعتقد أن هناك خطراً قد يتصاعد خلال تلك
الساعات القليلة الماضية..

لم تتكلم واكتفت بسحبِ نَفَسٍ هادئٍ من خلال سيجارتها
العتيقة التي أعادتها مجدداً بين شفتيها، ثم أطلقت بعدها
تلك السحب التي تنافس في قوة رائحتها عوادم ومخلفات

المصانع ثم عادت لتكمل:

- كارمن تعتمد على عاملٍ أساسي في التعمق بقلب وجسد أي فتاة.. وهو حنينها إلى عائلتها الغائبة وخاصة أباهَا بالطبع.. فكلما زادت تلك المسافة بينك وبين ابنتك كلما ازدادت سرعة تغلغل تلك اللعينة بداخلها وفي الاستحواذ عليها إلى أن ينتهي الأمر بكونها هي بدون أن تدري تلك المسكينة.. أعتقد أن الن أخبرك بهذا.

فنظر إليها ستيفن في قلق وسمعها تكمل:

- يجب عليك الاطمئنان عليها الآن..

مما جعله يجيب:

- لقد نسيْتُ هاتفي في السيارة.. سأذهب لإحضاره فورًا.

ولكنها أشارت خلفه قائلة:

- هناك هاتف على تلك الطاولة الخشبية خلفك.. بإمكانك استعماله بدلًا من العودة إلى ذلك الطريق المظلم مجددًا..

فنظر خلفه حيث استقرت عيناه على ذلك الهاتف الأسود الساكن على طاولة خشبية كبيرة مع العديد من البضائع الأخرى والتي لم يتعرف على هويتها.. فأخذ ذلك الهاتف في هدوء وليتصل بذلك الرقم والذي لم يكن لزوجته بل كان لابنته جين التي سرعان ما أجابته قائلة:

- آلو... مَنْ معي؟! -

فأجابها في سرعة:

- أنا والدك يا جين.. لقد كنت أتصل لأطمئن عليكم..
كيف حال ليز ووالدتك؟؟

فأجابته جين في توتر:

- لا شئ جديد، حتي أن والدتي علقت على كم المصابيح
التي علقتها بالمنزل.
فقال مسرعًا:

- هل ليز بحال جيدة؟؟

صمتت جين قليلاً مما جعل القلق يتلاعب بقلب ستيفن
الذي تسارعت ضرباته، وخاصة عندما أكملت وقالت:

- لا شئ.. لقد كانت تعاني من التهاب بعينيها حول ذلك
البياض الذي بها إلى لونٍ أحمرٍ دامٍ، ولكن لا تقلق فأُمي
أخذتها في الحال إلى الطبيب، وقد أخبرتني أنها أصبحت على
ما يرام وقد بدأ ذلك الاحمرار بالاختفاء شيئاً فشيئاً.. وسوف
تعود قريباً بها.

فصمت ستيفن قليلاً بعد أن بدأت الوسوس في التلاعب
بعقله البسيط، لقد علم الآن أن تلك اللعينة قد شرعت في
التلاعب بجسد ابنته الصغيرة، وأنها لن تتوقف إلا بعد فوات
الآوان مما جعله يسرع بالسؤال:

- هل كنتِ تلاحظين أي شئ مريب بأختك مؤخراً يا جين؟

أي شئ يدعو للقلق؟؟

- لا أعلم.. ولكن إن كنت تقصد مريبًا بعيدًا عن كونها تعيش في عزلة في الآونة الأخيرة ولا تتحدث لأي أحد.. أعتقد أنني أجد كونها مستيقظة طوال الليل ناظرةً خلال نافذة غرفتها إلى ذلك المنزل الخالي خلفنا مرددة طوال الوقت أنه لا يوجد أحد بداخله مريبًا للغاية.. أختي تخاف الظلام يا أبي.. ولكنها في الأيام الماضية أصبحت تخشى التعرض للضوء.. أعتقد أن كل هذا مريبٌ إلى درجة كافية لتجعلني أعتقد أنها بحاجة إلى مساعدة... وأعتقد..

ولكنه لم يدعها تكمل وقاطعها بصوت متحشرج:

- أرجوك جين لا تتركي أختك بمفردها مجددًا.. تحدثي إليها واستمعي إليها.. فقط دعيها تتكلم معك، دعيها تخبرك بأي شئ تريد.. لا تجعلها بمفردها أرجوك.. أنت تعلمين أن خيالها واسع قليلًا.. أرجوك ابقِ معها على الأقل حتى آتي..

فأجابته في قلق:

- حاضر يا أبي.. ولكن أرجوك عُد إلينا وبسرعة..

فصمت ستيفن قليلًا قبل أن يتكلم بصوت أضاف إليه قدرًا ما استطاع من الهدوء:

- سأفعل يا عزيزتي.. سأفعل.. هل تريدني أي شئ مني؟؟

فأجابته:

- لا.. لا أريد أي شئ.. هل تريد من أُمي الاتصال بك عند عودتها؟؟

كانت كلمات جين كسيفٍ مشتعل اخترق قلبه بلا هوادة ليصيب ذلك الجرح الغائر، والذي ما يزال ينزف بشدة ليزيده وجعًا وإيلامًا وهو يجيب بصوت يبدو عليه الفجع واضحًا:

- لا يا عزيزتي لا تجعلها تفعل ذلك.. على الأقل الآن..

وأغلق ستيفن الاتصال في ألم ليسمع شيلى تقول:

- يبدو أن ابنتك متعلقةً بك أكثر من اللازم..

فقال متجرعًا آلامه ومحاولًا إخمادها بداخله:

- بل أنا مَنْ هو متعلق بها وبشدة.. إنها لا تنام يومًا بدون أن أكون بجانبها.. لقد جعلتها تتمسك بي لدرجة أنها لا تستطيع الفراق عني ليوم واحد..

ثم صمت قليلًا ولكنه عاد ليحاول الدفاع عن نفسه قائلاً:

- ولكن ليس هناك أحد بجانبها غيري.. أمُّها لا تريدها، وأخواتها منفصلات عنها لأن كل واحدة منهن تنظر إلى أمورِها الخاصة غير ملقياتٍ أي إهتمام بها.. لو لم أكن بجانبها كانت ستصبح وحيدة.. و

لم يستطع ستيفن إكمال كلامه عندما تذَّكر صورة ذلك الطفل الباكي في وسط الظلام.. صورته.. آلامه.. وحدته.. مما

جعله يكمل:

- أنا لا أستطيع أن أجعلها تصير مثلي في يوم ما.. ولن أجعلها تصبح كذلك..

ثم أطرق برأسه إلى الأسفل في ألم حين سمعها تقول:

- أنت لم تخبرهم بعدُ بما يحدث لابنتك.. لم تخبر أيا من عائلتك بما تحتويه ابنتك الصغيرة اللطيفة!!

- إخبارهم لن يعود على إلا بالقلق.. الخوف.. لا أستطيع تحمل فكرة أن ينظروا إليها في رعب وفزع كأنها قبلية موقوتة ولا بد التخلص منها.. ولا أستطيع أن أتحمّل نظرات الإشفاق التي ستعرض لها، والتي قد تؤثر عليها لاحقًا.. ابنتي الصغيرة نفسها لا تعلم بما يحدث بداخلها.. لذا أعتقد أن الأفضل للجميع ألا يدركوا ما يحدث لها، على الأقل حتى أستطيع أن أحصل على إجابة لمطلبي..

فنظرت إليه في صمت بدون أن تعلّق على ما قاله مستمعة إليه يسألها في توتر:

- كيف أستطيع تدمير تلك اللعينة؟؟

فظهرت تلك الابتسامة الساخرة على شفيتها، ولكنها سرعان ما اختفت لتقول في جدية:

- أنت تعلم جيّدًا أنه لا مفر منها.. ولا توجد طريقة للتخلص منها، لقد اعتقدتُ أن الن قد فسر لك كل شيء فهو

بعد كل هذا أحد الأشخاص الذين عاشوا معها لفترة طويلة.

فاقترب منها في بطء وهو يقول بصوت متحرج:

- إِذَا هل تريدني أن أشاهد ابنتي وهي تموت بين يدي؟
وأرى تلك الشيطانة تحل مكانها بدون أن افعل أي شئ؟؟

فعادت تلك الابتسامة الساخرة إلى شفيتها مجدداً قبل أن تقول:

- وماذا سوف تفعل؟؟.. لا.. دعني أعيد صياغة هذا السؤال..
وما الذي تستطيع فعله؟؟.. فأنت ليس لديك أي قدرة على إيقافها.. بل كلنا ليس لدينا القدرة على إيقافها.. وكل ما بإمكاننا فعله هو المشاهدة.. مشاهدتها وهي تدمر كل شئ.. مشاهدتها تدمر أقاربنا أو أبناءنا.. مشاهدتها تسلبنا كل ما هو عزيز على أنفسنا وما الذي نستطيع فعله؟!.. لا شئ..

نظر إليها ستيفن في يأس بعد أن أدرك أنه بالفعل بحاجة إلى معجزة ما لإنقاذ ابنته.. بحاجة إلى قَدَر.. ولكنه سمعها تقول في جدية:

- لقد سمعتُ من ريد أنك تتعرض لتأثيرها منذ أسبوعين أو أكثر، وعلى الرغم من ذلك لم يظهر على جسدك أو على جسد ابنتك أي تغيرات..

فأجابها:

- نعم هذا صحيح تقريباً..

فسألته في هدوء وهي تُخرج ذلك الدخان الرمادي الساخن من صدرها بأن يقص عليها كل شئ وقد فعل ذلك بدون أن يستغرق وقتًا طويلًا، ولكن يبدو أن قصته لم تُثر أي مشاعرَ بداخل قلبها، وقد بدا هذا واضحًا على وجهها ولكن الاهتمام بدا واضحًا على صوتها عندما قالت محدثة نفسها بصوت عال:

- إذاً لسبب ما استطعت إنقاذ نفسك قبل أن تُحكّم سيطرتها عليك.. استطعت أن تتحكم بعقلك قبل أن تفرض نفسها بداخلك.. مثير للاهتمام..

ثم نظرت إليه في سخرية مكملة:

- أنت لم تقم بردعها فقط.. بل استطعت إيقاف تدفق سحرها إلى داخلك.. لقد استطعت أن تخيفها..

فأجابها مسرعًا:

- لا.. أنا لا أظن أنها شعرت بالخوف.. لقد ابتعدت عني لوهلة وكأن هناك شيئًا ما آلمها ولكن.. لا أستطيع تفسير ما حدث، وربما يكون كل ما رأيته بذلك العالم المظلم مجرد محض خيال.. رأيته عندما ازداد الضغط على عقلي.. لقد بدا كل شئ كحلم.. بل ككابوس لا ينتهي..

فقاطعته في شغف:

- وربما يكون كل ما تقوله صحيح أيضًا.. ولكن لا توجد سوى طريقة واحدة لمعرفة ذلك..

كانت تقرب تلك السيارة بيدها اليسرى من شفيتها عندما نظرت بياس إلى يدها اليمنى المغطاة بذلك القفاز الجلدي الأسود، وسرعان ما التحمت شفاتها بعقب تلك السيارة لتمنعها من السقوط، في حين بدأت في نزع ذلك القفاز في رفق عن يدها اليمنى، ثم أشارت إلى ذلك الكرسي الوثير القريب منها ليجلس عليه فأطاعها في الحال، ثم أخذت يده اليسرى في هدوء ووضعتها على الطاولة الخشبية بحيث يكون كف يده للأعلى، ثم أمسكت بسكين صغيرة بالقرب منها وقربتها من يده مما جعله يقول في توتر:

- ما الذي ستفعلينه بالتحديد؟؟

فأجابته في جدية:

- لا تقلق سأجرحك جرحًا بسيطًا..

وبالفعل لقد جرحت كف يده، لم يكن جرحا داميًا ولكنه كافٍ ليجعله ينزف وسرعان ما رآها تفعل المثل بكف يدها اليمنى، ثم قربتها في رفق من يده المصابة لتمسك بها ولتتلاحم جراحهما معاً، وليرى دماءهما وقد امتزجا ببعضهما البعض ثم أغمضت عينيها في بطاء قائلة:

- لا تقلق.. كل شيء سيكون على ما يرام.

قد يكون... قالت ذلك لتحاول أن تجعله يسترخي، ولكن ما رآته عيناه جعل قلبه ينبض.. لأن عقله كان يستعيد كل تلك الذكريات المخيفة بدءًا من عندما حاصرتة كارمن

وضيقت عليه الخناق بذلك الظلام الدامس وبتلك العين اللعينة.

كل شئ يمر أمام عينيه بسرعة وبدون توقف حتى أتى ذلك الطفل الباكي.. ليتوقف عنده شريط الذكريات.. ولكن لم يستمر في البكاء مثلما حدث بل رآه يتوقف عن البكاء.. رآه يقف بعد أن صمت أخيراً.. كان يوليه ظهره حين سمعه يقول بألم شديد:

- لماذا أتيتَ إلى هنا مجدداً؟!.. لماذا أتيتَ؟؟

كان ستيفن ينظر إليه في دهشةٍ ومعامٍ صدمةٍ بدت متجلية على معالم وجهه، استمع إليه يكمل:

- لقد نسيتَ.. لقد نسيتَ.. لماذا أتيتَ بعد نسيانك لكل شئ؟؟

كان أنينه ونحيبه المكتومان ما يزالان مستمرين، رآه يلتفت إليه، رأى بشرته الشاحبة.. رأى عينيه السوداوين الدمويتين.. رأى شعره الأسود.. رأى ذلك الصغير بعد أن تلوّث بقوى كارمن.. رأى الكراهية تشتعل بعينه.. رأى الظلام يفيض من دموعه السوداء التي تسيل على خده بلا توقف.. رآه يقترب في بطاءً مكماً حديثه بصوت يفيض بالغضب المستعر بداخل صدره:

- لماذا نسيتَ؟؟.. كيف نسيت وعدنا؟؟.. كيف نسيت

ألمنا؟؟.. كيف أتيتَ إلى هنا بدون أن تتذكر ما حدث لنا؟؟

رآه ستيفن يتبخر بعينين مصدومتين مفتوحتين عن آخرهما..

رأى بشرته تتشقق وتستحيل رماداً يتطاير.. رآه يتلاشى وهو يكمل بصوت عالٍ يتردد صده في الأرجاء:

- كيف لك أن تعيش بدون أن تتذكر؟؟

ثم سرعان ما شعر بتلك الأيدي تحيط برقبته لتعتصرها بلا رحمة، وهو يسمع صوته الذي يزداد في العلو بدون توقف حتى صار الأمر لا يحتمل، مما جعل ستيفن يغلق عينيه في ألم بعد أن أحدث ذلك الصراخ العالي ألماً شديداً برأسه وأذنيه محاولاً بكلتا يديه أن يحرر رقبته من أيدي ليس لها وجود، ومن المستحيل التملص منها.. لقد شعر بجسده تخور قواه، لقد شعر بالألم يتحرر بجميع أرجاء جسده وهو يسمعه يقول بصوت صارخ من المستحيل تحمله:

- كيف تستطيع الحياة مع نسيان ما حدث لك؟؟

وجد ستيفن نفسه يفقد الوعي، وجد نفسه لا يستطيع التنفس، وجد نفسه يموت، وجد ستيفن نفسه يستسلم لما يحدث مستمعاً إليه يكمل بصوت يفيض بحقد من الصعب احتواؤه:

- كيف استطعت أن تغفر له؟؟.. بل كيف لك أن تغفر له ما فعله؟؟

كان يشعر بالموت ينتزع روحه من جسده، ولكن سرعان ما مر شريط الذكريات مجدداً أمام عينيه ليرى نفسه قد أنقذ من ذلك الكابوس المظلم بأعجوبة وليرى كارمن تنتفض

من الألم وتمسك برأسها بكلتا يديها قبل أن يهرب بعيداً وليراها تلاحقه مجدداً.. لينتهي الأمر باندفاعه إلى الباب ومحاولته الفاشلة في الهروب منها، ولكنه بمجرد أن لمس باب المنزل حطمه بقوة ولينتهي الأمر بتلك الشاشة السوداء أخيراً.

فتح ستيفن عينيه في ألم وخاصة أنه ما يزال يشعر بذلك الصداع الشديد والذي يعصف برأسه بقوة بسبب ذلك الصراخ الذي تعرضت له أذناه منذ قليل.

ولكن الصدمة التي تعرض لها جعلته ينسى ذلك الألم خاصة عندما رأى تلك السكين قريبة من عنقه، وشيلي تنظر إليه في خوف وفزع مكررة:

- مَنْ هذا؟؟.. كيف حدث هذا بحق الجحيم؟؟

كانت عيناها الجاحظتان ويدها المرتعشة والممسكة بتلك السكين بالقرب من عنقه جعلته يقول بصوت يسوده الخوف والدهشة:

- ما الذي تقصدينه؟؟

لكنها قربت السكين بسرعة من رقبته والتي لمس نصلها بشرة ستيفن ليدرك أن ما يحدث حقيقي، وأنها قد تقتله بالفعل مما جعله يصرخ:

- شيلي.. أرجوكِ توقفي عن هذا..

نظرت شيلي إلى الأرض وقد بدأت أنفاسها المتسارعة تهدأ،

ثم أبعدت تلك السكين في بطنه عن رقبتة ليحرر بعدها نفسه من قبضتها ويلقي ستيفن بنفسه بعيداً عنها وهو يصرخ:

- ماذا تفعلين أيتها المجنونة؟!

فنظرت إليه في يأس لتقول بصوت متحشرج:

- أنا آسفة.. لكنك لا تعلم بعد.. أنت فقط لا تعلم..

كانت تتنفس بصعوبة كأن ما شعر به أثناء رؤيته لما حدث قد شعرت به أيضاً، كان العرق يتصبب من وجهها ومن جميع أنحاء جسدها، كأن ذلك الخوف الذي امتلكه قد تمكن منها أيضاً، كانت تضغط في ألم على عنقها كأن الموت الذي كان يعتصر رقبتة وكاد ينتزع روحه من جسده كان حقيقياً لها، على الرغم من معرفتها بأن كل ما رآته ما هو إلا وهم، كان صوتها يزداد وضوحاً وقوة مع الوقت:

- أنا أعلم أنك لا تدري بما يدور من حولك.. وأعلم أنني مدينة لك بتفسير.. ولكن كيف أقول لك هذا؟؟

فصرخ فيها ستيفن:

- الذي أريد أن أفهمه لماذا لم تستطيعوا القضاء عليها؟؟.. بل لماذا من المستحيل القضاء عليها؟؟.. لماذا لا تستطيعون أن تلعنوها إلى أقصى أعماق الجحيم حيث جزاؤها؟؟.. حيث ما يفترض أن تناله من عقاب.. لماذا؟؟

لكنها لم تجبه، بل استمرت في النظر إليه بتلك النظرة اليائسة والتي سرعان ما انتقلت إليه.

كان يعلم أنها لا تستطيع أن تجيبه بأي شئ.. بل إنه ليس بحاجة لسماع أي إجابة منها من الأساس.. فهو يعلم أنه ليس هناك طريقة للقضاء عليها وأنهم جربوا كل شئ، لكنه سمعها تقول بصوت متألم وحزين:

- إن الموضوع ليس كما تظن.. ربما يكون الن تكلم عنها كثيراً ليجعلك تظن أنك عرفت كل شئ عنها، ولكن هناك أشياء أخرى لم يُلَم بها الن بعد.. أشياء أخفيها عنه بطلب من أخيه.. حتي لا يستعيد ذلك الأمل المزيف في إنقاذ ابنته المسكينة.. أشياء مؤلمة ومن الصعب تقبلها.

فجذب ستيفن ذلك الكرسي ليجلس بالقرب منها، ولكن على بعد مناسب هذه المرة حتى يتفادى أي هجمة مجنونة مفاجئة وليسمعها تقول في يأس:

- لقد حاولنا آلاف المرات القضاء عليها، وربما بطرق أكثر تعقيداً عما سمعت وتخيلت، ولكن الأمر ليس كما تظن، وليس كما تشاهد في الأفلام.. هناك أرواح لا نستطيع التخلص منها خاصة إذا ماتت وهي طاهرة.

مما جعل ستيفن يقول في دهشة:

- طاهرة؟ ما الذي تقصدينه بحق الجحيم؟؟.. تلك الملعونة قُتلت جميع عائلتها.. لقد سَمَّمتهم ثم سفكت دماءهم.. أي

طهارة أحاطت بروحها بعد كل هذا الجرم و..؟

لكنها قاطعته في جدية قائلة:

- جُرم.. نعم بالفعل جرم، ولكننا نعلم جيداً أن هذا ليس بصحيح.. عائلتها ربما تكون استحققت ما نالته.. ولكن ذلك الجرم كان المفترض ألا تحمله.. بل كان من المفترض لأبيها أن يحمل على عاتقه تحمّل تلك المسؤولية.. لكنها لم تُردّ ليديه أن تتلوّثا بدماء مَنْ يحب.. لقد ضحت بنفسها من أجله.. تلك اللعينة ألقت بنفسها في أعماق الجحيم لأنها لم تُردّ له أن يتألم. سرعان ما رآها ستيفن تمسك بتلك النظارة القديمة مجدداً لتنظر إليها وهي تكمل بحزن:

- إذا كان هناك شخص يريد التخلص من كارمن.. إذا كان هناك مَنْ يحقد عليها ويكرهها ويتمنى أن يدفنها بكلتا يديه بعالم الأموات مجدداً.. فلن يكون أكثر مني.. لكنها..

ثم التفتت شيلي إليه مجدداً مكملة:

- روحٌ لا ترى الحياة، وفي نفس الوقت تأبى الموت.. روحٌ ضحت من قبل بجسدها من أجل شئ فقدته، وأعتقد أنها مستعدة للتضحية بالعديد من الأجساد من أجل هذا الشئ مجدداً إن كان سيستحيل حقيقة.. خصم لا يستهان به وإن فعلت ستكون نهايتك مماثلة لكل مَنْ واجهها من قبل.. هذا خطأ تعلمته بالطريقة الصعبة.

ساد الصمت بينهما لبضع لحظات، صمتٌ ثقيل قاتل،

صمت سحق عقل ستيفن المنهك، صمت لم يعد يتحمّله لكنه يعلم الآن أنه لم يعد هناك أي شيء يضاف، لكنه سمعها تقول في سخرية:

- أعتقد أن ريد لم يخبرك بهذا الأمر.. ألا وهو أننا اقترحنا بعثها من جديد بجسد فتاةٍ تحتضر ثم التخلص منها لاحقًا، ولكن مجرد التفكير في الأمر كان له مخاطر.. لقد واجهتنا العديد من الأسئلة والتي لم نستطع إيجاد أي إجابة لها وأبسطها هو ماذا سيحدث إن عادت للحياة وعادت معها تلك القوة المطلقة التي ترافقها الآن؟؟.. ما الذي سيحدث حينها وكيف سنستطيع مواجهتها؟

مما جعله يقول في عنف:

- ما تقولينه شيء من الصعب أن يتقبله أي عقل..!

فقاطعتها قائلة في استنكار:

- بل لن يتقبله عقل، ولكنه أمر لا بد منه.. أنت لا تعلم مقدار الألم الذي تسببت به هذه الفتاة الصغيرة وأنه لا توجد نهايةٍ لما تفعله.. هذا كان اعتقادي إلى أن أتيت أنت لتغير كل هذا.. لقد فتحت أبواباً أخرى أغلقناها.. أبواباً كنا نؤمن أنها خيالية.

مما جعله يقول في تعجب:

- أي أبوابٍ فتحتها وأنت تقولين أن ليس هناك أي أمل في إنقاذ بنتي..؟

لكنه فوجيء بصراخها:

- أيها الأحمق.. إنها ليست أبوابَ أملٍ، بل أبواب جحيمٍ مطلق والتي يداك تمسكان بمقابضها الآن..

فنظر إليها في حيرة ولكنه سمعها تكمل:

- أنا أعلم أنك لا تفهم أي شئ، لأن هذا الأمر لم أفهمه أيضًا إلى الآن فقط.. دعني أوضح لك ماذا أقصد؟؟.. دعني أريك حقيقة القوة التي بحوزة كارمن.. لقد تحدّث عنها الكثير وحاول العديد امتلاكها.. قوة تهبك الخلود والعديد من القدرات التي ليست لها حدود.. قوة تمكّنك من الاستحواذ على أرواح مَنْ يقع تحت رحمتك.. قوة تجعل عالمك مغطىً بالظلام.. وتعطيك القدرة على التلاعب بعقل أي من خصومك لتجعله يعيش الجحيم على الأرض، إنها تجعل باستطاعتك أن تريه الموت بألف طريقة وطريقة، بل وتجعلك قادرًا أن تريه أنه قد مات وتوفي منذ زمن طويل بينما ما زال قلبه ينبض وبينما تستطيع رثاه التنفس.. والعديد من القدرات.. وأكبر دليل على وجود هذه القوة هو الن وابنته.

ظهرت تلك الرعشة الإرادية بيد ستيفن عندما تذكّر تلك الصورة التي سجلتها عيناه لابنة الن، ولكن صوتها أعاده إلى الواقع مجددًا:

- أشياء كثيرة بإمكان كارمن فعلها، ولكنها على الرغم من ذلك لم تقم بإظهار قواها الحقيقية بعد، وهذا يجعلنا نتساءل

هل هذا لأن كارمن لم تُلم بمدى قواها بعد؟ أم.. أم لأنها بحاجة إلى جسد..؟ جسد بشري حي لكي تستطيع استخدام جميع قواها..؟ لا أحد يعلم، ولا أظن أنه سيوجد مَنْ يعلم بذلك.. لقد أفنت كارمن العديد من العائلات.. بل إنها أفنت كل مَنْ اقترب منها أو اقتربت منه.. العديد من المشعوذين عانوا من تلك النهايات عندما واجهوها.. وآخرهم كان كريس.

فنظر إليها في ألم وقد بادلته نفس النظرة وأكملت:

- لذا من المستحيل أن تعود كارمن إلى الحياة مرة أخرى حتى لو تكلف هذا التخلص من الشخص المستحوذ عليه مِنْ قِبَلِهَا؛ لأنها لو عادت بتلك القوة فمن المحتمل أن تدمر ذلك العالم..

مما جعل ستيفن يرمقها بتلك النظرة القاتلة وهو يقول بصوت أجش:

- هل تريدني أن أقتل ابنتي؟.. أن أتخلص منها في الوقت الذي هي فيه بحاجة إلي..؟ أنت مخطئة إذا كنتِ تعتقدين أنني سأفعل ذلك.

مما جعلها تقول في استرجاء:

- إذاً عليك أن تنصت إليّ جيداً؛ لأن ما سأقوله لك في غاية الأهمية ولن يكون أملك الوحيد في إنقاذ ابنتك فقط.. بل في إنقاذنا جميعنا.



(7)

كان ستيفن يقطع ذلك الطريق المتعرج خلال تلك الغابة
أملًا ألا يكون قد فقد طريقه أثناء تذكره لتلك المحادثة التي
دارت بينه وبين شيلي، وخاصة ذلك السؤال.

سؤال بسيط لكنه لم يستطع أن يجيبه ليس بسبب
صعوبته، لكن بسبب تعلقه بماضٍ يحاول جاهدًا تناسيه،
يحاول جاهدًا ألا يجعله مجددًا مركز أحداث حياته، يحاول
جاهدًا ألا يكون عقبة مجددًا في طريقه مثلما كان دائمًا.

سؤال واحد ولكنه ما يزال يتردد برأسه حتى الآن:

- إلى أي مدى كان ماضيك سيئًا؟!

لم تطلب منه أن يجيبها، لم تحاول أن تضغط عليه، وربما لم
تُرد حتى معرفة الإجابة.. فلامح وجهه، وتلك النظرة البادية
على عينيه، ذلك التنهد الطويل الذي أطلقه عقب سؤالها
ببضع لحظات كان كافيًا لمعرفة إلى أي مدى كان ماضيه سيئًا..
إلى أي مدى كان تعيشًا في صغره.. إلى أي مدى قد كره نفسه
عندما كان صغيرًا، وإلى أي مدى قد أراد الموت.

لم تنتظر إجابته وأكملت قائلة:

- عندما تعمقت داخل ذكرياتك لأرى ما حدث بينك
وبينها.. لقد رأيت ذلك الجزء المظلم من قلبك.. ذلك الجزء
الذي يجعلك مشابهًا لها تمامًا.. ذلك المكان الذي لا يوجد به
أي حبٍ أو عطف أو شفقة.. بل رأيت أيضًا كل مشاعر الحزن

والكراهية والحقْد.. لقد رأيت قلبًا ممتلئًا عن آخره بالعنف وقد أحرقتَه نيران الألم والظلم الذي تعرض له.. أتَعلم.. لقد رأيت قلبك مطابقًا لها تمامًا.. رأيت قلبًا اختفى منه أي نورٍ ليسود به الظلام فقط.

- وهل هذا شئ جيد؟!

لم تجبه وأطرقت رأسها للأسفل لثوانٍ معدودة قبل أن يعود مجددًا ليسألها في توتر:

- بالتأكيد هذا سيكون جيدًا في مواجهتها.. أليس كذلك؟!

لم تجبه مرة أخرى، واكتفت بالصمت لثوانٍ معدودة قبل أن تكمل قائلة:

- لم يستطع أحد النجاة من قبل من غزو كارمن للعقل.. الوحيد الذي استطاع فعل ذلك كان كريس.. إنه ساحرٌ محنك، ماهر وذو خبرة.. هل تعتقد أن هذا قد ساعده..؟ لقد مات كريس في النهاية.. فماذا ستكون فائدة قلبك المظلم بمفرده في مواجهة كارمن؟؟

ثم وجدها ترمقه بنظرة حادة وهي تكمل في ألم:

- كارمن تنجذب للآباء ذوي القلوب المظلمة.. لو لم يكن قلبك به هذا الكم من الحقْد والكراهية لكنت ستعيش هانئًا.. كنت ستشاهد فتياتك يكبرن في هدوء.. كنت ستشاهدن يتزوجن وستشاهد أحفادهن بدون - كما تقول- أن يتعرضن لأي خطر.. قلبك المميز هو الذي وضعهن في ذلك

الخطر من البداية.. لنُقْل إنك استطعت إيقاف كارمن إلى حدٍ ما.. ولكنك لن تستطيع إيقافها للأبد.

ثم أشاحت برأسها بعيدًا قبل أن تكمل قائلة:

- لكن لحسن الحظ حاليًا، كارمن لن تحاول اختراق عقلك مرة أخرى.. على الأقل لفترة طويلة..

- ما الذي تقصدينه؟؟

- ما أقصده أن ليس كل ما رأيته كان أوهامًا..

فنظر إليها في حيرة قبل أن يسمعها تكمل:

- ما أقصده أنك قد رأيتَ الجزء الأول من العرض، وهو ذلك الفتى الباكي بداخلك.. ولكن بمجرد أن تلاعبت كارمن بقواها بداخلك.. بمجرد أن تذوق جسدك تلك القوى التي تمتلكها تلك اللعينة استطعت رفضها.. استطعت أن تردعها.. وهذا ما لم يستطع فعله الكثير من الآباء..

- ما الذي تقصدينه أيضًا؟؟

- أقصد أن ما يحدث بداخلك من أوهام ستصبح بالنسبة لها حقيقة.. وستراها أيضًا.

- ليس هذا ما أردتك أن تفسريه لي؟؟

فنظرت إليه في تعجب لتراه ينظر إلى كلتا يديه وهو يكمل سائلًا:

- ما الذي تقصدينه بتذوق جسدي لقواها؟؟

لم تجبه مجددًا واستمرت في النظر إليه وهو يكمل في خوف وقلق:

- ما الذي تقصدينه بتلاعب كارمن بقواها بجسدي؟؟

وجدها قد التزمت الصمت، وجدها لا تستطيع إجابة أسئلته، وجدها تنظر إليه في حزن، وجدها ليست بحاجة إلى إجابة أسئلته، فهو يعلم الإجابة مسبقًا، يعلم الإجابة منذ تلك اللحظة التي أخبرته بها كارمن أن يذهب إليهم.

- كم أمامي من الوقت؟؟

- ليس بطويل..

- كم تقريبًا؟؟

- يومان أو ثلاثة أيام على الأكثر..

فتنهد ستيفن في يأس قبل أن يقول في ألم:

- أمامي يومان قبل أن أتحوّل إلى تلك الحالة التي عليها الن.. يومان أو ثلاثة قبل أن يصبح جسدي هزيلًا شاحبًا وعاجزًا عن الدفاع عمن أحب.

- عاجز!!

قالتها في دهشة أصابته بمثلتها وهو يراها تكمل في إستنكار:

- أنت تظن أن الن عاجز.. تظن أن الن ضعيف.. ذلك القدر ما زال كاذبًا لعينًا كما اعتدته دائمًا.. إلى متى سيستمر

في إخفاء الحقائق؟!

- ماذا تقصدين؟!

- لا يهم أمر الآن.. لا يهم.. ما يهمني هو أمر واحد فقط.

انتبه ستيفن إلى ذلك البيت الخشبي والذي أحاطت به الأشجار المعلقة لتجعله يبدو قديمًا كأنه بُني منذ قرون وليس منذ عشر سنوات، وخاصة بعد أن بهت طلاؤه الأبيض ليصبح رماديا، فأوقف سيارته بالقرب منه ونزل منها لينظر إليه في حذر، فهذا هو البيت الذي لقي فيه كريس وابنته مصرعهما محترقين حتى الموت، ولكن ذلك الحريق لم يؤذ أجسادهم ولم يحُ ملامحهم كما تفعل أي نيران عادةً، فوقودها ليس الجسد بل الروح، ولكن على الرغم من ذلك لم ينفصلا عن بعد، بل تشابكت أيديهم وهُم يواجهون ذلك المصير المروع والقاسي.

لم يعلم أحد ما حدث، ولكنهم آمنوا أن كريس وجد طريقة للتخلص من كارمن.. طريقة ما لم تكتمل بعد.. فاسترجع ستيفن بقية ذلك الحديث الذي دار بينه وبين شيلي داخل عقله متذكراً قولها في حذر:

- سوف أعطيك عنوان منزل كريس الريفى، والذي يقع في مدينة وايترن بالقرب من نيويورك.

فقال ستيفن مسرعًا:

- أنا اعرفُ هذه البلدة، فأنا أمر بالقرب منها عندما أذهب إلى زيارة ابنتي بمدينة الجامعية في نيويورك، إنها تبعد عنها ساعتين فقط.

فتنهدت شيلي في راحة وهي تكمل في هدوء:

- إذاً فقد وفرتَ على الكثير من العناء.. ولكن هذا لا يقارَن بما ستمر أنت به.. كنت أريد أن أعطيك أي حلٍ آخر ولكن لا بد ان تمر بتلك النقطة..

توقفتُ قليلاً عن الكلام ثم أخذتُ نَفَسًا عميقًا أخرجته ببطء محاولةً التخلص من ذلك الحريق الذي اشتعل بصدرها، والناج عن تذكرها تلك الذكريات المؤلمة والصدمة التي حدثت لها عندما ذهبْتُ لهذا المنزل وما وجدته بداخله ثم أكملت بصوت ضعيف يعبرُ عن شدة الإنهاك الذي نال منها:

- ولكن قبل كل هذا أريد أن أسألك عن شئٍ مهم.. إجابته ستحدد مصيرك ومصير ابنتك وعائلتك..

فنظر ستيفن إليها في اهتمام وهو يستمع إليها تسأله في جدية:

- إلى أي مدى أنت مستعد للتضحية من أجل ابنتك..؟

- إلى أي مدى تريدينه..؟ أنا مستعد للتضحية بأي شئٍ بل وبكل شئٍ.

- حتي لو كان الأمر سينتهي بالتضحية بروحك.

- أنا مستعد للموت في سب..

- ليس الموت ما أقصده يا عزيزي..

فنظر إليها ستيفن في حيرة بدت واضحة على عينيه اللتين بدأ ينال منهما الضيق، وملامح وجهه المتجعدة والتي دبّت بها رعشة باردة عندما سمعها تكمل:

- هل أنت مستعد لإرسال روحك للجحيم من أجل ابنتك؟؟

لم يجبها، لم يستطع أن يجد ردًا مناسبًا، وقد عللت هذا كنتيجة لعدم إدراكه لما قصده بسؤالها فأكملت:

- عندما ذهبنا لمنزل كريس كان كل هدفنا إنقاذه هو وابنته.. ولكن كان قد فات الآوان.. وكل ما استطعنا فعله هو استعادة جثتي كريس وابنته.. لم نعبث بأي شيء بالمنزل لسبب واحد.. كل شيء استعمله أي ملعون به هو بمثابة عين لها.. وأكبر مثال لك هو تلك المفكرة السوداء التي بحوزتك.. والتي لا أعلم لماذا توجد بمنزل كريس؟!.. فأنا أتذكر جيدًا أن كريس أخذها معه إلى ذلك المنزل الريفي حيث توفي هناك مع اب..

صمتت للحظات التقطت بها أنفاسا متسارعة محاولة إخفاء تلك الدموع البادية على عينيها قبل أن تكمل:

- ولكن هذا لا يهم الآن.. المهم هو أن تحصل على تعويذة سحرية ابتكرها كريس بنفسه لم أستطع أخذها، تعويذة

الغرض منها هو التضحية بروحين آدميتين من أجل إنقاذ أخرى.

فقال ستيفن في فزع:

- روحان مقابل روح واحدة.. هل تقصدين أرواح بشرية؟!..
أرواح لأناس يعيشون ويتنفسون؟

لم تجبه ولاذت بالصمت لبرهة قبل أن تقول في أسف:

- لا بد من ذلك يا ستيفن.. هذا هو الثمن الذي كاد يدفعه كريس عندما أراد إنقاذ ابنته.. لا بد من ذلك.

فسمعته يقول بصوت متألم بعد ملأ الحزن قلبه وصدره:

- هل هناك طريقة أخرى؟!

لكنها لم تجبه هذه المرة واكتفت بإمالة رأسها للأرض.

فقال ستيفن في صوت ضعيف بعد أن جف حلقه:

- التضحية بروحين من أجل إنقاذ صغيرتي ليز.. إذاً هذا ما كنتِ تقصدينه بسؤالك السابق إذا كنتِ مستعدة للتضحية بروحي من أجلها.. روحي وروح شخص آخر في مقابل روح ابنتي.

فقاطعته محذرة:

- لا يا عزيزي.. روحك وروح كارمن مقابل روح ابنتك ليز.. لا بد أن تكون هذه خطتك؛ لأنه إن توفيتِ وكانت كارمن على قيد الحياة فابنتك ميتة بالتأكيد.. ولكن التضحية ليست

بمشكلة هنا.. فالمشكلة الحقيقية هي أن النهاية التي ستقابل روحك هي الجحيم.. تلك التعويذة ستستدعي نيراناً من الجحيم مباشرة لتلتهم تلك الأرواح المقدمة إليها لتعفي الثالثة من الهلاك المعرضة له.. نهايتك ستكون الجحيم مباشرة.. ولن يكون هناك فرصة ثانية لك.. الجحيم كان المثلوى الأخير لكريس وابنته نتيجة لفشله في أمر ما.. لكن إن أحضرت تلك التعويذة إليّ.. فأنا متأكدة من أنني سأعرف السبب وسنتداركه معك.. وحينها من الممكن إعادة استخدامها.

بدأ القلق يجتاح معالم وجه ستيفن مجدداً مما جعله يقول:

- هل أنت متأكدة؟؟.. فحتى الآن كل ما أستطيع سماعه هو تعويذة قد تسببت في هلاك صانعها وإب.. فقط هل أنت متأكدة من أنك ستستطيعين إصلاح الأمر؟؟.. هل أنت متأكدة من أن التعويذة ستتمكن من معرفة الفرق بين ليز وكارمن؟؟.. هل سينتهي الأمر بالتضحية بروحي فقط؟؟

صمتت شيلي لبضع لحظات قبل أن تجيبه في ثقة:

- نعم.. إن تمكنت من إصلاح تلك التعويذة وتداركت الخطأ الذي وقع فيه كريس فمن المفترض أن تفعل ذلك.. تلك التعويذة لا تتعامل مع الجسد بل تتعامل مع الروح كما قلت لك..

- فليكن.. إذا كان لا بد من الأمر.. وإذا كان الأمر سيقضي

أن أفدي ابنتي بروحي فلا يهمني أين هو مثواي الأخير؟..
المهم بالنسبة لي أن يتم إنقاذها من مخالب تلك اللعينة.

قالها بصوت هادئ وجادٍ، وبمعالم وجه صارمة قابلتها
بابتسامة بسيطة على شفيتها وهي تكمل قائلة:

- أتعلم.. هذه أول مرة.. أقصد بعد كريس، أرى شخصاً
مستعداً لمواجهة مثل تلك النهاية من أجل ابنته.. أنا أقصد
أن أي أب على إستعداد تام بالتضحية بنفسه من أجل أبنائه
أو من المفترض أن يتم الأمر بهذه الطريقة، ولكن ليس كل
الآباء على إستعداد بالتضحية بأنفسهم وبيع أرواحهم للجحيم
من أجل أبنائهم أو بناتهم.. أقصد هل تستطيع تخيل تلك
النهاية التي بانتظارك؟!

بدأ ستيفن يستجمع شجاعته من أجل دخول ذلك المنزل
الذي تكلف دخوله في آخر مرة خمسة عشر مشعوذاً من
أجل إحضار جشتين فقط!!

اقترب من ذلك الباب الشاحب لونه بعد فشله في رؤية
أي شئ بداخل المنزل خلال نوافذه، حيث كان الظلام ينشر
أجنحته بداخله متربصاً، منتظراً مَنْ سيدخل عن طريق ذلك
الباب.. فتنفس ستيفن ذلك الهواء البارد الذي أحاط بالمكان
كنسمة عابرة.. ثم أطلق ما بداخل صدره من هواء ساخن
قبل أن يضع ذلك المفتاح الحديدي الصديء بداخل قفل
الباب ليفتحه تاركاً ذلك الضوء الضعيف للشمس التي توشك
على الغروب والتواري وراء تلك الأشجار العالية لتلك الغابة

المحيطة بالمنزل لينتشر بداخله، وإن كان هذا لم يكن كافيًا لإضاءة المكان ولكنه كان كافيًا ليتبين ما بداخله.

دخل ستيفن المنزل وسرعان ما أخرجت يده ذلك الكشاف الضوئي من جيب معطفه ليسرع بتشغيله مستخدمًا ضوءه الأبيض في تبين ما بداخل المنزل، ثم بدأ بتفقد المكان من حوله.. حيث كان ذلك المنزل مشابها - ولكن ليس لدرجة كبيرة - لمنزله.. نظر إلى غرفة المعيشة والتي احترقت بالكامل، ثم مشى بالقرب منها بحيث يكون خلفه باب المنزل وهو يعدّ خطواتٍ أقدامه المتوترة وعند خطواته الخامسة توقف وبحث أسفله عن تلك الورقة التي رأتها شيلي ولم تجرؤ على لمسها.. كان ذلك الرمد قد غطاها، ولكنها كانت واضحة بما يكفي ليلحظها وليلتقطها.. مجرد ورقة صغيرة لا تتعدى مساحتها كف اليد خاصة بعد أن احترق معظم أطرافها، ولكن تلك الكلمات المخطوطة عليها بدماء الذئب التي قتلها كريس لم يمسها أي شيء.. وبآخر الورقة لاحظ بصمتين إحداها حمراء وهي بالتأكيد لكريس، والأخرى سوداء إذًا فهي لكارمن، بل الأصح لابنته عندما استحوذت عليها كارمن.

نظر ستيفن حوله ربما يستطيع أن يجد أي شيء آخر مفيد، قد يستطيع استخدامه ضد كارمن، ولكن المكان محترق بالكامل حتى السلم المؤدي إلى الغرف العلوية قد تحطم عندما أضرمت به تلك النيران.. كل ما استخدمه كريس زدها هو تلك الورقة الصغيرة التي خطّها بنفسه.. هل كان

الأمر بهذه السهولة؟؟.. أم أنه استهان بقوتها فأدّى به ذلك إلى الفشل..؟ ولأنه من المستحيل أيضًا أن يتقبل أن كريس كان سيستطيع التغلب على كارمن بمجرد ورقة صغيرة.

- ما الذي كان يفكر فيه كريس؟؟

قالها ستيفن لنفسه في حيرة ثم زفر ذلك الهواء الساخن خارج صدره مجددًا ليصطدم عقله بسؤال آخر لم يجد له إجابة:

- لماذا احترق المنزل من الداخل فقط..؟ إن المنزل يقع بعيدًا عن عيون الناس لذلك كان من المفترض أن يتحول إلى كومة من الفحم الأسود إذا اشتعلت به النيران، وخاصة أنه لم يوجد أحد مع كريس وابنته ليساعدهما.. لقد كانا بمفرديهما تمامًا بدون علم أي شخص سوى شيلي والتي جاءت لنجدته ولكن بعد فوات الآوان.. إذًا لماذا داخل المنزل فقط هو الذي احترق ولم يحدث أي شيء لخارجة؟؟.. أم هل لهذا علاقة بما حدث لكريس وابنته؟!

شعر ستيفن بذلك التعب والدوار ينالان منه، مما جعله يستند إلى أقرب حائط منه ليشعر بذلك العرق الذي يتصبب بغزارة من جبينه وجسده.. نظر إلى ذلك الكرسي الخشبي القريب منه والذي يبدو عليه أنه استطاع النجاة بطريقة ما من تلك النيران الغامضة مما جعله يجلس عليه ملتئمًا بعض الراحة من أثر الطريق ومما تعرض له في الليلة السابقة من إنهاكٍ وإرهاقٍ وقلة النوم.

أمال رأسه للخلف ناظرًا إلى ذلك الباب المفتوح أمامه،
وإلى ما ظهر خلاله من سماء يلفها السواد بعد غروب تلك
الشمس.. إنه يحاول الراحة لا النوم ولكن عينيه التي تُجبران
على الانغلاق من شدة التعب لا تطيعان أمره، وسرعان ما
يسود الظلام عينيه ليعلن استسلامه لعالم يتلاشى فيه الواقع
وتتحطم فيه قيود المنطق.



كانت لا تستطيع الخروج عن تلك الدائرة والتي علّمت
حدودها بطبشورٍ أبيض، بل ووضَع حولها أيضًا دائرة أخرى
قد حددت ملامحها بدماء أضحيات من حيوانات مختلفة قد
اختارها كريس بعناية ليرى ابنته في صمت وهي تحاول كسر
ذلك الحاجز غير المرئي، وعندما انهارت قواها جثت على
ركبتها وفاضت عيناها بالدموع صارخة:

- لماذا تفعل معي ذلك؟؟.. لماذا تعذب ابنتك بهذه
الطريقة؟؟

لكنه لم يُبدِ أي اهتمامٍ تجاهها، بل استمر في النظر إليها
في صمت بنفس معالم وجهه القاسية وبدون أن يبدو عليه
أي رحمة أو شفقة تجاهها، ثم سمعته يقول بصوت غليظ
أجش:

- إلى متى ستستمرين في هذا التمثيل القذر يا كارمن؟!

كانت تميل بوجهها إلى الأرض عندما سمعته يكمل:

- كل تلك الحِيل الرخيصة لن تنطلي على هذه المرة.. أنت تعلمين أن كل هذا سينتهي اليوم.

فبدأت ترفع رأسها في ببطء لترسم على شفيتها تلك الإبتسامة الساخرة لتقول:

- سينتهي..؟ معي لا توجد سوي نهايةٍ واحدة وأنت تعلمها جيداً يا كريس.. فلمَ لا تنهي الأمرَ وتقبلني؟؟

لكنه رمقها بنظرة حادة قبل أن يقاطعها في صوت جاد:

- أتريديني أن أضحي بابنتي من أجلك أنت؟!.. من أجل..

لكن كارمن لم تعطه الفرصة ليكمل حديثه وفوجيء بها تقاطعه صارخة بغضب:

- ولمَ لا..؟ ألسْتُ كافية لك..؟ ألسْتُ أستحق تلك التضحية..؟ معي ستمتلك قوة ليست لها حدود.. معي قد تستطيع أن تغزو العالم.. معي ستحقق كل ما كنت تتمناه يوماً.

نظر كريس إليها في كراهية قبل أن تشتعل يده بتلك النيران الخضراء بعد أن قتمت بكلمات غير مسموعة ثم قال:

- أعتقد أن هذه هي إجابتي لك..

ثم وضع يده على حدود تلك الدائرة الحمراء لتنتقل تلك النيران الخضراء من تلك الدائرة إلى الأخرى، وسرعان ما اتجهت مباشرة إليها لتشتعل بملابس كارمن ولتضم النيران

في كافة أنحاء جسدها، مما جعلها تصرخ بصوت عالٍ وكافٍ ليسمعه أي شخص على بُعد كيلو متر منهما، ولكن لحسن حظ كريس أن بيته يبعد عن المدينة التي يقطن فيها بمسافة كافية بحيث لا يستطيع أحد التدخل في أعماله.

كان ينظر إليها في غضب متمنيًا أن تحترق إلى الأبد عندما وقفت على أطراف أصابعها من شدة الألم وهي تضغط بكلتا يديها على صدرها وبطنها، وبمجرد أن تلاشت تلك النيران وقعت كجثة هامدة تتأوه من شدة الألم الذي ألحق بها، لكنه سرعان ما سمع ضحكها قائلة في سخرية:

- الألم.. تلك الكلمة لم أشعر بمعناها منذ فترة طويلة..

ثم رآها تقف على قدميها مجددًا مكملة:

- ولكن الشئ المضحك في الأمر أن كل ما تقوم به وأنت على علم بهذا يؤلم ابنتك أيضًا!!

فاقترب من تلك الدائرة الحمراء في بطاء ورفع يديه ليهوى بهما عليها، لكن يديه اصطدمتا بذلك الحاجز غير المرئي مانعة إياهما من التقدم، ذلك هو الحاجز الذي صنعه بيديه ليمنعها من الخروج إلى العالم المحيط.. ليمنعها من أن تؤذي أي أحد.. ليمنعها من استخدام قوتها ضده أو ضد أي شخص آخر.. إنه الآن ينقذها من يديه ويحميها منه.. يحميها من ذلك الغضب الذي يريد أن يمزقها إلى أشلاء، يحمي ابنته من تلك النهاية التي واجهت العديد من الفتيات بسببها.

يراها تتقدم ناحيته وتقف في ببطء بعد أن أراها أخيراً ذلك الوجه العاجز واليائس من إنقاذ أعز الأشياء لديه.. شئ يقدر قيمته بروحه وحياته وعلى الرغم من ذلك لا يستطيع إنقاذه.. يراها تقترب منه وترفع يديها في ببطء لتلمس راحة يديه ولكن ذلك الحاجز يمنعها من ذلك.. يرى تلك الابتسامة ترتسم على شفثيها كأن ما مرت به من آلام وتعذيب لا شئ لتقول في صوت متألم:

- لماذا لا تنهي معاناتك وتتقبلني؟؟.. لماذا هذا صعبٌ إلى هذه الدرجة؟؟.. لماذا!!

مما جعله يجيب بصوت ضعيف وهو يجثو على ركبتيه مُبَاعِداً يديه عنها:

- ما زلتِ لم تفهمي الأمر أليس كذلك؟؟

ثم أطرق برأسه إلى الأرض بعد أن تمكن منه الإرهاق والتعب مكماًلاً:

- أنا لن أضحى بأبنتي من أجل أمثالك من الشياطين والذين يقتاتون على أجساد مَنْ لا حول لهم ولا قوة.. لن أفعل هذا حتى ولو تكلف الأمر حياتي.

فنظرت كارمن إليه في غضب قائلة:

- وهذا ما سيحدث بالفعل أيها الأحمق..

وكادت أن تتراجع إلى الخلف لولا أنها لاحظت أن يديها

لا تستطيعان التملص من ذلك الحاجز الوهمي، مما جعلها
تظن أنها حيلة جديدة منه فقالت بابتسامة ساخرة:

- لم تَمَلْ بعدُ مِنْ تعذيبِي أم ستنتهي الأمر مثلما فعل كل
مَنْ قبلك؟

فسمعته يقول بصوت ضعيف:

- إن أردت أن أنهيه فاعلمي أنني لست مثل أيٍّ مِمَّنْ
قابلتهم مِنْ قبل يا كارمن.. لن أنتهي كرجلٍ مجنون يراقب
خيال ابنته المقتولة من قبله طالبًا منها أن ترحمه وتغفر له
ما فعله..

وفوجئت كارمن بيدها اليمنى لا بل بيد فلورا ابنة كريس
بعد أن فقدت كارمن السيطرة عليها تندفع إليه لتصبح خارج
ذلك الحاجز لتقول بصوت متحرج:

- أنت تعلم أن أيًا كان ما ستفعله فهو لن يؤثر على يا
كريس.. أي شيء تقوم به مِنْ حَيْلٍ سحرية رخيصة أو مِنْ
كُتُبٍ دينية قديمة لن يقتلني..

فرفع رأسه في بطاء وصرخ في ألم:

- أولًا أنا سأخلص ابنتي وسأحرر جسدها من قبضتك وَمِنْ
استحواذك عليها، ثانيًا أنا أفكر جدًّا فيما قلته بأن الأمر
سيتكلف حياتي، ثالثًا أنا لن أموت وحدي يا كارمن بل
سأخذك معي إلى أعماق ذلك الجحيم الأسود أو أيًا كان ذلك
المكان الذي جئت منه.

فنظرت إليه في إزدراء وقالت:

- وكيف تنوي تحقيق كل هذا؟؟

لم يجبها كريس مما جعلها تقول ساخرة:

- هل مرحلة التأمل التي تمر بها هي أحد الأمور التي

ستساعدك على تحقيق هذا الأمر؟؟

كان كريس قد انتهى للتو من ممتمة بعض الكلمات عندما

قاطعتها:

- بل هذا سيساعدني.

وأدخل يده في بطة بداخل جيب معطفه الأسود مُخرجًا

شيئًا صغيرًا بالكاد تخفيه يده اليمنى ورفعَه إلى وجهها لتراه

عينها.

كان سكينًا صغيرة ذات نصلٍ حادٍ ينتهي بذلك المقبض

الخشبي الصغير، وقد علّم عليه بحرفين (ك - ن) يبدو عليه

القَدَم الشديد وإن كان قد تم علاجه بحرص شديد ليعود

كما كان يومًا.

نظرت إليه في خوف وذعر شديدين وقالت:

- كيف حصلتَ عليه؟؟.. كيف توصلت إليه من الأساس؟!

فنظر إليها في ضعف وقد بدأت تلك الابتسامة تشوب

حواف شفثيه ليقول في سخرية:

- هل تخافين ذلك الشئ الصغير؟!

فرمقته في غضب وقالت محذرة:

- أنت لا تعلم ما الذي تحمله يداك.

لكنه قاطعها بصوت واثق:

- بل أعلم جيداً ما الذي أحمله بين يدي أيتها اللعينة..
إنه الشئ الوحيد القادر على إيذائك.. وحينما أقول قادر
على إيذائك فأنت تعلمين ما الذي أقصده جيداً يا كارمن.
نظرت إليه كارمن في غضب وقالت:

- أنت تعلم جيداً إنه ليس قادراً على قتلي... ولن يوجد
شئ قادر على قتلي.

فقال كريس في تعجب:

- ومَن قال إنني أهدف إلى قتلِكَ الآن..؟ لقد سئمتُ تذكيرك
المستمر لي بأنه لا يوجد شئ قادر على ذلك، لذا قررتُ تغيير
البرنامج.

وقربَّ كريس تلك السكين من يدها لتعم وجهه تلك
السعادة على الرغم من الإجهاد الذي تمكن منه بالكامل.
غرس كريس لك السكين بيد كارمن، لا بيد فلورا ابنته
بدون تردد، وبدون أن يفكر أن هذا سيؤذي ابنته أيضاً، بل
لربما فكر في ذلك ولكنه قرر التخلص من ذلك الشئ والذي
يدعى رحمة بداخل قلبه.. قرر انتزاع أي شئ آدمي به قد
يخل بعمله من أجل طرد تلك اللعينة من جسد ابنته وإن

تكلف ذلك أن تكرهه ابنته إلى نهاية حياتها، لذا غرس تلك السكين إلى نهاية نصله في راحة يدها وليعبر خلال جسدها، لا بل خلال جسد ابنته نافذاً من الجهة الأخرى ليدها لتنزف تلك الدماء السوداء التي غمرت جسد ابنته مؤخراً، وليرى كارمن قد شهقت فجأة ثم كتمت أنفاسها محاولة منع صراخها من الخروج، ولكن أنينها وتأوهها الشديدين كانا كافيين لمعرفة أن ذلك السلاح الصغير قد أدى غرضه في إرشادها إلى ما ينوي فعله معها وسمعته يكمل:

- أليس غريباً أن كون سكين بهذا الحجم وبهذا القدم قادرةً على إيلاء أمثالك.. ما الذي يوجد بها ويجعلها مختلفة عن أي سكين أخرى..؟ هل هي أكثر قوة وحدة عن أية سكين أخرى..؟ أه تذكرت.. إنها تلك السكين التي استخدمته في التخلص من كل عائلتك اللعينة.

فنظرت إليه في غضب شديد بعد أن سالت تلك الدموع السوداء من عينيها على خدها الشاحب وضغطت على أسنانها بقوة وقالت في ألم:

- افعل ما شئت فهذا جسد ابنتك بعد كل شيء.

مما جعله ينظر إليها في تعجب وأكمل بلا مبالاة:

- جسد ابنتي؟ أهذا كل ما استطعت قوله.. جسد ابنتي الذي سممته أم الذي دمرته بالكامل بواسطة قواك اللعينة؟ وعندها لم يتمالك أعصابه، قام كريس بلف نصل تلك

السكين الصغيرة بيد ابنته مسبباً ألماً كبيراً كانت ترجمته ذلك الصراخ والعيول الذي أصدرته كارمن بعد أن صدمت رأسها أو رأس فلورا بذلك الحاجز الخفي، وبدأت تبكي بصوت عالٍ بدون توقف ضاربةً بيدها الأخرى ذلك الحاجز باستمرار، وعندها سمعته يقول في جدية:

- آخر فرصةٍ لك..

لكنها قاطعته قائلة بصوت غاضب متقطع لم يخلُ من نحيبها وقد بللت تلك الدموع السوداء ملابسها:

- لا.. لا وألف لا.. لن أفعل ذلك.

فصرخ فيها:

- اتركيها أيتها اللعينة وساترككِ تعودين إلى ذلك الجحر القذر الذي أتيت منه..

كانت تنظر إليه بعينين مشتعلتين بالغضب.. كانت تتنفس بصعوبة وقد بدأ جسدها في الارتعاش حين قالت له بصوت امتلأ بالكراهية والحقد المدفون بداخلها لسنين طويلة:

- مستحيل.. لن أفعل ذلك.. حتي ولو مزقتَ هذا الجسد إلى أشلاء.. سوف أظل به إلى النهاية.. وسوف أظل به حتى تقبلني.. أو حتى تشاهده يتساقط قطعةً قطعةً وعلى يديك

مما جعله ينظر إليها في ألم قائلاً:

- إلى النهاية..؟ أتمنى أن تتمسكي بتلك الكلمات جيداً.. لأن..

وأمسك كريس بيد كارمن، لا بل بيد ابنته اليمنى المستحوذ عليها من قبل كارمن ومسح إبهامها المغطى بتلك الدماء السوداء والتي غطت معظم يدها بورقة أخرجها من جيبه مكملًا:

- هذه هي النهاية لكلينا يا كارمن.

رأته يجرح يده اليسرى ويبلل إبهام يده اليمنى بما جادت به يده من دماء، ثم قام بمسح إبهامه بنفس الورقة بالقرب من بصمة إبهامها المعلّمة بدمائها السوداء، ثم ألقاها على الأرض بالقرب منه وهو يتمتم ببعض الكلمات المبهمة والتي لم تستطع كارمن فهمها، ولكنها لم تبالٍ لذلك فقد كان كل همها أن تخلّص يدها من ذلك الحاجز الوهمي الذي أطبق عليها وبقوة، ولكنها فوجئت بيد كريس اليسرى تطبق عليها بإحكام وقد علت وجهه تلك الابتسامة الساخرة خاصة بعد أن سَحَب تلك السكين الصغيرة وألقاها بعيدًا لتقع أسفل إحدى الطاولات الخشبية البالية، ولتصرخ كارمن في ألم ويزداد جذبها ليدها.. بل يد فلورا اليمنى ولكن بلا فائدة وهنا تسمع صوته يقول:

- والآن الدماء التي لم يفترض بها ان تلتقي.. قد اجتمعت..

ثم نظر إلى دمائه التي اختلطت بدماء ابنته السوداء وقد تساقطت على الأرض حيث تمكث تلك الورقة الصغيرة وبمجرد أن سقطت أول قطرة من دمائهما على تلك الورقة حتى أضرمت بها النيران.

تلك النيران التي نشأت من عدم وكان وقودها دماءهما.. تلك النيران التي انبعثت خارج الورقة لتشتعل بكل المنزل ولكنها لا تكتفي بالخشب أو بأي من المواد العضوية المطروحة أمامها.. تلك نيران مختلفة تقتات على شئ مختلف.. شئ يدعى أرواح.. شئ لا يفترض به الاحتراق من وجهة نظر كريس وربما يشاركه في ذلك الرأي ستيفن.

كادت تلك النيران أن تلمس كريس، لولا أن يدًا جذبتة في عنف بعيدًا عنها ليسود بعدها ذلك الظلام عينيه، ولكنه لم يدم لفترة طويلة فسرعان ما استعاد الرؤية مرة أخرى ليرى ابنته تتأوه في ألم بجانبه.. في تلك الرقعة الصغيرة والتي يحيط بها ذلك الحاجز مانعًا تلك النيران من الدخول إليه.. ولكن هذا لم يثر انتباهه مثل ذلك المنظر الذي جعل عينيه تجحطان وقلبه ينتفض من أثر الصدمة وهو يراها خارج ذلك الحاجز تنظر إليه في هدوء.. يراها تقف على تلك الأرضية الخشبية المشتعلة بتلك النيران بدون أن يحدث لها شئ.. بدون أن تصرخ.. بدون أن تتألم.. بدون أن تصيها تلك النيران بأي مكروه.. لا تفعل شيئًا سوى النظر إلى يدها النازفة في صمت.

- إنها تنزف.. كيف لها أن تنزف؟!

سؤال تردد برأس كريس المنهك والمتعب من فرط التفكير والتخطيط لتلك اللحظة التي باءت بالفشل.. رآها تتقدم إليه في هدوء ناظرة إليه بعين دامعة متوعدة بعذاب قاسٍ

ليس له نهاية، ولكن ما إن اقتربت من تلك الدائرة الحمراء حتي شعرت بذلك الحاجز الذي أوقف تقدمها، مما جعل كريس يتسم في سخرية وخاصة عندما رآها تضع يدها على ذلك الحاجز.. ناظرة إليه عبر تلك العين التي اختفت آدميتها يومًا.

انتبه لابنته التي بدأت تناديه فأسرع بأخذها بين أحضانه وهي تتأوه بشدة بسبب ذلك الجرح الغائر بيدها اليمنى نتيجة لتلك الطعنة التي تسبب بها منذ قليل ولكنه ضمها إلى صدره في عطف وحنان ليسمعها تقول في ضعف:

- أبي هل هذا أنت؟؟

فتساقطت دموعه الحارة على وجنتيها وهو يجيئها:

- نعم عزيزتي إنه أنا..

فقال بصوت متألم:

- أين أمي؟؟

فأجابها مسرعًا:

- بانتظارنا يا عزيزتي.. إنها تنتظرنا..

لكنه فوجئ بها تقول في وهن:

- أبي لماذا المكان مظلّم لهذه الدرجة؟؟ ولماذا أشعر بتلك البرودة الشديدة؟؟.. ولماذا أشعر بالآلام تنتشر بجميع جسدي.. ما الذي يحدث؟!

مما جعله ينظر إلى كارمن في غضب مجيئاً:

- لا تقلقي يا عزيزتي، سوف أدفئ لك المكان على الفور،
وسرعان ما سينتهي كل ما تعانين منه..

كانت كارمن تنظر إليه في هدوء منتظرة ما سيقدم عليه،
فهي تعلم جيداً أنه أصبح لا مفر منها الآن، ولكن عليه
إبطال تلك التعويذة التي فعّلها للتو أولاً قبل أن يقدم على
أي فعل أحمق لا فائدة منه أمامها، فبعد كل شيء هو لن
يخاطر بحياة ابنته بعد أن استعادها مما جعلها تبتسم له
عندما تأكدت أنه سيبطل تلك اللعنة لا محالة.. وبعد أن
يزيل ذلك الحاجز على أمل أن يقوم بفعلٍ ما الغرض منه
قتلها أو إزالتها ستعود بسرعة إلى استحواذ جسد ابنته.. هذا
ما توقعته كارمن وهكذا تنبأت بما سيقوم به المسكين كريس
والذي بدأ في الارتخاء إلى الخلف ساندًا ظهره بذلك الحاجز
غير المرئي ضامًا ابنته إليه بعد أن استسلم لذلك اليأس الذي
امتزج بدموعه المنسالة على خده والمتساقطة على وجه
ابنته.. إنه يعلم جيداً أنه لا مفر منها سوى بالموت.. فالموت
هو طريق الهروب الوحيد لابنته من تلك اللعنة التي
ستلقي بروحها في وادي الظلال حيث لا توجد عودة، والطريق
الوحيد له للهروب من ذلك الفشل الذي نكّل به مؤخرًا
عندما عجز عن حماية زوجته وحبيبته، وعجز عن الدفاع
عن ابنته والتي هي بمثابة حياته.. الموت.

راقبها في صمت تبتسم له منتظرة ما سيقوم به خاصة

بعد أن توقف جرح يدها عن النزف ليلتئم مجدداً، كأن لا شئ حدث لها ولتضع يدها اليمنى على ذلك الحاجز حيث خطرت له فكرة أخيرة.. فكرة جعلته يبتسم ويقول بصوت ضعيف:

- وَلَمْ لَّا!!

ثم نظر إلى ابنته في ألم وعاد ينظر إلى كارمن تلك اللعنة ذات الرداء الأسود التي أرتته أياماً أحلك من السواد ولكن نظرته إليها كانت مريبة.

كان وكأنه يودعها، وسرعان ما رسم في الهواء حرف (f) اختصاراً لكلمة (fire) أو نيران بيد مرتعشة لتندلع تلك النيران إلى الداخل في سرعة باحثة عن تلك الفريسة التي استدعتها.

هدفها واضح.. أبٌ وابنته.. أبٌ قرر أن ينسحب من معركة خاسرة وفُضِّل أن تكون نهاية ابنته على يديه على أن تصبح ذلك الشيطان المجسد على الأرض أو تصبح تلك الجثة الهامدة التي تنتظر الموت غير واعية أنها حية لتصبح تلك الروح التائهة في وادي الظلال.. لا.. إنه يفضل أن تموت أمام عينيه على أن تقابل أيّاً من النهايتين.. ولأن تلك النيران تتعامل مع الأرواح ولكنها لن تفرق بين روح وأخرى.. فتلك النيران ستمسك بروحين وستترك الثالثة.. ستهلك روح كريس وستهلك روح ابنته، ليس لأنها هدف لها بل لأنها لم تستطع رؤية روح كارمن فستأخذ تلك النيران ابنته بدلاً منها.

ضم ابنته إليه في قوة ونظر إلى كارمن التي أخذت تضرب ذلك الحاجز الذي يحجزها بعيداً عنهم في قوة.. ليراها تصرخ تطلب منه أن يوقف ما لا يمكن إيقافه.. ليراها تبكي راجية منه أن يوقف تلك النيران التي تحرقه على الرغم من أنها لم تمس جسده بسوء.. ولكن الشئ الذي جلب إلى قلبه بعضاً من السكينة هو أنه يعلم أن الأمر قد أوشك على الانتهاء ليسمع صوت ابنته تقول في ألم:

- أي.. إنني.. إنني..

فقاطعها قائلاً:

- أعلم يا عزيزتي.. أعلم.. ولكني أعدك أن الأمر سينتهي قريباً..

ثم مسح على رأسها في عطف مكماً:

- الآن نحن ذاهبان إلى رؤية والدتك..

وضمها إليه مخفياً وجهها بداخل صدره قائلاً:

- إنها ستفرح كثيراً عندما تراكِ يا حبيبتي..

كان يعلم أنه يكذب ويعلم أيضاً أن كذبه ليست بيضاء.. فالنهاية التي بانتظارهما ليست سعيدة، ولكنه لسبب ما لا يشعر بالخوف.. ولا يشعر بالقلق.. يعلم أن زوجته لن تكون بانتظارهما في هذا المكان، فالملائكة لا تتواجد في الجحيم ولكن لا يهم.. فعلى الأقل لقد ضمن أن ابنته لن تكون تحت رحمتها

بعد الآن.. ولكن ما زال ذلك السؤال يطارد عقله الذي بدأ عمله في الضمور شيئاً فشيئاً.. لماذا تبكي تلك اللعينة؟!



استيقظ ستيفن فجأة وهو يشعر بذلك الألم يتلاعب بالنصف الأيسر من رأسه حيث كان ما يزال جالساً على ذلك الكرسي الخشبي، وما زال وجهه وعيناه مواجهين لتلك السماء التي امتلأت بالنجوم وأصبحت حالكة الظلام مما جعله يقف في سرعة، ولكن جسده المنهك وذلك الدوار الذي سيطر على رأسه جعله يسقط مرة أخرى ليسقط على يديه التي حَمَتِه من الوقوع على وجهه.. ليشعر بذلك الكابوس ما زال يطارد رأسه.. تلك الصور والذكريات لـ كريس وابنته وما حدث لهما من أحداث لعينة بداخل ذلك المنزل ما تزال تطارد عينيه، وهذا جعله يتساءل لماذا تحولت فجأة تلك الذكريات إلى كابوس يطارد به أحلامه. أم هناك تفسير آخر!!

وقف ستيفن على قدميه مرة أخرى ولكن هذه المرة استطاع أن يصمد لبضع ثوانٍ استغلها في الوصول إلى الباب، حيث استند بجانبه وقد اصطدم وجهه بذلك الهواء البارد القادم من تلك الغابة المحيطة بذلك المنزل فأطل بوجهه إلى الخارج حيث يسقط ضوء القمر على تلك الجنة الخضراء والتي شهدت معه وقبله ذلك الكابوس غير المنتهي والذي يدعى كارمن.. ثم كادت أن تندفع قدماه إلى الخارج لولا أنه تذكر تلك السكين الصغيرة.

فتحامَل على نفسه ليعود إلى الداخل مجدداً، ولكنه لم يتعمق في غرفة المعيشة كثيراً لأنه سرعان ما وجد ضالته في ذلك المكان حيث ألقاه كريس أسفل بقايا طاولة خشبية قد التهمتھا النيران.. فأمسك ستيفن بتلك السكين والتي لم يَبْدُ عليها أي أثر لذلك الحريق الدامي الذي دمر المنزل من الداخل وأسرع في الخروج من ذلك المكان حيث تمكث سيارته.. وقبل أن يدير محركها استعداداً للعودة لـ شيلي سمعها.. سمع صوتها.. لا.. إن عقله يتلاعب به فهي لا تستطيع الظهور في وجود الضوء.. وضوء القمر بعد أن أصبح بَدْراً يغطي المكان الآن.. من المستحيل أن تظهر في ذلك التوقيت... ينظر ستيفن حوله خلال نافذة سيارته حيث انتشر ذلك الضوء الأبيض الهادئ ليعم السلام تلك الأشجار الساكنة فروعها.. ولكنه ما يزال يسمع صوتها تهمس له وتحاول أن تبوح له بشئ ما، ولكن كلماتها لا يستطيع فهمها فهي تصل لأذنيه كهمسٍ محاطٍ بحفيف وخاصة مع وجود أصوات أخرى تغلب على صوتها الضعيف مما جعله يصرخ قائلاً:

- ما الذي تريدنه أيتها اللعينة؟!

يراهما تقف عند ذلك الباب حيث يمكث الظلام تنظر إليه.. إنه يعلم أنها لا تستطيع القدوم إليه بسبب الضوء.. وهنا تدور بعقله آخر كلماتٍ تبادلها مع شيلي قبل مغادرته عندما استوقفته قائلة:

- أنت لا تفعل ذلك من أجل ابنتك فقط.. أليس كذلك؟!

فنظر إليها ستيفن في دهشة وقال:

- إن لم أكن أفعلها من أجل ابنتي فلماذا سأفعل كل هذا؟؟..
لماذا أضحى بنفسي وأقف مواجهًا لشيطانة تسببت في موت
العديد من قبلي؟؟.. إن لم يكن هذا من أجل ابنتي إذاً فلماذا
سأفعل هذا؟؟

فنظرت إليه في يأسٍ ثم أطرقت برأسها قائلة:

- أعتقد أنك لم تسأل نفسك ذلك السؤال بعد، أو ربما
سألته ولكنك تجاهلته عندما لم تستطع إيجاد إجابته..
فسألها قائلاً:

- وما هو؟؟

أجابته في جدية:

- لماذا تجعلك كارمن ترى كل هذا؟؟.. أقصد لماذا تُريك
كارمن الن وهي تعلم أنه سيجعلك تذهب إلي؟؟.. على أية
حال من الأحوال أنا أردتك أن تعلم أنها تفعل كل شيء لسبب
ولكن هذه المرة أنا لا أستطيع تفسير لماذا جعلتك تمر بكل
هذا؟؟.. أقصد ما غرضها في جعلك ترى كل هذا. وخاصة أنك
أصبحت تعلم أن هناك طريقة للقضاء عليها الآن!!

فنظر إليها ستيفن في جدية وقال:

- أنا أعلم شيئاً واحداً، الآن أن هناك مَنْ يحاول العبث
بحياة إحدى بناتي، وهذا أكثر من سبب كافٍ لكي أسبّب

له أضرارًا قاسية ربما تنتهي بالموت، ولا يهمني إذا كان هذا
سيكلفني حياتي

مما جعلها تقاطعه قائلة:

- ولكنها أرسلتك إليّ..

فصرخ ستيفن مقاطعًا:

- أنا لا أهتم بما تريده كارمن.. أنا أهتم بشئ واحد الآن،
هو أنني سأزيلها من الوجود حتى ولو تكلف هذا روحي
على أن تعذب ابنتي، أو أن أنتهي أخيرًا بقتلها كما تقترحين..
لن أدع ابنتي ترى نهاية ابنة الن ولن أصبح مثله..

ثم تركها لينطلق مسرعًا خلال ذلك الطريق الذي غلفه
الظلام حيث سيجد في نهايته ذلك المخرج إلى حيث تمكث
سيارته.. تركها تشعل تلك السيجارة بعد أن أعادت ذلك
القفاز إلى يدها مجددًا لتقول ساخرة:

- أعتقد إنك بحاجة لأكثر من مجرد ابنة لتكون حافزك
على التخلص من تلك اللعينة يا ستيفن.. فالعديد كان لديهم
ذلك الحافز وعلى الرغم من ذلك كانت نهايتهم الموت..

ثم أخرجت ذلك الهواء الساخن من صدرها بعد أن
أخذت نفسًا عميقًا خلاله وقالت:

- أنت بحاجة إلى لمسة.. لمسة..

ورفعت يدها إلى أعلى محاولة إمساك ذلك الدخان المتناثر،

وقد ضاقت عينها بعد فشلها في ذلك مكملة:

- لمسة من القَدَر.

استشاط ستيفن غضبًا، وبدأ في التحرك تجاهها بعد أن خرج من سيارته مجددًا قائلاً في غضب:

- هل تعتقدين أنني أخشاك؟؟.. هل تعتقدين أنني أخافك؟؟.. هل تعتقدين أنني؟؟

لكنه توقف فجأة وقد جحظت عيناه عندما شاهد ذلك المنظر أمامه لأناسٍ أشبه لظلال.. ظلال سوداء بعيون مضيئة تظهر بالقرب منها تنطلق من ذلك الظلام الدامس بداخل المنزل لتقف بالقرب منها.. شاهدها تبتسم كأنها تقول له وماذا الآن؟؟

شاهد تلك الابتسامة الساخرة وهي تتقدم إليه ولكنها لم تتحرك بعيدًا عن ظل المنزل حتي لا تقع أسفل أشعة ضوء القمر.. وقالت في هدوء كلمة واحدة:

- ليز...

فقال ستيفن في ألم وهو يميل برأسه للأسفل:

- لن تحسلي عليها.. لن تحسلي عليها حتي ولو تكلف هذا حياقي يا كارمن..

مما جعلها تقول في جدية:

- بعد كل ما شاهدته.. وبعد كل ما رأيته عني، ما زلت لا

تستطيع أن تفهم الأمر..

لكنها سمعته يصرخ في غضب شديد قائلاً:

- بل أنتِ التي لم تفهمي أي شئ بعد.. أنا سأدمرك لو حاولتِ لمس ابنتي الصغيرة أيتها اللعينة..

فقالت بصوت جاد بعد أن هزت رأسها في استغراب ودهشة:

- بعد كل هذا ما زلتَ تريد مقاومتي حتى بعد علمك أنه لا أمل لك أمامي.. إذاً دعني أخلصك من أوهامك بفقدانك لأحد الأشخاص المقربين إليك.

فصرخ في عنف:

- لو حاولتِ أن تق..

ولكن كارمن صرخت بعنفٍ مماثلٍ مقاطعة إياه:

- ما الذي ستفعله لإيقافي؟؟.. ما الذي بإمكانك فعله ولم يفعلهُ أي أحدٍ قبلك؟؟.. وما الذي يجعلني استمر في هذا الهراء معك؟؟.. دعنا نضع هذا تحت التطبيق العملي لنرى ما الذي بإمكانك فعله.. لنأخذ إحدى بناتك كمثال... لنجعلها كاترينا إنها أقرب شخص إليك الآن..

فقال ستيفن بصوت متحرج:

- لا تفعلِي ذلك... إياكِ وفعل ذلك.

لكنها نظرت إليه في جدية وأكملت:

- أنت مَنْ بدأ كل هذا.. أرني ما بإمكانك فعله.

ولم تتم كلماتها حتى اختفت تمامًا.. اختفت واختفى معها طاقم الحراس الشخصيين من تلك الأرواح التي علقت بسببها بوادي الظلال لتصبح تحت سيطرتها تفعل بها ما تشاء ووقتما تشاء.



انطلق كالمجنون بأقصى سرعة تستطيع الوصول إليها سيارته مخترقًا تلك الطرق الوعرة والمنحنية، والتي تهدد بانقلاب سيارته أكثر من مرة، ولكن مَنْ يهتم.. مَنْ يهتم بحياته.. إنه لا يهتم لها.. إنه لم ولن يفكر فيها، فهو يهتم لحياة بناته ويهتم لحياة زوجته ويهتم لحياة أصدقائه، هذا إن كان هناك أي أحد يستطيع أن يطلق عليه لفظ صديق ولكنه لم يهتم بحياته ولا يظن أن هناك مَنْ اهتم بها قط. الطريق تزداد منحنياته، وسيارته تزداد سرعتها، ويمسك ستيفن بهاتفه ليتصل بابنته كاترينا للمرة السادسة ولكنها لا تجيبه.

يتفادى تلك السيارة التي ظهرت أمامه من العدم لسمع ذلك الصرير الذي أصدرته عجلات سيارته والناجم عن احتكاكها بتلك الأرض القاسية التي تنطلق عليها غير مبالٍ أنه بين لحظة وأخرى قد تنقلب به تلك السيارة.. كل ما يهمه ألا تصاب ابنته بأي مكروه، فيستمر في الاتصال بها بعد

أن تمكن من السيطرة على اتزان سيارته مكملاً بلا هوادة طريقه إليها.. ولكن لماذا كل هذا القلق؟؟

إنه يعلم أن كارمن لا تستطيع مهاجمتها طالما أن ابنته في مكان يملؤه الضوء بالإضافة إلى ذلك ف كارمن لا تستطيع التلميح إلى وجودها، فهي بالتأكيد لن تهاجم مدينة جامعية بأسرها من أجل الوصول إلى كاترينا، إذًا لماذا يشعر بذلك الخوف يعتصر قلبه؟؟.. لماذا يتلاعب القلق بجميع أرجاء عقله؟؟

فَوَاهَا..؟ إنه يعلم أن قوى كارمن كبيرة، ويعلم أنها تستطيع التلاعب بعقل كاترينا لتجعلها تفعل أشياء قد تؤدي بحياتها في النهاية..

- لا..

يقولها لنفسه حين يفكر في أنها لن تلجأ لتلك الخدعة القذرة.

- لن تلجأ!!..

إنه يعلم جيدًا أنها على استعداد لفعل أي شئ للوصول إلى غايتها، بل وستقوم بأبشع الأفعال لتحقيق أهدافها.

الوساوس بدأت تملك منه وخاصة بعد أن أصبح غير قادر على الدفاع عن إحدى بناته.

- روحٌ ضحت من قبل بجسدها من أجل شئ فقدته،

وأعتقد أنها مستعدة للتضحية بالعديد من الأجساد من أجل
هذا الشئ مجدداً إن كان سيستحيل حقيقة

ترددت تلك المقولة لـ شيلي بداخل عقله آلاف المرات قبل
أن يفاجأ بصوت ابنته تتكلم قائلة:
- آلو..

لكن الضوضاء الصاخبة المصاحبة لصوتها تجعله بالكاد
يتبين صوتها فيسرع ستيفن سائلاً:

- كاترينا أين أنت الآن..

فأجابته في دهشة:

- أنا بمدينةنتي الجامعية... وإلى أين سأذهب في مثل تلك
الليلة.

فقال في سرعة:

- أنا قادم إليك.. وقد أصبحتُ على وشك دخول نيويورك
الآن.. فقط أمهليني نصف ساعة وسأكون بالقرب منك..

مما جعلها تقول في صدمة:

- نيويورك وما الذي تفعله هنا الآن..؟ اليوم بداية رأس
السنة الجديدة أليس من المفترض أن تقضيه مع والدي
وأخواتي..؟

كان لتلك الكلمات وقْعٌ صادم عندما اصطدمت بأذني
ستيفن.. كلمات جعلته يوقِف سيارته في قوة بعد أن جذب

فرامل السيارة في عنف.. كلمات جعلته يدرك لماذا القلق كان يتلاعب بعقله طوال ذلك الطريق إلى ابنته.. إنه ذاهب إليها ليس بغرض إنقاذها.. تلك اللعينة ستجعله يشاهد نهاية ابنته بعينه.. لقد حدثت كاترينا لسبب خاص جداً.. سبب وَصَحَ في إجابة سؤاله الذي قاله لها بصوت مرتعش:

- كاترينا ما سبب ذلك الصوت الصاخب الذي أسمعته من هاتفك؟؟.. هل أنت في حفلة؟؟
فأجابته كاترينا في يأس:

- لا تقلق يا أبي إنها ليست كما تظن.. إنها حفلة صغيرة معظمها من صديقاتي، ليس بها أي كحوليات لأننا في المدينة الجامعية، ولن يحدث أي شيء سيئ أو على الأقل أي شيء من الذي يدور بعقلك الآن.. ولكن الرغم من ذلك فهم سيغلقون الأنوار في تمام الساعة الثانية عشرة ولمدة ثلاث دقائق..

ثلاث دقائق.. وقت أكثر من كافٍ لتحظى كارمن بفرصتها مع كاترينا.. ابنته ميتة لا محالة.. ولن يستطيع أحد في هذا العالم إنقاذها.. أسرع ستيفن في كلماته ليقول بصوت مرتعش:
- الضوء يا كاترينا.. اُبقي أسفل الضوء ولا تبرحي مكانك حتى آتي إليك

لكنها أجابته بصوت متقطع ومندهش:

- الضوء.. ماذا به؟؟.. أبي أنا لا أستطيع سماعك..

مما جعله يصرخ:

- الضوء يا كاترينا.. لا بد أن تذهبي إلى مكان به ضوء..

لكنها استمرت في قول إنها لا تسمعه، وكان صوتها قد بدأ يزداد ضعفاً حتى أنه أصبح بالكاد يستطيع سماعها، ولكنه استمر في الصراخ طالباً منها أن تبقى في الضوء، وسرعان ما أعلن هاتفه فقدان الإشارة لينقطع اتصاله بها لينظر ستيفن إلى هاتفه في صدمة.. وسرعان ما وضع الأمر عندما سمع صوتها يتردد في أرجاء عقله لتقول في سخرية:

- ممنوع الغش.. لقد أتحتُ لك الفرصة، والآن عليك تحمّل عواقب أفعالك..

فصرخ ستيفن في غضب:

- أيتها اللعينة أقسم أنني سأجعلك تعانين.. أقسم أنني لن أرحمك عندما تقع يدي عليك.. أقسم أنني سأجعلك تتألمين..

كان يعلم أن كلماته وصراخه ليس لهم أي تأثير عليها، فهو لم يعد يشعر بوجودها.. كان يعلم أن كلماته وصراخه ليس لهم أي تأثير عليها لأنه لا يستطيع ولن يستطيع فعل أي مما قاله لها.. إنه عاجز وغير قادر على فعل أي شئ مثلما كان من قبل.

ذلك العجز الذي يلاحقه منذ الصغر.. ذلك الإحساس بعدم القدرة على فعل أي شئ، وبعدم القدرة على تغيير أي

شئ.. ذلك الإحساس بالفشل والذي طالما لاحقه في كل هدف حاول تحقيقه.. ذلك الإحساس.. لربما تغلب عليه في كثير من المواقف، ولكنه لم يستطع يومًا التخلص منه ولو حتى للحظة واحدة.

يقوم بالخروج من السيارة بيدين متعرقتين.. مرتعشتين.. يدانٍ تهتان من فرط الخوف وإحساسه بالعجز عن القيام بأي شئ للدفاع به عن ابنته.. يريد أن يتحرك لإنقاذها ولكن ما الذي سيفعله لإيقاف تلك اللعينة.. يقف أمام سيارته لينظر إلى يديه في يأس وألم مارًا بتلك الذكريات التي عانى منها طوال حياته.. يقوم بضرب ذلك السطح المعدني لمقدمة سيارته بلا توقف حتي يشتد الألم بيديه، ولكن على الرغم من ذلك يستمر في الطَّرْق حتى يشتد به التعب فيجثو على ركبتيه بالقرب من مصباح سيارته الأيمن والذي ينير الطريق أمامه لينظر إلى السيارات المارة بجانبه جيئةً وذهابًا.. ليرى أن جميع مَن حوله يعلمون طريقهم جيدًا.. الجميع يعلمون ما عليهم فعله ولن يتوقف أحدًا من أجله.. لذا فعليه أن يقوم بهذا بنفسه، وعليه أن يكسر ذلك الحاجز بيديه هذه المرة، بل كُكُل مرةٍ يواجه فيها ذلك الشعور اللعين بالعجز والضعف.. مما يجعله يقف مرة أخرى على قدميه ليقوم بأخذ ذلك النفس العميق وليتجه بأقصى سرعة إلى سيارته ليديرها وليضع كلتا يديه واللتين لم تكفا عن الارتعاش بعدُ على عجلة القيادة، ولكن عليه الانطلاق هذه المرة مهما بلغ ضعفه وخوفه ليواجهها، ومهما كانت النتائج والمصاعب التي

سيواجهها في سبيل إنقاذ ابنته، فينطلق بأقصى سرعة تسمح له بها سيارته تجاه مدينة ابنته الجامعية.



إنه ينطلق بأقصى سرعة تجاه ذلك الشارع الجانبي المؤدي لتلك المدينة الجامعية، حيث سكن الطلاب والطالبات، المدينة التي أوشكت على الغرق في الظلام والتي بمجرد أن لاحت أمام عينيه كانت قد أغلقت أنوارها بالفعل مما جعله ينطلق مسرعاً بعد أن خرج من سيارته ليقف بالقرب من البوابة الحديدية لتلك المدينة لينادي على أي أحد من الحراس أو العاملين بالمكان لربما يجيبه أو يساعده أحدهم، ولكن لم يجبه أحد مما جعله يظن أنهم يحتفلون أيضاً فينظر إلى تلك المباني الشاهقة التي تمكث خلف تلك البوابة الحديدية العالية والمرتبطة بذلك السور الأسمنتي العالي والصعب على أي أحد تسلقه.

ينظر بعينين زائغتين إلى ثلاثة مبانٍ تحتضن تلك القطعة الصغيرة من الحشائش الخضراء والتي تفصل بينها وبين تلك البوابة الحديدية والتي تتشابك فروعها الحديدية مكوّنةً تلك الورود الشائكة التي تمنع المغتربين من تسلق تلك الأبواب إلى الخارج أو العكس.

يقترّب ستيفن من سيارته ليقف أمامها محتمياً بتلك الأنوار الصادرة من مصابيحها الأمامية ممسكاً في يديه كشافين ضوئيين كبيرين كانا أقوى اثنين عشر عليهما بتلك الحقيقة

التي أعطاهما له باتريك، ثم نظر إلى تلك المباني التي بدأت تتألق بعد بزوغ ضوء القمر والذي توسط تلك السماء بعد انقشاع تلك الغيوم عنه.. كان قد مرَّ أكثر من خمس دقائق راقب فيها ستيفن تلك المباني بعناية.. راقب فيها ما استطاع أن يصل إليه بصره من نوافذ ومداخل للمباني ليرى تلك الكشافات الضوئية للطلبة وهم يشيرون بها لبعضهم البعض ويشيرون بها إلى الخارج أيضًا.

لقد مر من الوقت أكثر من خمس عشرة دقيقة احترق فيها عقل ستيفن من فرط التفكير والقلق والخوف.. فهو يعلم أن هناك خطبًا، ما ولكن على الرغم من ذلك فكل شيء يبدو على ما يرام، ولكن يبدو أيضًا أن الكثير من الطلبة قد لاحظوا انقطاع الكهرباء لفترة أطول من اللازم، حيث لاحظ أن أضواء الكشافات قد زاد عددها.

إنه متأكد الآن أن هناك شيئًا مريبًا يحدث، وما زاد من يقينه بالأمر شعوره بأن قدميه تمشيان على شيء لزج.. فنظر إلى الأسفل موجهًا ضوء كشافه على تلك البقعة من الدماء التي جعلت عينيه تكادان تخرجان من محجريهما مما جعله يتتبع مصدرها ليجدها قادمة من خلف الأبواب الحديدية، مما جعله يحاول النظر عبر تلك الأسياخ الحديدية الموجودة بالباب إلى داخل المدينة، ولكن لم يكن هناك أي أثر لشخص جريح.. لكنه لاحظ تلك البقعة المظلمة التي تتوارى خلف الأشجار الموجودة بالقرب من الباب الحديدي والتي تبعد

عنه ببضعة أمتار مما جعله يشير بضوء كشافه تجاه تلك البقعة ليرى ذلك المنظر الكافي لنشر رعشة قوية في جميع أنحاء جسده.

كانت عيناه لا تستطيعان النظر إلى تلك البقعة، ولكنه أجبرهما على التحديق بها ليشعر بأنه سيفقد الوعي في أي لحظة من هول ما يراه.. فقد اختفت إحدى تلك الأشجار بمجرد أن سلط عليها الضوء، لينقشع ذلك الظلام عن جثث أربعة حراسٍ قد تناثرت أشلاؤهم وقد كومت ما تبقى من أجسادهم فوق بعضهم ولكن يبدو أن هذا كان مجرد البداية؛ لأن سرعان ما استيقظ ستيفن على صراخ الطلبة داخل المدينة وليراهم يتوافدون خارج أبواب المباني.

ينظر إليهم متأملاً ذلك الرعب الذي يملؤهم.. كانوا يجرون كأن الشياطين تطاردهم.. كانوا يتزاحمون.. يقعون.. يزحفون ولكنهم يستمرون في الخروج من تلك المباني.. كان كل ما يحدث إشارة على وجودها بكل تأكيد.

كان يعلم ما عليه فعله.. كان يعلم ما عليه القيام به.. كان يتحرك بأقصى سرعته إلى داخل السيارة ليقوم بتشغيلها، ثم عاد إلى بداية ذلك الشارع الذي أتى منه منذ قليل، ثم التقط نفَسًا طويلاً وكتمه داخل صدره قبل أن ينطلق بقوة إلى تلك البوابة الحديدية الشاهقة ليقتلعها من مكانها، لتسود بعدها تلك الشاشة السوداء عينيه لتعلن عن فقدانه للوعي.

لم يلبث ستيفن فترة طويلة، فسرعان ما استيقظ على

صراخ الطلبة المستمر ليشعر بتلك الآلام تنتشر في جميع أنحاء وجهه وخاصة بجهته التي كانت مستلقية على تلك الوسادة الهوائية التي انفجرت بوجهه عندما حدث الاصطدام، ولكن هذا لا يهمه الآن، يخرج مسرعًا من السيارة ممسكًا بالكشافين بيده اليمنى، ولكنه سرعان ما يقع جاثيًا على ركبته مستندًا بيده اليسرى حتى لا يقع تمامًا على الأرض.

يشعر بذلك الدوار يعصف به، ويشعر بذلك الألم يكاد يقتلع رأسه من مكانها.. كان يرى تلك النيران قد اشتعلت بأحد تلك المباني، ولكنه ليس المبنى الذي تقطن به ابنته.. فيقف على قدميه المرتعشتين كأوراق جافة في مهب رياح الخريف العاتية ليتقدم مخترقًا صفوف هؤلاء الطلبة ذوي الوجوه المذعورة والمغلوبين على أمرهم والذين لا يعلمون ما الذي يحدث بالفعل.

ووسط ذلك الحشد يجدها.. إنها ليلى زميلة ابنته ورفيقتها في الغرفة.. فيمسك بذراعها بقوة قبل أن تنظر إليه بعينين باكيتين وبوجه غلب عليه الذهول مرددة في صدمة:

- لقد قُتلوا.. لقد قتلوا جميعهم بدون أن نشعر..

فيمسك بكتفيها ليهزها في عنف، ولكنها لم تبال به فقد كان كل تركيزها موجها إلى يديها المملطختين بالدماء.. مما جعله يصرخ فيها قائلًا:

- أين كاترينا يا ليلى؟؟.. هل أصابها مكروه؟!

فحولت نظرها إليه في بطاء مرة أخرى لتتظر إليه بهاتيم
العينين التي سيطر عليهما الخوف والفزع فصرخ فيها:

- أين كاترينا؟؟... أين هي؟!

فنظرت إلى المبنى الثالث والذي تسكن فيه مع ابنته
وقالت في صوت ضعيف مشتت:

- لقد علقْتُ.. علقْتُ في غرفة أصدقائنا في الدور الرابع..
لم تستطع الخروج بسببهم.. لم نستطع أن نساعدنا بسببهم..

فهزها في عنف قائلاً:

- مَنْ هُمْ؟؟.. عمن تتحدثين؟؟

فأجابته بصوت ضعيف:

- وحوش.. لا.. بل أشباح.. بعيون مضيئة..

تركها ستيفن.. تركها تجثو على الأرض في بطاء.. تركها تعود
إلى بكائها وهذيانها وجَمَلِها المكررة عن أصدقائها الموتى.. كل
شئ أصبح واضحاً الآن، فإذا كان عليه إنقاذ ابنته فعليه إلقاء
نفسه بداخل ذلك الجحيم الأسود أولاً، ومواجهة شياطين
الموت هؤلاء قبل ذلك مما جعله ينطلق إلى ذلك المبنى أملاً
ألا يكون قد فات الآوان.

من المفترض أن أي فعلٍ يقوم به الإنسان.. أو أي شعور
تظهر تعابيرها على جسده.. فهناك أمر مسبق به صادر من
عقله، ولكن هذه المرة لم يكن هذا القرار نابغاً من عقل

ستيفن عندما انطلق بأقصى سرعته صارخًا باسم ابنته الكبرى في جميع أرجاء المبنى حاملًا كشافين ضوئيين كبيرين في يديه.. لأن مثل هذا القرار يكون صادرًا من قلبه الذي يعمل بمنطق الشعور لا المنطق.. شعور من الصعب التعبير عنه بأي ملامح تظهر على الوجه أو الجسد شعور فطري رُزق به أي أب، ولكن ليس لكل أب القدرة على التعبير عنه.. وليس مثل ستيفن، فها هو على الرغم من علمه بأنه ملقٍ بنفسه إلى التهلكة، ولكن هذا لا يهمه.. فالمهم بالنسبة له حياتها وليس حياته.. والمهم بالنسبة له ألا يكون أصابها أي مكروه.. والمهم بالنسبة له أن يُخرجها - بمعجزة ما - من كل هذا سالمة.

كان اليأس قد تمكن منه عندما وصل إلى الدور الرابع والمفترض أن تكون به ابنته.. كان الخوف والقلق قد نالا من عقله بما يكفي.. كان لا يريد أن يرى تلك الحقيقة الساطعة أمام عينيه، إنه من المستحيل أن تكون ابنته على قيد الحياة بعد رؤيته لذلك الكم من الدماء المسالة في جميع أرجاء المبني وفي كل طوابقه أثناء بحثه عنها وبعد كل ما صادفه من أشلاء لأناس كانوا منذ قليل على قيد الحياة متناثرة بكل مكان.

- إنها بالتأكيد النهاية..

كان هذا ما يدور بخلده عندما وصل إلى نهاية الطريق، حيث لم يعد هناك أي غرف ليفتشها إلا غرفة واحدة أمامه، وبجانبها الباب المؤدي إلى سلم الطوارئ حيث المخرج

الاحتياطي للمبنى ومن المؤكد أنها لن تخلو من جثث مشابهة لتلك التي رآها منتشرة بجميع أنحاء المبنى.

يقرب من تلك الغرفة القريبة من نافذة زجاجية قد أطل منها ضوء القمر الأبيض وقد شابه بعض الاحمرار نتيجة لبقع الدم المنتشرة عليها مما جعله يتحرك إلى الغرفة في ببطء وحذر ناظرًا إلى بابها بُني اللون والذي على بعد خطوتين منه فقط.. تقترب يده المرتعشة من مقبض الباب الفضي اللون، ولكنه قبل أن يلمسه ينظر أسفله ليرى تلك الدماء التي تتسرب من أسفل عقب الباب مما جعله يتراجع للخلف.. ينظر إلى بقعة الدم التي يزداد حجمها على الأرض شيئًا فشيئًا مما جعله يتوقف ليجثو على ركبتيه تاركًا تلك الدماء تنسال أسفله... تاركًا تلك الدموع تنسال من عينيه ساقطة في تلك البركة من الدماء التي شملته.. ليشعر بذلك الإنهاك ينال من كل عضلات جسده.. ليشعر بذلك الإرهاق يسري بجميع شرايين وأوردة جسده.. ليشعر بهم ينظرون إليه خلال ذلك الظلام الدامس بتلك العيون المضيئة وبذلك الضوء الأبيض الهادئ.. ليشعر بكراهيتهم له وليشعر برغبتهم في الفتك به ولكنه لا يبالي لذلك... إنه لا يبالي إلا لشئ واحد.. أنه فشل في حماية أعز ما يملك.

يحاول الصراخ لكن صوته يأبى الخروج من فيه.. عيناه تستمران في ذرف الدموع على الرغم من محاولاته الفاشلة في إخفاء ضعفه وبكائه.. يسمع اسمها نتيجة لذلك الصراخ الذي

بداخل قلبه والذي يزداد علوه مع كل لحظة تمر ناظرًا فيها إلى ذلك الباب متخيلاً ما ينتظره خلفه.. متخيلاً ابنته ممزقةً إلى أشلاء متناثرة في جميع أنحاء الغرفة مثل ما حدث في باقي الغرف.. ومثلما رأى في جميع أنحاء ذلك المبنى.

انطلقت تلك الصرخة من داخله هاتفاً باسم أبنته (كاترينا) لينطلق صداها في جميع أنحاء المبنى.. ثم وضع يديه على وجهه تاركاً الكشافين يسقطان من يده واللذين تدحرجا ليضيئا الطريق خلفه لتختفي كل تلك الأشباح بمجرد سقوط الضوء عليها، وليختفي ذلك الهمس وتلك الكلمات المبهمة التي كانوا يصدرونها معهم.. ليتبقى صوت نحيبه المكتوم.

لكنه يسمع صوتها تنادي عليه.. إنه صوتها بالتأكيد تصرخ مستنجدة به.. إنه صوتها تترجاه أن يأتي إليها.. صوت ابنته كاترينا.. مما جعله يندفع ليفتح ذلك الباب الموصد بقوة، وعندما فشل في فتحه باللين لجأ إلى العنف ليكسره وليجدها تجلس أسفل تلك النافذة الزجاجية الطويلة حيث يسقط عليها ضوء القمر الأبيض ضامّة رجليها إلى صدرها ناظرةً إليه بعينين مغرورتين بالدموع وقد لطخت الدماء ملابسها ويديها.. كانت نظراتها إليه تشير إلى أنها تخاف أن يكون خيالاً.. تخاف ألا يكون حقيقياً.. فتتظر إليه بعينين انطفأ فيهما الأمل في أن تُنقذ، كان يقترب منها في ببطء في حين كانت تلملم جسدها أكثر محاولةً أن تحافظ على المسافة

بينها وبينه.

كانت تظنه أحد أولئك الشياطين وقد أخذ صورة والدها ليقترب منها ولينقض عليها، ولكنه كان ما يزال يقرّب منها حتى غطاه ضوء القمر بالكامل لتراه لتتأكد أنه بالفعل أبوها.. يميل عليها ليمسح رأسها بيديه التي أكملت مسارها لتمسح تلك الدماء عن وجهها، ولكنها تدفع برأسها تجاهه لتلقي بنفسها في أحضانه الدافئة ولتجهش بالبكاء وتستمر في قول:

- إنه أنت بالفعل.. لقد أتيت إليّ.. لقد جئت بالفعل..

فضمّها إليه بكلتا ذراعيه قائلاً:

- بالطبع يا عزيزتي.. مهما حدث سوف أكون بجانبك في الوقت الذي تحتاجينني فيه.. مهما كانت العواقب سوف أستمر في المجيء..

ثم وقف رافعاً كاترينا معه واتجه مسرعاً إلى الباب مكماً:

- والآن دعينا نخرج من هذا المكان بسرعة..

أسند ستيفن كاترينا بالقرب من تلك النافذة التي بخارج الغرفة حيث ضوء القمر.. حيث الأمان.. حيث لا تستطيع أيديهم الوصول إليها.. ثم مال بجسده ملتقياً الكشافين، حيث بدأ ضوءهما يضعف قليلاً ليحذروه أنهم لن يستمروا في العمل لفترة طويلة، ثم اتجه إلى ابنته وما إن أسند ذراعها على كتفه سمع صوتها.. كان ضعيفاً ولكنه كان يتردد بقوة

في رأسه:

- أحضروها إليّ..

عندها بدأت تلك الأشباح في الانتشار بتلك الطريقة التي تفصل بينهما وبين ذلك السلم المؤدي للخارج.. فنظر ستيفن إلى النافذة حيث رأى الغيوم بدأت تحجب جزءاً كبيراً من القمر ليبدأ ضوءه في التضاؤل شيئاً فشيئاً.. إنه يعلم الآن النهاية التي تحضرها له كارمن.. إنه الاختيار بين حياته وحياتها.. إنه الاختبار الأكثر قسوة لأي أبٍ بأن يتم تخييره بين حياته وحياة أبنائه، ولكن ليس بالنسبة له فهو كان يعلم الإجابة مسبقاً حتى قبل أن تطأ قدماه ذلك المبنى.

أمسك ستيفن كاترينا من كتفيها في عطف ليقول في صوت جاد:

- هل أنتِ على ما يرام؟؟.. هل تستطيعين التحرك بمفردك؟؟

أومأت رأسها بالإيجاب، فسلم إليها الكشافين لتمسكهما بيديها في ضعف.. ثم أشار إلى ذلك الباب المؤدي إلى سلم الطوارئ مكماًلاً:

- هذا الباب يؤدي إلى السلم الطوارئ.. أليس كذلك؟؟

فأجابته في وهن:

- نعم إنه كذلك..

لكنه قاطعها سائلًا:

- وهل هذا السلم يؤدي إلى سطح المبنى أيضًا؟؟

فأجابته كاترينا في حيرة:

- نعم... لماذا تسأل كل هذه الأسئلة يا أبي؟!

ونظرت كاترينا إلى تلك الطريقة المظلمة حيث ترتبص لهما تلك العيون منتظرةً أن يحاولوا العبورَ خلال ذلك الظلام لتفتك بهما، مما جعلها تسرع سائلة في صوت خافت بعد أن بدأت بشرة وجهها في الشحوب:

- ما تلك الأشياء؟؟.. ما الذي يحدث بحق الجحيم؟؟

لم يجبها واكتفى بالصمت مما جعلها تسأله مجددًا:

- هل سنستخدم سلم الطوارئ؟!

فسمعته يقول في يأس:

- لا.. بل أنا من سيستخدمه..

فنظرت إليه في حيرة بعد أن أصبحت الأمور معقدةً بالنسبة لها مما جعله يكمل في ألم:

- أنتِ ستَجْرَيْن خلال تلك الطريقة موجهةً كشافًا أمامك وآخرَ خلفك، وستخرجين من ذلك المبنى.. لن يستطيعوا إصابتك بأي ألم طالما يحيطك ضوء..

فنظرت إليه في خوف:

- لماذا إذاً ستستخدم سلم الطوارئ؟؟ لماذا لن تأتي معي؟؟
لم يجبها ستيفن واكتفى بالصمت وإمالة رأسه إلى الأرض
مما جعلها تصرخ:

- أي ما الذي تفعله؟؟ بإمكاننا النجاة معًا.. بإمكاننا أن
نفعلها معًا..

فقاطعها قائلًا:

- لا أستطيع.. بالإضافة إلى ذلك لا بد من وجود أحد ما
يشغلهم عنك..

فقالت في ألم:

- لا لن أقبل بذلك... لن أجعلك طعمًا لهذه الأشياء..

لكنه أمسك بذراعها الأيمن قائلًا في صوت جاد:

- كاترينا لن يصيبوني بشئ.. ولن يستطيعوا لمسي.. لن
أستطيع تفسير كل شئ لك الآن.. ولكنني أقسم لك أنني
سأكون على ما يرام..

فقالت بصوت متألم امتزج بنحيبها غير المتوقع:

- لا.. أنت تكذب عليّ.. أيًا كانت هوية تلك الأشياء فهي
لم تترك أحدًا بهذا المبنى على قيد الحياة..

فمسح ستيفن على رأسها في عطف، ولكنه لاحظ ازدياد
عدد تلك العيون التي تراقبهم في صمت مما جعله يقول لها
في سرعة:

- بل أقول الحقيقة.. بمجرد خروجك من المبنى سأصل إليك بأقصى سرعة ممكنة.. ولن يمنعني أي شئ من الوصول إليك مهما كانت قوته أو صعوبته أو خطورته.. والآن اذهبي..

لكنها قاطعته:

- لا.. أنا لن أذهب من هنا ألا وأنت معي..

فصرخ فيها:

- أرجوك اذهبي الآن.. أرجوك كاترينا

مما جعلها تقول في ضعف وألم:

- لن أذهب بدونك.. لن أتحرك بدونك.. لن أعيش بدونك..

فصرخ فيها ستيفن مجدداً:

- أَعِدْكِ.. أَعِدْكِ أُنِي سَأَقَابِلُكَ بِالْأَسْفَلِ.. أَعِدْكِ أَنُنِي لَنْ أَصَاب بِأَيِّ مَكْرُوهِ وَالْآنَ اذْهَبِي.. اجري بأقصى قوتك ولا تنظري ورائك.. لا تتوقفي ولو للحظة واحدة.. ابتعدي عن الظلام وابقِي أسفل الضوء، وأنا سَأَتِي إِلَيْكِ..

ثم دفع ستيفن ابنته للأمام مكملًا بصوت متألم:

- والآن اذهبي..

ولكنها التفتت إليه لتلقي عليه نظرة أخيرة وهو يشير لها بيديه بأن تتركه وتذهب، ثم لتطلق بأقصى قوتها خلال تلك الطريقة المظلمة موجهة كَشَافًا أمامها والآخر خلفها كما أخبرها، لتختفي تلك الأشباح ولتبتعد عن طريقها في الحال..

وبالطبع لن تستطيع مهاجمتها من الخلف بسبب ضوء الكشاف الذي توجهه خلفها.

وسرعان ما اختفت كاترينا ومعها ضوء الكشافين اللذين بحوزتها عندما التفتت إلى اليسار عند آخر الطريقة لتنزل هابطة تلك السلام تاركة أباهما الذي أخذ يراقب تلك الطريقة التي تملكها الظلام مجدداً، ولتزدحم بها تلك العيون المضئية من جديد.. والتي أخذت تراقبه.. تتربص به.. تنتظر ما الذي سيفعله، ولكن ستيفن تغاضى عن النظر إليها، وعاد ليراقب ذلك القمر بل ذلك الأمل والذي بدأت الغيوم تتكاثر عليه ليتضاءل ذلك النور الصادر منه.. ذلك النور الذي يبقيه على قيد الحياة.. فهو يعلم الآن أنها مسألة وقتٍ قبل أن تغطي الغيوم قمر الأمل الذي يهديه الطريق ويحميه من المخاطر.

انطلق ستيفن بأقصى سرعته ليفتح ذلك الباب المؤدي إلى سلم الطوارئ حيث كان المكان معتمًا بالكامل.. حيث كان يمكث الظلام منتظرًا إياه بكل ما يخبئه من مفاجآت بجعبته.. مفاجآت قاتلة بالنسبة له أو لأي شخص آخر مما جعله يسحب نفْسًا طويلًا ليحبسه بداخل صدره كأنه آخر نفْسٍ سيتمكن من أخذه، ثم انطلق بأقصى قوته خلال ذلك الظلام صاعدًا درجات ذلك السلم الحديدي.. ذلك الظلام التي ظهرت فيه تلك العيون من العدم.. ليسمع همسها الذي اقترب بشدة من أذنيه، لكن هذا لم يوقفه.. يشعر بمخالب قاسية تصيب كتفه الأيمن فيتحمل الضربة بتأوهٍ

مكتوم، فقد اقترب من السطح الآن، ولكن تلك العيون تزداد على طول الطريق المتبقي أمامه.. إنه يعلم جيدًا أنه إذا سقط في قبضتها فستكون النهاية له.. مما جعله يُدخل يده اليسرى في جيب معطفه مُخرجًا تلك الأنبوب الحمراء، ثم أزال ذلك الغطاء الذي بمقدمتها لتتوهج تلك الشرارة الحمراء ولينطلق ذلك النور الأحمر ليغمر المكان، ويسمع صراخ الوحوش الخافت وهي تتبعد عنه وخاصة عندما رفع ستيفن ذلك الأنبوب عاليًا، وإن كان ضوءه قد بدأ يتقلص مع مرور الوقت، ولكن هذا لم يعد يهم عندما وصل إلى ذلك الباب المؤدي إلى السطح والذي يفصل بينه وبين النجاة.

كان الباب موصدًا بقوة عندما حاول ستيفن فتحه، مما جعله يلقي بذلك الأنبوب خلفه لتقوم بعمل الدرع الواقية مانعة بضوئها الذي بدأ يتضاءل أي أحد من الاقتراب منه، في حين بدأ ستيفن في الارتطام بجانبه الأيسر بأقصى قوته بذلك الباب الحديدي أملًا في كسره بعد أن فشل في فتحه باللين.. لكن أبواب الأمل بدأت في الانغلاق أمام وجهه مرة أخرى، وبدأ اليأس في التسرب إلى قلبه مجددًا بعد فشله في ذلك.. لكنه استمر في الارتطام به إلى أن أصابه الإجهاد والألم فاستند عليه بجانبه الأيسر ناظرًا إلى ذلك النور الأحمر والذي بدأ يتضاءل بشدة.. وقد شارف على الانعدام.. ذلك النور الذي يشبه حياته التي قاربت على الانتهاء.. حياته التي طالما رآها أنها بلا فائدة.. بلا قيمة.. ممتلئة بالعديد من المحاولات الفاشلة والقليل من النجاحات التي تمثلت في بناته..

نعم بناته.. مما جعله يتذكر ليز ابنته الصغيرة التي تقاوم بأقصى قوتها تلك الشيطانة التي تستنزفها من الداخل بدون علم لها بذلك.. كل هذا جعله يعيد التفكير في حياته اللعينة، فلو حدث له أي شئ فستنهى كارمن ليز.. مما جعله يتحرك مجدداً وقد أحاط به الظلام ليقول في بطاء:

- إن لم يكن من أجلي.. فستكون من أجلك يا ليز..

أطلق ستيفن لجسده العنان ليتحرك بكل ما لديه من قوة موجهاً جانبه الأيمن ليرتطم بقوة بذلك الباب الذي انكسر ليميل معه للخارج تجاه السطح، وليجد ستيفن نفسه يتدحرج على الأرض بسبب قوة اندفاعه بعيداً عن الظلام حيث يغطي ضوء القمر المكان.

في البداية كانت الرؤية مشوشةً لديه بسبب ارتطام رأسه بقوة بالأرض ولكن سرعان ما بدأت تعود الرؤية الواضحة لعينه مجدداً، ليرى تلك العيون المنيرة تحديق به من الظلام.. ليسمع همسها.. ليسمع تلك الكلمات المبهمة والتي كانت تحمل يوماً ما معنى لها، وبالقرب منه رأى تلك السكين الصغيرة وقد بدأ يشع من نصلها ذلك النور الأزرق السماوي الهادئ، لسبب ما يجهله والذي يبدو أنها سقطت منه أثناء دحرجته على الأرض، فيسرع بالوقوف بعد أن أمسك بها وعندما التفت إلى تلك العيون مرة أخرى وجدها قد اختفت جميعاً، في حين بدأت هي في الظهور لتخرج إليه محتمية بظل ذلك المخرج المؤدي إلى السطح.

كانت تنظر إليه.. تتأمله.. تشاهده بدون أن تنطق بأي كلمة، مما جعله يقول في سخرية:

- أتخافين من الضوء؟!

لكنها أشاحت بنظرها عنه لينصبَّ كل تركيزها على تلك السكين الصغيرة التي بيده اليمنى، والتي بدأ ضوءها يخفت شيئاً فشيئاً إلى أن تلاشى تماماً، ثم قالت بصوت خافت وهادئ:

- أنا لست أخشى الضوء، ولكن هو الذي يخشاني..

فنظر إليها ستيفن في حيرة وقلق، ولكن سرعان ما اتضح الأمر عندما رآها تتقدم إليه مكملة:

- أنت لا تستطيع استيعاب ما أقوله.. أليس كذلك؟؟

فنظر ستيفن إلى القمر الذي بدأ يتوارى خلف السحب مع تقدمها إليه ليختفي معه ضوءه الأبيض الذي كان يستمد منه الشجاعة والأمان.

كان يراها تتقدم إليه بدون أي خوف، وببطء وهي تنظر إليه في سخرية مكملة:

- هل ظننت أن الضوء يؤثر عليّ..؟ ربما يؤثر على أتباعي.. وربما يؤثر على تلك الأرواح التائهة في ذلك المكان المظلم الذي سوف تراه ابنتك قريباً ولكن ليس..

لكنها توقفت عن الحركة وصمتت عندما أخرج ستيفن

أنبوتين من مشاعل الإنقاذ من جيب معطفه لينظر إليها في تحدٍ... في حين ازدادت تلك النظرة الساخرة بعينها اليمنى وهي الجزء الوحيد الظاهر من وجهها بعد أن أخفى شعرها الأسود معظمه.. مما جعل ستيفن يشعر بذلك الغضب يحرق قلبه عندما تذكّر كل تلك الجثث من الطلبة الذين قُتلوا بغير ذنب أثناء بحثه عن ابنته.. فأزال تلك الأغشية عن تلك الأنابيب الحمراء بدون أي تردد والتي أطلقت تلك الشرارة الحمراء، وسرعان ما تبعها ذلك الضوء الأحمر المتوهج والذي وجّهه إليها، فاشاحت كارمن بوجهها قليلاً عنه ولكنها لم تبتعد مما جعله يقربه أكثر من وجهها.. لكنها أمسكت بيدها اليسرى تلك الأطراف المضيئة للأنبوتين لينطفئ ذلك النور الأحمر على الفور ولتقول بصوت ساخر:

- أرجو أن توقّف تلك الأفعال الطفولية.. فالأضواء القوية تؤذي عيني..

ثم جذبت تلك الأنابيب من يده بدون مقاومة منه، وهو ينظر إليها بوجهٍ تغلغل معالمه الصدمة الكاملة، وألقت الأنابيب بعيداً بعد أن حل ذلك الظلام مجدداً والذي يشوبه ذلك الضوء الضعيف للقمر والذي استطاع التغلغل خلال تلك الغيوم المتكدسة أمامه.

شعر ستيفن بتلك القطرات تصطدم بشعره وبوجهه عندما رفع رأسه لينظر عالياً للسماء التي بدأت تمطر وبغزارة، والتي ربما كانت تبكي لما أصابه أو لما سيصيبه.

شعر بإرهاق شديد ينتشر عبر جسده، كان مماثلاً لذلك الإرهاق الذي شعر به في الفندق ومَنْزل كريس الريفي.. فجثا على ركبتيه تاركاً قطرات المطر الباردة تنسال عبر تلك التضاريس لوجهه اليأس لتبلل ملابسه.. تركها تغسل تلك الدماء التي انتشرت عبر أنحاء جسده وملابسه سواءً أكانت تنتمي له أم لغيره من تلك الجثث التي تَعَثَّرُ بها، أو لتلك الحوائط التي تلطخت بها، واستند عليها بعد ذلك، آمال ستيفن وجهه إليها مجدداً بعد أن عرف ما سيلحق به من آلام بسببها وخاصة بعد أن رآها تقترب منه، أغمض عينيه عندما رأى يديها ترتفعان وأناملها تقترب منه، وأمال بوجهه للأسفل، ولكن كارمن أمسكت برأسه لترفعها للأعلى قليلاً، شاعراً بأناملها الباردة التي لمست وجنتيه في عطف، ثم شعر بجبهتها الصغيرة الباردة وقد لامست جبهته، وقد انحصر بينهما بعضٌ من شعرها المبلل، ثم شعر بأنفها تلامس مقدمة أنفه ليشعر بتنفسها وبزفيرها البارد يصطدم بشفتيه، وليسمعها تقول بصوت متألم:

- هل أدركتَ الآن ما بإمكانني فعله؟؟.. هل أدركتَ الآن مدى قوتي؟؟

فقال في صوت هادئ:

- وماذا الآن؟!

فأجابت بنفس النبرة المتألمة:

- لماذا إذاً لا تنهي كل هذا وتتقبلني؟!

فأجابها بصوت جاد:

- أنتِ تعلمين أن هذا لن يحدث حتى لو تكلف الأمر حياتي.

فسمعتها تتنهد في إرهاق ويأس قائلة:

- لماذا تصر أن يتم الأمر بالطريقة الصعبة؟؟

لكنه قاطعها قائلاً:

- لماذا لا تنهين أنتِ الأمر وتعودين من حيث أتيت؟!..

لماذا لا تتركين ابنتي وشأنها؟!.. لماذا تصرين على تعذيبني

وتعذيب أي أب مثلي؟!.. لماذا لا..

لكن كارمن قاطعته بصوت متألم:

- أنا مرهقة للغاية يا ستيفن.. لقد أصبح الأمر يزداد

صعوبة مع مرور الوقت.. لقد أصبح الأمر مؤلماً وبشدة..

فقال في حيرة:

-ماذا تقصدين؟!

فأجابته في سخرية:

- لقد كان من السهل جداً التخلص من ابنتك يا ستيفن،

ولكن الأمر كان شاقاً في إبقائك على قيد الحياة..

فبدأت الحيرة تتلاعب بعقل ستيفن، حيث كان لا يستطيع

فهم ما الذي تقصده كارمن؟!

انتبه ستيفن إلى كارمن تقول في وهن وضعف:

- أنا متعبة الآن.. مرهقة وبشدة يا ستيفن..

ثم أبعدت رأسها عنه.

كاد ستيفن يفتح عينيه لولا أن يديها انتقلتا لتغطيها في حنان.. ليسمعها تقول في ألم:

- أرجو أن تسامحني يومًا على ما صدر وما سيصدر مني تجاهك.. فبعد كل هذا أماننا طريق طويل سنكمله معًا عندما أتمكن من جسد ابنتك..

فقاطعها ستيفن في صوت حازم:

- وهذا لن يحدث إلا عندما أكون ميتًا أو في الأحلام يا كارمن..

لكنها أجابته في هدوء:

- أحلام ستصبح حقيقة قريبًا..

ساد الصمت للحظات قصيرة قبل أن يفتح عينيه ليجد أن كارمن قد اختفت على الرغم من إحساسه بلمس يديها الباردة على عينيه حتى الآن ولينظر إلى السماء التي ما زالت تمطر بغزارة.. فتردد ذلك السؤال بذهنه بدون أن يجد له إجابة:

- هل يعقل أن تكون السماء تبكي من أجلها?!



كان صوت شيلي الصارخ يتردد في أُذُنِه:

- هل جننت؟!.. تواجههم بمفردك وبدون أن يكون معك أي آلة لإصدار الضوء؟ لقد كان من المفترض بهم أن يقتلوك..
مما جعله يقول في صوت هادئ بعد أن قرب الهاتف الخلوي من أُذُنِه مجدداً:

- لذلك أنا أسألك لماذا قالت هذا لي؟؟.. لماذا قالت إنه من السهل التخلص من ابنتي؟؟.. ولكن من الصعب إبقائي على قيد الحياة؟!

ساد الصمت لعدة لحظات قبل أن يسمع صوت شيلي تتحدث مع أحد الأشخاص الجالسين معها قائلة:

- لا.. من المستحيل ذلك..

لكن الشخص المتحاور معها قال في جدية:

- لابد أن نضع كل الاحتمالات أمام أعيننا..

ولكنه سمع مقاطعتها له قائلة:

- ولكن كريس..

فسمع صراخه يقول:

- كريس مات يا شيلي.. ربما كان أفضلنا، وربما الوحيد الذي استطاع مقاومتها بشكل أفضل من أي شخص آخر، ولكن الآن نحن لن نجازف بأي شخص آخر.. لا بد أن نضع كل الاحتمالات أمامنا.. لقد قام كريس بخطأ قاتل من قبل

ونحن لن نكرره..

وسرعان ما سمع صوت ذلك الشخص واضحًا عندما
اختطف الهاتف من شيلي:

- سيد ستيفن.. معك ريفن أحد أصدقاء كريس.. أنا أعلم
جيدًا أنك تظن الآن أنك تعلم كل شيء عن كارمن، وأنت قد
ألممت بكل شيء حولها.. ولكن السبب الوحيد لوجودي هو
أن أخبرك أنك على خطأ..

فصرخ ستيفن في سخط قائلاً:

- وإلى متى سأظل ألتقى تلك المحاضرات عنها..؟ أنت لا
تعلم يا سيد ريفن مقدار الضغط العصبي الذي تعرضت له
لإنقاذ ابنتي الكبرى اليوم..

- ثم نظر ستيفن إلى تلك المرأة المعلقة بالقرب منه، حيث
وجد كاترينا نائمة على المقعد الخلفي لسيارته والتي يقودها
عائدًا إلى مدينة باترويد حيث الفندق الذي سكن فيه أول
ليلة، فأخفض صوته مكملًا:

- أنت لا تعلم مدى الألم الذي يتعرض له قلبك عندما
تعلم أنك لا تستطيع حماية مَنْ تحب، وخاصة عندما تعلم
أن الأمر خارج قدراتك أيضًا..

فأجابه ريفن بصوت متألم:

- بل أعلم ذلك الشعور جيدًا يا سيد ستيفن..

فسكتَ ستيفن ولم يستطع الكلام فأكمل ريفن قائلاً:

- لقد كنتُ أكثرَ مِن مجرد صديق لـ كريس ولزوجته..
لقد كنت بمثابة أخ لهما وجزءاً من عائلتهما، ولقد حاولتُ
كثيراً التدخل في الأمر ومحاولة مساعدة كريس، وليس أنا
فقط بل أكثر من شخص أراد ذلك فبعد كل شيء كارمن لم
تكن تشكل خطورة على حياة ابنته فقط، بل على أي إنسان
يعيش بالقرب منها.. لربما تكون شيلى تحدثتُ لك عن قوتها
من قبل.. ولكن ما يحدث الآن يضع أماننا معايير أخرى..

فقاطعه ستيفن قائلاً:

- أي معايير تقصدها..؟ أنت تتكلم هنا عن قوة مطلقة
بدون طريقة لإيقافها.. لقد قلت لشيلى منذ قليل إن طريقة
كريس لم تنجح في إيقافها.. وربما لم تكن هناك أي طريقة على
الإطلاق لهزيمتها، وبالإضافة إلى ذلك فحسب كلام شيلى كارمن
لم تستخدم كل قدراتها بعد.. إذًا ماذا سيحدث إذا فعلتُ؟..
هل ستقتلني بمجرد النظر؟!

وصمت ستيفن لشوانٍ معدودة قبل أن يتحدث مرة أخرى
بصوت متألم:

- مستر ريفن... لقد اختبرتُ منذ قليل شعور فقدان إحدى
بناتي.. وأحب أن أقول لك إنه ليس شعورًا جيدًا.

فقاطعه ريفن في شفقة:

- أرواح تائهة..

- ماذا؟!

لم يلبث ريفن وقتًا طويلاً قبل أن يتكلم قائلاً في جدية:

- هل سمعتَ بتلك الكلمات من قبل.. أرواح تائهة؟؟

فأجابه ستيفن مسرعاً:

- لقد ذكرتها كارمن لي، وأعتقد أنني قرأتها بإحدى أوراق كريس لكنني لم أفهم مغزاها بعد..

- هل تعلم ما الذي سيحدث لابنتك لو تمكنتَ كارمن من جسدها..؟

فقاطعه ستيفن في غضب قائلاً:

- وهذا لن يحدث..

فقال ريفن في حذر:

- هذا افتراض يا سيد ستيفن.. ولا أتمنى حدوثه بالطبع، وأود أن أخذه كمثال لأخبرك شيئاً ما..

فسكت ستيفن ولم يجبه مما جعل ريفن يكمل بصوت يائس:

- روح ابنتك لن تستطيع الموت، ولن تجد الراحة، وكذلك لن تستطيع العودة إلى جسدها بسبب وجود كارمن بها.. إنها النهاية حيث لا يوجد طريق للعودة.. ولن يبقى سوى طريق واحد لابنتك.. وهو الذهاب إلى أرض الظلام أو وادي الظلال أو..

وفجأة صرخ ريفن بغضب قائلاً:

- أيّا كان اسمه.. فذلك المكان اللعين له العديد من الأسماء..
ما أقصده أنها هناك ستفقد كل ما يحمله روحها من نقاء..
سوف تتحول إلى وحش.. ظل بعيون مضيئة.. مخلوقات لعينة
قادرة على إصابة جسدك بجروح مميتة بدون أن تنزف قطرة
دم واحدة... جروح تسبب نزيفاً داخلياً هائلاً، وتسبب الهلاك
لصاحبها في وقت قصير.

- ولكن هذا ليس ما رأيته.. لقد كانت الجثث والدماء
منتشرة في كل مكان.. أنا نفسي أصبت بجرح مؤلم بكتفي
الأيمن..

مما جعل ريفن يجيبه قائلاً:

- ربما لجأت لذلك لثريك ما هي قادرةٌ على فعله، ولكن
هناك شئ آخر أريد أن أسألك عنه.. هل قرأت ذلك الورق
الخاص بالحوادث التي تسببت فيها تلك اللعينة يا ستيفن؟؟
فأجابه في سرعة:

- نعم..

فقال ريفن في جدية:

- إذا فأنت تعرف أن هناك جرائم قتلٍ تمت على يد
الفتيات الصغيرات والمستحوذ عليهن من قبل كارمن..
فقاطعه ستيفن قائلاً في دهشة:

- ولكن هذا نادرًا ما يحدث منها، وعددها ثلاثُ جرائمٍ فقط.

مما جعل ريفن يقول في صوت عالٍ وبنبهة حادة:

- إذا بإمكانك أن تجيبني على سؤالٍ حَيَّرَني لفترة طويلة.. لماذا تقوم كارمن بالتخلص من عائلة بأكملها؟ حتى ذلك الأب الذي تحلم به أكثر من مرة بعد أن اقتربت من التمكن من أجساد هؤلاء الفتيات الصغيرات؟؟.. لماذا تفعل ذلك إذا كان كل حلمها هو أن تجرب شيئًا كان بالنسبة لها مستحيلًا أن يحدث يومًا ما؟؟

فسكت ستيفن ولم يستطع أن يجيبه مما جعل ريفن يكمل:

- بالإضافة إلى تلك الكلمات التي قالتها لك كارمن منذ قليل، فهذا يؤكد نظرية بدأت بالتبلور حديثًا عندي ولكن لم أستطع إثباتها لـ كريس.. ولكن أنت.. أنت هو الإثبات بعينه.. كارمن ليست بحاجة للكذب لأنه كما قلت منذ قليل لا توجد أي طريقة لقتلها، وفي نفس الوقت لقد نفدت منا كل الحِيل.. لذا هناك أمر واحد متبقٍ.. ربما يكون صحيحًا إذا كان ما قالته لك صحيحًا عن كون حمايتها لك أمرًا في غاية الصعوبة..

فقال ستيفن في عجلة:

- ما هو هذا الأمر؟؟

فقال ريفن في جدية:

- أظن أن كارمن شيء، وقوتها شيء.. وكلاهما مستقل عن الآخر.. بمعنى آخر إن لكارمن هدفًا ولقوتها هدفًا آخر، وكلاهما يتعارض مع الآخر من ناحية واحدة فقط..

فقاطعه ستيفن قائلاً:

- وما هي؟؟

فأجابه ريفن:

- أنت يا سيد ستيفن.. الأب هو مصدر التعارض بين الاثنين.. وهذا المصدر لا بد أن يزال وأنت تعرف كيف

فقال ستيفن في هدوء بعد أن وضع كل شيء أمامه:

- قلب ملئ بالظلام..

فقاطعه ريفن قائلاً:

- نعم يا ستيفن.. قلب ملئ بالظلام.. ولكن إن استطاعت كارمن الحصول على أب مثلك.. أب يعطيها الأمل والحنان.. فسوف يغيّر هذا كل شيء سوف يمتلئ ذلك القلب بالنور مجددًا مسببًا أحد الاحتمالين الآتين.. إما أن تضعف قواها ولكن سيستمر وجودها مع كارمن في حالة تمكنها من جسد ابنتك، وإما أن تتلاشى تمامًا وهذا شيء غير مستحب لتلك القوة المصاحبة لها..

صمت ريفن بعد ذلك لعدة ثوانٍ تنهد فيها في يأس قبل

أن يكمل في ألم:

- أنت فقط لا تعلم مدى قِدَم تلك القوة المصاحبة لكارمن.. لا تعلم ما حاول الكثير فعله وضحّى الكثير به من أجل الحصول على القليل من تلك القوة.. لا تعلم كمّ السحرة الذين حاولوا الحصول عليها، وكيف كانت نهاية معظمهم.. لا تعلم الألم الذي عانى منه الكثير من أجل لمحة ولو متناهية الصغر من تلك القوة.. ولكن ها نحن نجدها فجأة مرافقة لطفلة صغيرة بدون أي تضحيات.. بدون عناء.. بدون أي سحر.. فقط ماتت وعادت ومعها تلك القوة.. يا لسخرية القدر.. أن تصبح مثل تلك القوة تحت سيطرة طفلةٍ صغيرة.. غضبى.. ناقمة.. متألّمة

لم يستطع ستيفن أن يتكلم، في حين أكمل ريفن:

- تلك القوة التي بحوزة كارمن من الصعب السيطرة عليها ومن الصعب أيضًا التحكم بها.. لذا أعتقد أن هذا التفسير الطبيعي لما قالته كارمن..

فقاطعه ستيفن سائلًا في حيّرة:

- إذًا لماذا لم أمت في ذلك الوقت عندما كنت في طريقي إلى السطح؟؟.. حيث كان بإمكان تلك الأرواح الفتك بي وبدون إهدار قطرة دم واحدة كما تقول فما الذي منعها؟؟.. أنا أقصد..

ولكن ريفن استمر على رأيه قائلاً في نبرة جادة:

- لهذا أنا أقول إن هذه مجرد نظرية، قد تكون صحيحة أو خاطئة.. أنا فقط أريد أن أقول إن كان هناك أي أملٍ لابنتك فهذا سيكون أنت.. لهذا يجب أن تكون حذرًا على حياتك يا ستيفن، فأنت حتى الآن لم تجرب الألم الحقيقي الذي تسببه تلك الفتاة لأي أبٍ استحوذت عي جسد ابنته.. أعتقد أن أكثر شخص يعرف معنى ذلك الألم هو الن بالتاكيد..

فقاطعه ستيفن قائلاً:

- أنا أعرف... لقد حكى لي كل شئ..

لكنه سمع ريفن يقول ساخرًا:

- لا. إنه لم يفعل.. ذلك اللعين أكبر كاذبٍ رأيته في حياتي، حيث لو كان فعل لكنت عرفت.. أ.. أ... هنا..

لاحظ ستيفن ذلك التقطع في الاتصال، ولاحظ أن صوت ريفن أصبح ضعيفًا مما جعله يصرخ قائلاً:

- ريفن أنا بالكاد أستطيع سماعك، يبدو أن المنطقة التي أمر بها إشارتها ضعيفة..

لكنه سمع صوت ريفن الصارخ يقول:

- احذر..

ثم انقطع بعد ذلك الاتصال الهاتفي بينهما، فنظر في هاتفه ليرى أن هاتفه يلتقط إشارة جيدة.. وقبل أن يدرك الوضع انتبه إلى ظلٍ ظهر فجأة من العدم أمام سيارته..

مما جعله يدير عجلة القيادة إلى أقصى اليمين ليتفاداه.. مما جعل السيارة تدور منجرفة بعيداً عنه مُصدرةً صوتاً حاداً نتيجة للاحتكاك الذي يحدث بينها وبين تلك الأرض الصلبة أسفلها قبل أن تتوقف تماماً.



دقات قلبه المتسارعة تزداد عندما ينظر إلى المقعد الخلفي ليطمئن على ابنته ولا يجدها.. إنه كابوس جديد من قبل كارمن أو قواها!!!.. سيارته قد تغيرت وجهتها ليصبح اتجاه مقدمة السيارة إلى تلك الجهة التي قدم منها ليوأجه ذلك الظل الذي واجه مقدمة السيارة، حيث يسقط ضوء المصابيح الأمامية عليه.. إنه لا يختفي مثل الآخرين.. لا يتأثر بذلك الضوء الأصفر.. يقف منتظراً ستيفن.. وخاصة أن المنطقة بالخارج حالكه الظلام، ومن المستحيل الخروج إليها، ولكن عليه ذلك خاصة بعد اختفاء كاترينا.

يشعر بذلك الضغط الذي يسحق صدره ويكتم أنفاسه.. يده المرتعشة تندفع لتمسك بمقبض باب السيارة لتفتحه حيث ذلك الهواء البارد الذي يصطدم بوجهه، وحيث قطرات ذلك المطر التي تبلل ملابسه وجسده مجدداً مخفية آثار ذلك العرق الذي غطى جميع أنحاء جسده، ناظراً لذلك الظل الذي وضع بالكامل عندما أصبح بالخارج.. حيث ينتظره أسوأ كابوسٍ بالنسبة له على الإطلاق فذلك الظل لم يكن سوى.. أبيه المتوفى.

وسرعان ما اندفع ستيفن تجاهه قائلاً:

- أين هي؟؟.. أخبرني الآن أين ابنتي؟؟

فأجابه أبوه في هدوء:

- إنها بداخل السيارة التي خرجت منها للتو..

مما جعل ستيفن يندفع مجدداً لسيارته متجهاً إلى باب المقاعد الخلفية لينظر خلال زجاج النوافذ ليجد ابنته نائمة في هدوء.. ولكن بمجرد أن فتح ذلك الباب كانت قد اختفت كأنها لم توجد.. وبمجرد أن أعاد الباب حيث كان مغلقاً ونظر عبر الزجاج مجدداً فوجدها موجودة.. نائمة وعندما فتحه مجدداً كانت قد اختفت، مما جعل ستيفن يقرب يديه من ذلك المقعد الوثير ليلمس سطحه الناعم ليتأكد أنها ليست موجوة بالفعل وأن ما يراه عبر الزجاج هو الوهم الذي تجسده له كارمن، فكاد عقل ستيفن أن يسيطر عليه الجنون وصرخ في أبيه قائلاً:

- أي نوع من الخدع هذا..؟ أين ابنتي أيها اللعين؟؟

لكن بلاي لم يلق له أي إهتمام، وأخرج علبة السجائر من جيبه مُخْرِجاً سيجارة، والذي سرعان ما أشعلها بتلك الولاة الفضية خاصته قبل أن يصرخ به ستيفن:

- أيها اللعين أين ابنتي؟؟

ولكن ستيفن فوجئ بصراخ بلاي فيه قائلاً:

- أنا هو الوهم أيها الاحمق وليست هي.. ما زلت نفس
الأحمق الفاشل الذي عهدته من قبل.. لو فكرت لثانية
واحدة لعرفت أن هناك شيئاً ليس من المفترض به الوجود
هنا.. وهذا الشئ هو أنا..

فأطرق ستيفن رأسه للأرض مكتفياً بالصمت والذي لم
يُشبه سوى صوت قطرات المطر المرتطمة بتلك الأرض الصلبة
أسفلهما والذي سرعان ما قطعه بلای قائلاً في جدية:
- لا بد أن نتحدث..

لكن ستيفن تركه واتجه إلى سيارته قائلاً:

- لا يوجد شئ لنتحدث فيه..

فتحرك وراءه والده وهو يقول في سخرية:

- بل يوجد الكثير، وربما أحد الأشياء التي أريد أن أتحدث
بها هو المصير الذي ينتظر بناتك.. إن فشلت..

فأجابه ستيفن بسخرية مماثلة:

- لن أفشل.. على الأقل مثلك..

فردّ عليه بلای بنبرة حادة:

- وهل ستتمكن حقاً من ذلك؟؟

فتوقف ستيفن عندما أمسك بيده اليمنى مقبض باب
السيارة، ولم يكن سبب ذلك الجملة التي قالها له بلای للتو،
بل بسبب رؤيته لذلك الارتعاش الذي يسري بها.

ذلك الخوف وذلك الضغط الذي يسحق قلبه وعقله..
 تلك الآلام التي تسري بجميع أنحاء جسده المتعب والمرهق..
 فينظر إليه مجددًا.. ينظر إلى ذلك الشيطان الذي أحضر
 جحيم الماضي إليه.. ذكريات مؤلمة لم يستطع أن ينساها يومًا
 على الرغم من محاولاته العديدة في ذلك.. فيتكلم أخيرًا قائلاً:
 - لا.. لن أتمكن من إنقاذ أي أحد من عائلتي.. لن أتمكن
 من إنقاذ ابنتي ليز من كارمن، ولن أتمكن من حماية ابنتي
 كاترينا وجين من مخاطرهما..

اختلطت دموع ستيفن الحارة بقطرات المطر الباردة حين
 ركز عينيه لتواجه عيني أبيه الثابتين واللتين لم يبدُ عليهما أي
 تأثيرٍ لكلماته فأكمل قائلاً:

- سينتهي بي الأمر بمشاهدة ابنتي تحتضر لتتمكن من
 جسدها شيطانةً صغيرة ستجلب الدمارَ لذلك العالم المحتضر
 بالفعل أو ربما.. ربما أتمكن من استجماع شجاعتي وأقتلها
 قبل أن يحدث ذلك، ثم أنتحر بعد ذلك نتيجة رؤيتي
 لوهمها يطاردني في كل مكان.. كل يوم.. كل ساعة.. كل دقيقة..
 كل ثانية..

اقترب ستيفن من شبح أبيه المتوفى مكملًا:

- أليس هذا ما أتيت من أجله..؟ أليس هذا ما أردت
 إخباري به..؟

ثم توقف على بعد خطوتين منه مكملًا:

- لقد اختارت الشخصَ الصحيح من أجل هذه الوظيفة ولكن..

رفع ستيفن رأسه للسماء مكملًا بصوت عالٍ:

- ليس الآن يا كارمن.. ربما كان مفيدًا لك منذ أكثر من عشرين سنة قبل أن يتحول إلى شخص يناقض أفكاره ومعتقداته الخاصة، ويحاول أن يحوّ الأخطاء التي ارتكبها طوال حياته بأوهام طارده وقت مماته، وقبل أن أتحوّل من ذلك الشخص الساخط.. ذلك الشخص الحاقّد على جميع من حوله والناقم على كل شيء بسبب فشله المستمر في تغيير حياته إلى شخصٍ ليس بناجح بل مقتنع بأن هناك أشياء تفوق قدراته.. أشياء يستطيع أن يفعلها وأشياء أخرى لن يتمكن من فعلها.. شخص ليس بخائف من مستقبلٍ مجهول ومتقلب، ولا يستطيع أحد تحديد أبعاده.. شخص ليس بأحمق.. شخص ليس بفاشل.

فوجئ ستيفن بصراخ أبيه عليه قائلاً:

- أيها الأحمق لو كنت أتيت من أجل هذا الكلام فأنت مخطئٌ بالكامل..

ثم دفع ستيفن بيده اليمنى ليلصق ظهره بباب السيارة الذي كان على وشك الالتفات إليه وفتحه مكملًا:

- أنا لست هنا من أجل عتاب.. لقد أتيتُ من أجل إنقاذك... ربما يتخيل عقلك المريض أنني هنا من أجل إقناعك

بأن تتخلي عن ابنتك.. ولكني أتيت لأقول لك فُكِّرْ في مصلحة ابنتيك الآخرين، أنت تعلم جيدًا أن كارمن بحاجة إلى أبٍ فقط.. مجرد أب.. وإن اضطررتُ أن تنفيه للظلال حتى يتم الأمر فستفعل ذلك بدون أدنى شك.. كاترينا وجين يا ستيفن ستخسرهما إن مضيتَ في مقاومة كارمن، وكذلك سيلينا زوجتك المصونة.. تلك الزوجة اللعينة التي ستفقدُها قريبًا، أرجو أن تفكر في حياتها أيضًا، هذا إن كانت تشكل لك أي أهمية.

بهدوء أبعدَ ستيفن يد أبيه عنه ناظرًا إليه في حزن، وتحرك مبتعدًا عنه موليًّا ظهره إليه، ثم نظر مرة أخرى إلى تلك السماء الباكية قائلًا في يأس:

- كل ما أخبرتك به وما سأخبرك به ليس ذا أهمية لشخص مثلك.. أتعرف لماذا؟؟.. ليس لأنك قاسي القلب أو لأنك شخص حاقِد بطبيعتك على كل شيء أفضل منك، بل لأنك لا تعلم ولم تَعِش يومًا معنى كلمة تُسمَّى العائلة.

ثم نظر ستيفن إلى بلاي مجددًا مكملًا في نبرة تعلو شيئًا فشيئًا:

- عائلة.. هل أحسستَ بها يومًا أنها تتكون من أفراد.. أب.. أم.. أبناء.. لكل منهم دور مهم في تشكيل تلك الكلمة اللعينة التي لم يشعر بها قلبُك الميت، وأنا أنوي أن ألتزم بدوري فيها حتى النهاية.. حتى ولو تكلف هذا أن تحترق روعي الضعيفة بنيران ذلك الجحيم الأسود.. سوف أدافع عن جميع عائلتي.. زوجتي.. وبناتي.. وسوف أنقذهم جميعًا..

فظهرت تلك الابتسامة على شفتيّ بلاي قبل أن يقول في
سخرية واضحة:

- عائلة ها..؟ أي عائلةٍ تقصدها يا ستيفن.. أتقصد زوجتك
التي خانتك وتنوي تركك لتقضي ما تبقى لها من سنوات
شبابٍ ضائعة في أحضان رجلٍ غيرك..؟ أم بناتك..؟ جميعهن
سيتركنك فيؤ النهاية.. جميعهن سوف يتركنك وحيداً.. حتى
تلك الصغيرة التي تدعى ليز..

ثم اقترب بلاي من ستيفن ليدور حوله مكملاً:

- أَحَبُّ البنات إليك سرعان ما سيتغير شعورها تجاهك..
خاصة عندما تكبر وعندما يتركك من قلبها رجل آخر غيرك..
رجل سيصبح ذلك الفارس في أحلامها.. رجل ستعطي له كل
شئ.. قلبها.. حياتها.. روحها.

كان بلاي قد أكمل لفّته حول ستيفن حتى أصبح أمامه
مجدداً ليقول في حزن:

- لن تتذكر تضحياتك من أجلها.. لن يتذكر أحد ما بذلته
من دماء من أجلهم.. وفي النهاية.. فقط في النهاية.. سوف
تصبح مثلي تماماً..

فتراجع ستيفن قائلاً في ألم:

- لا.. أنا لم أفعل ما فعلته.. ولن أواجه تلك النهاية
خاصتك.. لن أصبح مثلك أيها العجوز اللعين.

ضحك بلای فی هیستریا مکملًا فی سخریة:

- نہایتک رہا لن تکنون مثلی، ولكنها ستكون أسوأ مِنی..

فأسرع ستیفن متجہًا إلیہ قائلاً فی غضب:

- لا.. لن یحدث ذلک.. سوف أنقذ هذه العائلة وسوف أنجّحها و..

لكن بلای قاطعه فی نبرة ساخرة:

- سوف أعمل جاهدًا علی حمايتها من أي خطر.. سوف أبعد عنها هذا الخطر مهما كان حجمه ومهما كان قدره.. سوف تصبح ملجئي وقت الضيق ووقت الكرب ولن أتركها مهما حیيت..

كانت نظرات ستیفن بعینین واسعتین تعبر عن مدى الصدمة التي وصل إلیها، لیتراجع إلی الخلف فی فزع، ولكن بلای هذه المرة تقدّم تجاهه مکملًا:

- نعم یا بُني.. لقد قلتُ هذه الكلماتِ أنا أيضًا، ولقد تعهدت بها علی نفسي.. ولكن كما رأيتَ حیاتي تحولت فی النهاية إلی جحيم صنعته بيدي..

ثم نظر بلای إلی يده ثم إلی ستیفن مجددًا الذي قال بصوت متحشرج:

- أيها اللعين لقد جعلتنا جميعا نعاني.. جعلتنا نتألم طوال الوقت.. لقد انعدمت بسببك الثقة بداخلنا، وخلقْتَ لنا

العديد من المشاكل النفسية، وكانت هديتك الأخيرة لنا أنا وإخوتي هي فتنة لعينة تفرّق بيننا..

فصرخ بلالي:

- وهل كنتُ المذنبَ الوحيد في هذا الأمر؟؟.. هل كل الخطأ يقع على عاتقي أنا فقط..؟ لقد قلتها منذ قليل.. العائلة تتكون من ثلاثة أطراف.. وهناك طرفان رئيسيان في هذه العائلة.. الأب والأم.. أليس كذلك يا ستيفن؟!

- وأمي لم تبدأ الحرب معك... بل أنت هو مَنْ بدأ هذه الحرب!!

فدافع بلالي عن نفسه في يأس:

- ووالدتك هي مَنْ أكملتها.. أنت تعلم مِنْ داخلِك أنني لم أستحق ذلك العقاب بتلك القسوة.. بتلك الوحدة.. بتلك الآلام.. ربما أكون أخطأت ولكني لم أستحق كل ذلك العقاب الذي جازيتُموني به.

لم يجبه ستيفن ولكن بلالي أكمل في ألم:

- لابد أن تقبل تلك الصفقة حتى لا تفعل خطأ تندم عليه مثلي.. خطأ سيجعل نهايتك مثلي، إلا أنك هذه المرة ستكون حددت عقابك بنفسك..

فقال ستيفن في ألم:

- لستُ مثلك.. أنا لن أنتهي مثلك.. لن تكون نهايتي

عجوزاً تطارده الأوهام في نهاية حياته... لن أنتهي مثلك.. أنا
لست فاشلاً مثلك أسمعني؟؟

وسرعان ما أحاطت يدا ستيفن بعنق والده مكماً في
غضب شديد:

- لن أنتهي كفاشل مثلك.. أيها اللعين.. أنا لست بفاشل
مثلك..

ولكن بلاي نظر إلى ابنه الذي لم يَـكف عن تكرار كلمتي
(فاشل مثلك) في يأس دون أن يُـد أي مقاومة ليديه اللتين
تعتصران رقبتَه في جنون.. جنون لم يوقفه سوى صراخ ابنته
كاترينا قائلة بأعلى صوته:

- أنت لست بفاشل..

صوتها الصارخ الذي أيقظه من ذلك الجحيم الذي كاد
يفتك بعقله.

نظر ستيفن إلى ابنته في ألم بعد أن أغرقت مياه المطر
ملابسها وشعرها الذي انسدل على وجهها ليجعلها تكاد تبدو
مثل كارمن، لولا أنها أطول منها بقليل، ولكنها سرعان ما
أبعدت شعرها عن وجهها الذي تأمله لفترة قصيرة قبل أن
يعود نظره مجدداً إلى والده الذي تبخّر كأن ليس له وجود،
وليجد يديه تعانقان الهواء بدلاً منه، مما جعله يرخي يديه
إلى جانبه قبل أن ينظر إلى تلك السماء الباكية.. قبل أن يقع
مغشياً عليه وقد بدأ يسود الظلام عينيه وهو يسمع تلك

الكلمة تتردد على مسامعه.. كلمة نطقت بها ابنةٌ خائفة عليه.. كلمة عاش من أجلها وأصبحت ملاذًا لكل أفعاله في تلك الفترة الأخيرة (..أبي..).



كانت السماء تمطر بقوة مجبرة الناس على الاحتماء داخل منازلهم، وخاصة مع وجود ذلك الجو القارس شديد البرودة.. ولكنه على الرغم من ذلك وجدها ما زالت وحيدة تقف ناظرة إلى السماء في صمت.. فنظر إلى ملابسها البالية وخاصة ذلك الفستان الأسود القديم، والذي لم تتخلَّ عنه، وما زالت متمسكة به لسبب ما مجهول.. وربما لأنها أيضًا لا تستطيع تغييره.

يستمر في التحديق بها بعد أن يتأكد من خلو الشارع من الناس، لكن ليس بعينين حانيتين ومشفقتين على ذلك المصير الذي يحيط بفتاة مثلها، بل بعينين تقومان بمعاينة سلعة على وشك شرائها.. التهامها.. انتهاكها.. عيني شخص لا ينتمي للآدمية بأي صلة.. عيني حيوانٍ مفترس يتلذذ بتعذيب أمثالها من الأطفال الذين لا حول لهم ولا قوة.

يقترّب منها في ببطء.. متربّصًا بها مثل ذئبٍ يتوارى وراء ذلك الجو القارس وتلك الأمطار التي تشوش الرؤية الواضحة على فريستها.. يحيط به ذلك المعطف الأسود وتلك القبعة السوداء التي تخفي ما تبقى من معالم وجهه بعد أن مالت على وجه سيدها، يقف على بعد خطوتين منها ويميل عليها

معطيًا إياها بعض القطع المعدنية متوقعًا أن تفرح بذلك الكنز الذي وقع بين يديها للتو.. ولكنَّ عينيها لم تُبدِ أيَّة مشاعر.. عيان ثابتتان.. عيان قاسيتان لم تُبدِ أيَّة فرحة لتلك القطع المعدنية التي استقرت بين يديها للتو، وبنفس العينين المتبldتين المشاعر نظرت إليه عندما قال لها بنبرة حانية مصطنعة زال تأثيرها عندما انفجرت أساريه عن تلك الأسنان الصفراء التي عذبت الكثير من ضحاياها وسببت العديد من الآلام لهؤلاء ممن وقعوا بينها:

- أرجو أن تجلب لك تلك النقود ما تريدينه يا عزيزتي..

فتنظر إلى تلك النقود مجددًا لتقول في صوت يائس:

- ما أريد..

فاستغل الرجل تلك الفرصة والتي اعتاد استخدامها كل مرة مع أمثالها من الضعفاء، والذين قد طغت عليهم الحياة ليعيشوا كأشباه بشرٍ مع تلك الفرص الضئيلة التي تقدمها لهم تلك الدنيا العمياء، فهو يعلم أن تلك هي نقطة الضعف لأمثالها والمتمثلة في الحاجة المستمرة للمال فيقول في هدوء:

- إذا كنتِ تريدين المزيد يا عزيزتي أعِدْكِ إن أتيتِ معي فسأعطيك ما يمكنك من جلب ما تتمنين..

فنظرت إليه في يأس قائلة في صوت متحشرج:

- ما أتمناه..

ثم عادت إلى تحديقها المستمر في تلك النقود.. تلك القطع المعدنية التي يتعارك من أجلها الكثير من البشر، والتي بسببها يجازف العديد منهم بأرواحهم وأهلهم، وقد يتمادون في الأمر حتى ولو انتهى الأمر بفقدان أبنائهم.

تسري في يديها تلك الرعشة عندما تنظر إليه في يأس لتقول بصوت حزين ومنكسر:

- ما أريده.. ما أتمناه.. لا تستطيع أي نقود ومهما كان حجمها أن تأتيني به..

فيرى أصابع يديها تبتعد عن بعضها تاركة تلك النقود تنسال بينها لتتساقط بتلك الأرض الطينية أسفلهما.. تاركة ذلك الرجل ينظر إليها بفم مفتوح عن آخره بعد أن تمكنت منه تلك الصدمة.. تتركه لتجري بعيداً وسط ذلك المطر الكثيف غير خائفة من أن تتعثّر بحجر أو بشخص آخر مثل الذي قابلته منذ قليل.. تجري مبتعدة عن تلك المدينة الملعونة، حيث تلك الغابة الممتلئة بالأشجار.. حيث عالمها الخاص، وحيث لا يوجد أي خوف أو قلق.. حيث دفنت شياطينها، وأغلقت عليها أبواب الجحيم في تربتها الطينية القاسية والمشابهة لحياتها.. تجري في طريق ثابت لا تخطئه قدماها.. تجاه شجرة قديمة.. كبيرة في السن.. شجرة مجردة من أي أوراق تنتظر نهايتها في ألم.. شجرة مَكْن منها الوهن والضعف والألم.. شجرة يكره الجميع النظر إليها.. شجرة وحيدة، ليس هناك أي أشجار بالقرب منها، على نقيض

مثيلاتها ممن تشابكت فروعها واختلطت أوراقها ببعضها البعض.. شجرة تشبهها.. شجرة حفرت أول وآخر حرف من اسمها عليها وهما

((n, c)) ... ((ك ون)).

تتسلق تلك الشجرة في صعوبة بعد أن جعلت الأمطارُ فروعها زلقة، ومجرد أن وصلت إلى فرعها الخامس والذي يعتبر أكبر الفروع حجمًا وأكثرها ثباتًا استقرت جالسة عليه، وامتدت يدها في ثقة إلى تجويف عميق بداخل تلك الشجرة وبالقرب منها لتُخرج تلك الأوراق وتلك الريشة وتلك القنينة الزجاجية الصغيرة والتي يوجد بداخلها كمية ضئيلة من الحبر الأسود استطاعت الحصول عليهم بشق الأنفس.. ثم تنهمك في الكتابة.. كتابة كل ما كانت تتمناه.. كل ما كانت تريده يومًا.

الكلمات التي تريد أن تخطّها في تلك الأوراق القاسية الصفراء لا تستطيع كتابتها بطريقة صحيحة، مما يثير من غضبها ونقمتها على وضعها، ولكن هذا غير كافٍ لإيقافها متمسكة بتلك الكلمات التي قالها لها والدها من قبل بأنها من النوع المقاتل والذي من الصعب أن يُعجزه أو يُضعفه أي شئ في هذه الدنيا، حتى أنها قاتلت من أجل أن تأتي للحياة.. تلك الكلمات التي تمدها بالقوة في أوقات الضعف.. وإن كانت أصبحت لا تفيدها في الآونة الأخيرة.

الوقت يمر ببطء وعلى الرغم من هذا فكل ما كتبته لم

يتعدّ صفحة واحدة.. صفحة واحدة ممتلئة بالأحلام البريئة..
 صفحة واحدة ولكنها تحمل عشرات الأحلام لطفلة صغيرة..
 صفحة واحدة مليئة بالكلمات الخاطئة لُغويًا والمستحيل
 قراءتها لأي شخص متعلم أو غير متعلم، ولكنها تشمل كل ما
 يتمناه قلبُ طفلةٍ صغيرةٍ في الثانية عشرة من عمرها وهو
 أن يجتمع مرة أخرى بذلك الأب الحنون الذي أحبّها وأعطاهها
 من العطف ما لا يتمكن أي أحد في هذه الدنيا من إعطائه
 لها.. ذلك الأب الذي تعرض لضغوط الدنيا فتغير إلى ذلك
 المسخ مع مرور الوقت.. إنها تنتظر أن يعود.. وستظل تنتظر
 حتى يعود.. وتعيد الفتاة الصغيرة القينة الزاجية والأوراق
 إلى ذلك التجويف مرة أخرى ولكنها تُبقي تلك الورقة التي
 أخذت العديد من وقتها في هذا اليوم الممطر والذي لم يكف
 عن البكاء بعد.. وتعيد النظر إلى تلك الأمنيات التي كتبتها
 فتجد أن معظم ما تمنته هو ما تمنى والدّها تحقيقه في هذا
 العالم القاسي والذي غطى عليه دخان ذلك البارود المشتعل
 بسبب تلك الحرب اللعينة.. فتتظر إلى الأمنية الوحيدة والتي
 كتبتها من قلبها.. وهي أن يعود ذلك الأب الحنون مجددًا..
 فتمزّق ذلك الجزء الصغير المكتوب به أمنيتها من الورقة
 تحتفظ به في جيب فستانها الأسود البالي، في حين تمزق ما
 تبقى من تلك الورقة إلى قطع صغيرة.. وتثرها مع ذلك
 النسيم البارد الذي مرّ جانبها للتو، ثم تجلس ضامّة قدميها
 إلى صدرها محيطةً بهما ذراعيها وتنتظر.. تنتظر أن تتحقق
 تلك الأحلام الواهنة والمستحيل تحقيقها.. تنتظر عودة ذلك

الأب الذي ضل طريقه مع أنها تعلم أنه لن يعود.



انطلق ستيفن من باب المستشفى مهوَّلاً إلى سيارته التي تقع بالقرب من المدخل حيث ركنتها كاترينا من أجله حيث كان يصرخ في غضب قائلاً:

- لم يكن على أمك فعل هذا.. لقد ارتكبتُ أسوأ خطأ في حياتها..

فقاطعته كاترينا في سرعة وهي تهول خلفه قائلة:

- بل ما أريد أن أفهمه لماذا أخفيتَ هذا الأمر عنا؟؟.. لماذا قمتَ بفعل ذلك؟؟

وركب الاثنان السيارة لتنطلق بهما بعيداً عن المستشفى ليعودا إلى منزلهما حيث ينتظرهما ذلك القدر المحتوم والذي يدعى كارمن.

كان تفكيره ما يزال مشتتاً عالقاً ما بين ما تفكر به كارمن وما تريده.. لقد ظن الجميع أن هناك شيئاً ما خاطئاً يشوب قواها، ولكن اتضح أن كل تلك النظريات والتي استنتجت عن موت الكثير من الآباء والعائلات خاطئة فالموضوع أبسط من ذلك بكثير.. كارمن تكره أباهما وتحبه في نفس الوقت.. لقد عاشت طوال حياتها تنتظر ذلك الأب، ولكن مواصفاته تختلف عن أي أب.. أب محب لأبنائه وكاره للمجتمع.. حاقد عليه.. شخص عاش بدون أب ولم يتلقَ أي مساعدة من عائلته،

بل على العكس فعائلته قد جنت عليه وسببت له الآلام.. أب يكون قد عاش حياتها.. ليس بأبٍ قادر على إعطائها الحب والأمل فقط.. بل هو أب ذو قلب مظلّم قادر على احتواء ظلامها أيضًا.

استيقظ ستيفن من تفكيره العميق على صوت ابنته القلق تصرخ قائلة:

- لماذا لم تخبرنا بالأمر؟؟.. لماذا أخفيتّه عن الجميع؟؟

فنظر إليها ستيفن في يأس واكتفى بالصمت بعد أن وضحت له الأمور.. كارمن لم يكن هدفها ليز من البداية.. ليس بالمعنى الحرفي، ربما كان أحد أهدافها هو جسد ليز، ولكن الهدف الرئيسي طوال الوقت كان هو.. يضغط على أسنانه بقوة عندما يتذكر محادثته مع ريفن.. تلك المحادثة اللعينة التي واجه عقبها أكبر كابوس في حياته.. فيشعر بتلك الآلام تنتشر عبر جميع جسده.. ويشعر بذلك الضغط يسحق عقله.. فقد أصبح يعلم الآن كل شيء.

يعلم السبب الحقيقي في تلك الحوادث النادرة التي قامت فيها كارمن بقتل فيها هؤلاء الآباء المساكين.. إنه ظلامها.. كراهيتها التي لا يستطيع أحد تقبّلها وهذا ما يجعل قواها تخرج عن سيطرتها لتقوم بقتل ذلك الأب وفي النهاية تقتل تلك الفتاة البريئة المستحوذ عليها من قبلها لتصبح تلك الفتاة هي القاتلة.. وعلى الرغم من ذلك فالشيء الوحيد الذي يحيره هو كيف لا يستطيع أحد أن يعلم؟؟.. أو يلاحظ

تورط كارمن بكل عمليات القتل تلك.. هناك شئ ما يزال مجهولاً.. شئ ما لم يكتشفه أحد بعد.

وهنا يتذكر ستيفن كلمات ريفن وشيلي عن كون الن لم يذكر الكثير من الأشياء لكريس.. فيحدث ستيفن نفسه قائلاً:

- نعم الن كذب على كريس في كثير من الأشياء.. لا لم يكذب بل أخفى فقط عن كريس بعض الأشياء.. بعض الأشياء المهمة فقط.. الأشياء التي كانت ستمكنه من قتل كارمن بالفعل.. هذا إن كان يعلم ما أعلمه الآن.. وربما كان ذلك اللعين يخفي بالفعل أمراً ما.. ولكن لماذا؟؟.. لماذا يخفي مثل هذه الأشياء؟؟.. لماذا يكذب؟؟.. هل هو مضطر لذلك؟؟.. هل كارمن تهدده بشئ ما؟؟.. أم أن ذلك القذر اللعين يريد لكل الناس أن تعاني مثله؟

استيقظ ستيفن على صراخ ابنته كاترينا تقول بصوت حاد:

- أجبنني يا أبي لماذا تتهرب من إجابة ذلك السؤال؟؟.. لماذا أخفيت ذلك الأمر عنا؟؟

فرمقها ستيفن بنظرة غاضبة أسكتتها في الحال.. نظرة لم تعتدها منه من قبل.. نظرة جعلتها تبعد عينيها عن مواجهة عينيه على الفور، ولكنها سرعان ما سمعت صوته اليأس يقول في ألم:

- أنا آسف يا كاترينا، ولكن اليوم لن أستطيع السيطرة على أعصابي.. ولن أستطيع القيام بدور ذلك الأب الطيب

الحنون..

فنظرت إليه في حيرة سائلة:

- إذا فماذا ستصبح اليوم؟؟

فقال ستيفن في عنف متجاوزاً السيارة التي تتقدمه في
تهور قائلاً:

- بل سأصبح ذلك الأب الذي سيصلح تلك الأخطاء الشنيعة
والتي والدتك على وشك فعلها..

فنظرت إليه كاترينا وقد ازدادت حيرتها مما جعلها تقول:

- ربما تكون محقا وربما تكون مخطئاً، ولكنك كنت فاقداً
للوعي خلال الثلاثة أيام الماضية، وكان لا بد من أخذ قرار
حاسم بعد تدهور حالة أختي ليز.. بل في الواقع أُمي قد
تكون فعلت شيئاً صحيحاً بإحضارها ذلك المعالج الروحي لـ
ليز فرمما يتمكن من مساعدتها وحل المشكلة بالكامل..

لكن ستيفن لم يجيبها واكتفى بالصمت في حين أكملت
كاترينا في حزن وهي تنظر إلى معالم أبيها اليائسة:

- أبي لقد قرأت كل الورق الذي وضعت في الفندق.. أنا
أعلم أن تلك اللعنة من الصعب التخلص منها..

فقاطعها في صوت جاد:

- بل من المستحيل التخلص منها.. وأضيفي كلمة نهائياً..

لكن كاترينا أكملت في عنادٍ شديد:

- ولكن ذلك الشخص قد يكون على علم بطريقة ما قد
تمكنا من التخلص من تلك اللعنة..

فقاطعها ستيفن في صوت يائس ومتألم:

- أنتِ لا تعلمين..

فصرخت كاترينا في يأس:

- ما الذي لا أعلمه؟؟

فقال ستيفن في سرعة:

- مَنْ الذي أحضر ذلك المعالج الروحي؟؟

فأجابته كاترينا بعد صمت طويل ظنَّ أنه لن ينتهي:

- شخص ما صديق والدتي.. لقد أرادت أن تجعلني أكذب
وأقول لك إنها مَنْ أحضرته، ولكن لماذا تسألني عن هذا
السبب؟؟

فضاقت عينا ستيفن ليقول في ألم واضح:

- هذا ليس صديق والدتك.. أقصد ليس صديق والدتك
بالصورة التي تتخيلينها..

نظرت كاترينا إليه في ريبةٍ ومالت بوجهها إلى الارض قبل
أن تقول في صدمة:

- أنت لست تقصد.. من المستحيل أن تفعل أُمي..

فقاطعها ستيفن في ألم:

- ماذا؟؟.. لم تفعل ماذا؟؟.. لقد كانت على علاقة بهذا الشخص منذ فترة طويلة.. ولن أتعجب إن أردت الدفاع عنها فأنا نفسي حاولت ذلك..

لكن كاترينا قاطعته أيضًا في ألم أخفته جيدًا بين طيّات أنفاسها المتسارعة:

- أليديك أي إثبات على ذلك؟؟

لم يجبها واكتفى بذلك الصمت الذي لازمه طوال سنين حياته في مثل تلك المواقف التي تتسم بالجدية والخطورة مما جعله يقول بنبرة حادة:

- أنا لن أتحدث في مثل هذا الأمر الآن يا كاترينا.. فهناك أمر آخر يشغل عقلي..

فقاطعته بسرعة:

- وما هو الأمر الأكثر أهمية من حياة عائلتنا؟؟.. ما هو الأمر الأكثر أهمية من أمي ومنك؟!

كان تفكير ستيفن قد ذهب إلى مسارٍ آخر مبتعدًا عن ذلك الحديث الذي اشتعل للتو بينه وبين كاترينا.

كان يشعر بذلك الحريق يشتعل بداخل قلبه لسبب ما يجهله.. ذلك الضيق.. ذلك الغضب.. ذلك الألم الذي يتغلغل في روحه.. إنه يعلم جيدًا هذا الشعور لأنه لم يفارقه للحظة في صغره.. وإن كان هناك شخص ما يشعر به الآن فستكون

ليز... وربما... ربما تكون كارمن.. لذا لابد أن يسرع.. ولكن عند سماعه تلك الجملة التي لفظتها كاترينا للتو عن بدء اختفاء الأعراض عن ليز منذ بدأ ذلك المعالج طقوسه عليها بدأ يشعر بشئ ما مريبٍ أثار القلق بصدوره مما جعله يقول في سرعة:

- منذ متى وذلك المعالج الروحي يعالج ليز يا كاترينا؟؟

فنظرت إليه في استغراب وأجابته:

- منذ ثلاثة أيام.. والدتي لم تحتمل الموقفَ بعد أن أخبرها باتريك ومانديل تلك القصة عن ذلك الشخص الذي يدعى كريس، والذي كان يسكن بهذا المنزل قبلنا عندما رأيا تلك الحالة التي وصلت لها ليز.. فاستعانت بذلك الشخص والذي بدوره أحضر ذلك المعالج الروحي... وبناءً على حديث أُمي الليلة الماضية فقد اختفى ذلك الاحمرار الدموي الذي كان يشوب بياض عينيها وقد عاد لون قرنيتهما ليصبح أخضرَ من جديد بعد اختفاء ذلك اللون الأسود الذي كان يشوبه.. ولكن يبدو أن شعرها سيستمر لونه أسودَ إلى الأبد.

فصرخ ستيفن في صدمة:

- أسود!!

فأجابته كاترينا في دهشة:

- نعم

مما جعل ستيفن يبادر بسؤالها:

- هل أصبحت أطراف أصابعها سوداء..؟ أقصد أظافرها وهل أصبحت بشرتها ذابلة شاحبة أو أقرب إلى اللون الأزرق؟

فأجابته كاترينا في دهشة بالغة ظهرت في عينيها المحدثتين
واللتين تكادان تخرجان من محجريهما:

- نعم.. لكن كيف علمت بهذا الأمر؟؟

ولكن ستيفن لم يجبها وعاد إلى الحديث مع نفسه مجددًا
قائلًا:

- ذلك ما حدث مع ابنة الن.. تلك ليست أعراض الشفاء
بل أعراض الاستحواذ الكامل.. تلك اللعينة تتلاعب بهم
منتظرة شيئًا ما..

وفجأة بدأ ستيفن يشعر ببطءٍ كلِّ شئٍ حوله.. تلك
الكلمات التي تخرج من فم ابنته أصبحت غير مفهومة
بالنسبة له، حتى تلك السرعة البالغة التي تنطلق بها سيارته
إلى ريتواسن حيث تسكن عائلته.. بل حيث يجب أن ينقذ
عائلته من ذلك الموت المحتم الذي يحلق حولها الآن، ثم
لاحظ تلك السحب السوداء التي بدأت في التجمع في السماء
بسرعة على عكس ما يحدث معه على الأرض.. عندها سمع
صوتها تهمس في أذنيه.. صوت هادئ يشوبه بعض الإرهاق
والوهن:

- لقد أتيت إلي.. لقد أتيت من أجلي..

مما جعله يقول في غضب:

- ليس من أجلك بل من أجلها.. من أجل ابنتي التي
بحاجة إليّ الآن.. من أجل ابنتي التي ما زلتِ تستنزفين روحها
مثل تلك الأمراض الخبيثة التي بحاجة إلى الاستئصال..

لكنه سمع صوتها المتألم تقول:

- ربما.. ربما أنا كذلك.. ولكن إن استأصلتني الآن ستموت
ابنتك الغالية.. أتعلم لقد أردتُ أن أقول لك إني على وشك
الحصول على إنتقامك من زوجتك اللعينة.. فقط أسرع
بالقدوم إليّ وسترى ما يسرّ عينيك.

انتبه ستيفن لصراخ ابنته كاترينا المفاجئ تقول في خوف
شديد:

- أبي احذر أمامك..

لينظر ستيفن أمامه حيث تلك الشاحنة التي أطلقت
العنانَ لبوقها الذي استمر في إطلاق ذلك الصراخ المستمر بلا
توقف.. ولكن ستيفن استطاع التهرب من الاصطدام في آخر
لحظة، ولكن جانب السيارة من تجاهه لم يستطع النجاة
مثله من الاحتكاك بمقدمة تلك الشاحنة العملاقة.. ليحدث
جرحاً غائراً بتلك السيارة المسكينة.. ولكن ستيفن لم يتوقف
واستمر في دفع سيارته بأقصى قوتها إلى الأمام بلا توقف في
حين صرخت كاترينا به قائلة في صدمة:

- أبي ما الذي حدث لك لقد كدتَ تتسبب في مقتلنا؟؟

لكنه لم يلقِ لكلماتها أي اهتمام، واستمر في التركيز أمامه
ليتفادى أي مفاجآت قادمة وهو يتمم داخله حتي لا تسمعه
ابنته قائلاً:

- أتمنى أن نصل قبل فوات الآوان

في حين قالت كاترينا بصوت لم يخلُ من تأثير تلك الصدمة
التي واجهتها منذ قليل:

- أعتقد أن هناك عاصفة مقبلة أمامنا..

مما جعل ستيفن يتخطف لمحة سريعة إلى تلك السماء
التي تجمعت بها تلك السحب المظلمة قبل أن يعاود النظر
أمامه مجدداً وليقول في صوت يائس:

- نعم عاصفة تدعى.. كارمن..



أسرعت سيلينا تصافح يدَ ذلك المعالج الروحي الذي أوشك على تخليص ابنتها من ذلك الألم الذي استمر ثلاثة أيامٍ منذ قدومه، وخاصة عندما بدأ ذلك الإرهاق ظاهرًا على معالم وجهه المسنّة والتي تُبين أنه في الستين من عمره لتقول له في لطف:

- أنا آسفة جدًا على ما سببته لك من ألم وإرهاق..

لكنه يسحب يده في هدوء ليربت على رأسها في حنان مكملًا:

- إن لم أقم بمثل هذا الدور يا صغيرتي فَمَن سيقوم به..؟
إن لم نتعرض نحن للتعَب وللآلام فَمَن سيتعرض له؟

ثم نظر مجددًا إلى الأرض في حزن وهو يجلس على ذلك الكرسي الوثير قبل أن يكمل بصوت متألم:

- المشكلة أنني لا أستطيع معرفة لماذا يتشبث ذلك الشيطان اللعين بجسد ابنتك بتلك القوة..؟ لقد قلت لي منذ البداية إنها روح فتاةٍ يائسة ولكن ما أراه الآن هو الشيطان بعينه.. لو كان مجرد استحواذٍ من روح عادية لكان باستطاعتي صرفها بدون أي عناء ومنذ بداية المراسم.. ولكن تلك الروح لا تنتمي لآدمي، فَمِن المستحيل أن تظل صامدة طوال هذا الوقت إن لم تكن لشيطان..

ثم تمت بصوت ضعيف:

- إن لم تكن لإبليس بعينه..

لكنه نظر مجدداً إلى عينيها الخائفتين على مصير ابنتها ليبتسم لها في بطء قائلاً:

- ولكن لا تقلقي يا عزيزتي، فاليوم سينتهي أمر تلك اللعنة إلى الأبد.. اليوم سأضع حداً لآلام ابنتك مهما تكلف الأمر.. لذا أظن أنه يجب عليك الاطمئنان عليها قبل بدء المراسم الأخيرة.. مجرد رؤية أخيرة على ذلك الشئ الذي يسكن جسد ابنتك الآن.. لأنه لن يبقى به للأبد..

استجابت سيلينا إلى مطلب المعالج الروحي يشوب في صمت لتصعد تلك الدرجات مع ذلك الألم الناتج من طعنات الخوف داخل قلبها المرتعش، تقترب من غرفة ابنتها ليز والمفتوح بابها بدرجة بسيطة لتنظر إلى داخل الغرفة حيث تجد جاك صديقها ينظر خلال تلك النافذة إلى تلك السحب المتكتلة بالسماء وإلى تلك الرياح التي بدأت تهز الأشجار في عنف منذرةً بعاصفة مؤلمة قادمة في الطريق، ولكنه انتبه إليها عندما دخلت الغرفة في هدوء وبطء وقد بدت على وجهها معالم الحزن البالغ.. كانت تنظر إلى ابنتها في ألم متذكراً كيف بدأ الأمر.. عندما رآها كل من باتريك ومانديل مع ابنتها الصغيرة وقد لاحظا ذلك التحول الذي طرأ على ليز وخاصة مع عينيها وليقُصَّ عليها رواية تلك الملعونة التي كانت السبب في وفاة أسرة بأكملها والتي أخفاها عنها زوجها بدون

سبب.. مما جعلها تنطلق للاتصال بأكثر شخص تعلم أنه لن يتأخر في الاستجابة إليها.. شخص آخر ليس زوجها.. شخص آخر غيّر لها مفاهيم ذلك العالم المتعب الذي اعتادت عليه مع زوجها.. شخص آخر أراها أن العالم له ملمس آخر يدعى حُب فقدّته وسط الطريق في غمار حربها مع زوجها ضد ذلك العالم الذي اضطهدهما منذ بداية الطريق.. وبالفعل لم يتأخر جاك، فقد أحضر في الحال الأب بيشوب.. رجل الدين المعروف والمعالج الروحي الوحيد، والمشهور في بلدته بأنه قد ساعد قبل ذلك في حالتين مماثلتين لـ ليز وإن لم يكن بهما أي تغيرات جسدية مثل تلك التي تتعرض لها ابنتها.. ذلك شئ لم يشهده سوى في الأفلام.

كان ينظر إليها وقد اقتربت من ابنتها في ببطء لتجلس على كرسي قريب من سريرها وقد نظرت إليها في ألم مما جعله يقترب من وراء ظهرها ليربت على كتفها في حنان فمالت برأسها على يده ليشعر بدموعها الساخنة تتساقط على يديه مما جعله يقول محاولاً تهدأتها:

- لقد أخبرني الأب بيشوب أن كل شئ سينتهي اليوم، لذا لا حاجة للبكاء يا عزيزتي..

فقالت في ألم:

- أنا لست أبكي لذلك.. أنا فقط أتذكر أنني لم أكن أمًا جيدة.. لم أكن أمًا جيدة لها ولو ليوم واحد، فمن تحمّل عبئها طوال الوقت كان ستيفن.. أنا لم أرها تذكّر سوى اسم

واحد طوال وقت معالجتكم لها.. ستيفن.. أسمعها تستنجد به.. هذا شئ يجعلني..

فتحركت يد جاك إلى رأسها لتثبتها جيداً قبل أن يميل ليلثمها وليسمعها تكمل في أسف:

- وهل لا بد لكم أن تقيّدوها بتلك الطريقة؟!

فنظر إلى ليز وقد قُيّدت قدمها ويدها بأطراف السرير الخشبية بعناية، مما جعله يقول مسرعاً في نبرة آسفة:

- لقد أخبرني الأب بيشوب أن هذا من أجل مصلحتها حتى لا تؤذي نفسها أو أي شخصٍ حولها..

وما إن أتم جاك كلمته حتى أجهشت بالبكاء مما جعله يلتف حولها ليصبح أمامها فاصلاً بينها وبين ذلك السرير الذي ترقد عليه انتهت ليجثوَ على ركبتيه في بطاء مكماً في حزن:

- لقد اقتربنا من النهاية يا عزيزتي.. أعدك.. بمجرد شفاء ابنتك سوف أعوضك عن كل الآلام التي لحقت بك.. ثم..

لكنها قاطعته قائلة في يأس:

- أنت لا تستطيع أن تفهمني، أنا لم أكن أمّاً جيدة لها في يوم من الأيام..

ثم أخفت وجهها الباكي بين يديها مكملة:

- إن كان هناك شخص ما تحبه ليز وتستمع إليه فهو

ستيفن بلا شك.. أنت لا تعلم مدى قوة العلاقة التي بينهما،
في بعض الأحيان أتخيل ذلك الحب المتوطد بينهما بأنه حُب
مَرَضِي.. حُب.. حُب كان يفترض بي أنا مَنْ أعطيه لها.. إن
حدث لها شئ لن أستطيع مسامحة نفسي يا جاك..

فوضع جاك كلتا يديه على خديها قائلاً:

- أَعِدْكَ أَنهَا ستصبح على ما يرام..

لتقترب رأسه من رأسها في ببطء، ولكن سماعه لضحكاتهما
المكتومة أوقفته.

نظر جاك خلفه في ببطء إلى تلك الفتاة ذات الشعر الأسود
وهي تحاول كتم ضحكها بأقصى ما تستطيع من قوة، ولكنها
تفشل في ذلك فينطلق ضحكها بصورة هيسيرية متردداً بأرجاء
تلك الغرفة الصغيرة التي يمكثون بها مما جعل جاك يقف
على قدميه مبتعداً عنها بسرعة جاذباً معه سيلينا ليجعلها
تقف خلفه في حين نظرت إليهما ليز باشمئزاز لتقول في
سخرية بعد أن تخلصت من ذلك الصوت الضاحك ليستبدل
بصوت قاسٍ ييبث الرهبة بقلبيهما:

- نعم.. بإمكانك أن تَعِدْها بالكثير من الأشياء.. ولكن الشئ
الوحيد الذي لا تستطيع أن تَعِدْها به هو أن تكون ابنتها
على ما يرام.. تلك اللعينة التي تقف خلفك والتي تظن أنك
تستطيع حمايتها من يدي تعلم جيداً أنها أحد الأسباب التي
جعلتني أتمكن من ابنتها..

فنظرت إليها سيلينا في دهشة حيث كانت نظراتها تحمل سؤالاً واحداً: ما الذي تقصدينه؟!

سؤال لم يستطع النطق به لسانها ولكنه كان متجلياً وبشدة في عينيها مما جعل كارمن تكمل ساخرة:

- إن ابنتك تعلم جيداً أنك لم تُحبها يوماً.. كما أعلم أنا أنك كنتِ ستجهضينها لولا تمسك ستيفن بها.. تتعجبين كيف كنتِ قاسية عليها على الرغم من أنك كنت لا تريدينها منذ البداية؟!.. تحزنين أنك لم تريينها ولم تعطها أي شعور بالأمان والحب على الرغم من كراهيتكِ لها منذ صغرها.. كراهيتكِ الواضحة لها لأنها تربطك بشخص ما أصبح مصدر ألم لك على الرغم من أنه كان مصدر سعادتها طوال الوقت.

مما جعل سيلينا تصرخ بها في ألم:

- كيف.. كيف تعلمين بأمر..؟!

فقاطعتها كارمن في صوت غاضب.. صوت ليس بصوتها.. صوت أشبه بصوت ستيفن.. صوت محتقن:

- أيتها الحمقاء هل تعلمين ما الذي تريدين فعله؟؟

فتوقفت كارمن لتنظر إلى سيلينا التي تراجعت في فزع والتي سمعتها تكمل بصوت مشابه لصوتها إن لم يكن صوتها بالفعل:

- نعم أعلم جيداً ما الذي أفعله.. أنا أحاول أن أوفر المزيد

من الوقت.. المزيد من الوقت لابنتي الآخرين.

فقاطعها صوت ستيفن قائلاً:

- أنتِ تمزحين أليس كذلك؟!.. إنها ابنةٌ ثالثة.. لن تقضي على وقتك.. ثم أي وقت أنتِ تقصدينه!!.. أنتِ بالكاد تجلسين مع بناتك.. أنت مشغولة طوال الوقت بأعمال بورصتك وشركتك.. أنت بالكاد تعرفين أن اسميهما كاترينا وجين.. ما الذي يحدث لك بحق الجحيم يا سيلينا؟!.. لقد وعدنا بعضنا البعض بمواجهة كل المشاكل التي ستقابلنا معاً.. ولكن كل ما تفعلينه هو الهروب..

فقالت كارمن بصوت سيلينا مجدداً:

- نعم أنا كذلك.. لقد سئمت تلك الحياة المرهقة التي نعيشها.. سئمت تذكُّرك اللعين لذلك الماضي باستمرار.. سئمت تلك الحرب التي توهم بها نفسك طوال الوقت.. سئمت ذلك المرض النفسي الذي يشوبك.. أنا لن أنجب طفلة أخرى تعاني بيننا يا ستيفن..

فصمتت كارمن لبعض الوقت ناظرة إلى سيلينا بعينين ساخرتين بعد أن تراجعت إلى الخلف في فزع، وقد التصقت بذلك الحائط خلفها بعد أن تملكّت الصدمة من معالم وجهها المحدث بابتها.. بل إلى كارمن تكمل ما كان منسياً ومطويًا في السنوات السابقة بصوت ستيفن:

- إذاً أنا مَنْ سيتبناها.. أنا مَنْ سيتحمل مسؤوليتها بالكامل..

فقاطع الأمر صوت سيلينا المصدوم:

- توقفى.. توقفى..

ولكن كارمن أكملت بلا توقف قائلة بصوت سيلينا
الساخر:

- وهل ستستطيع تحمّل جميع مشاكلها؟! وهل سترعاها
طوال الوقت؟! وهل عندما تحتاجك ستكون بجانبها?!

استمرت سيلينا في الصراخ قائلة:

- توقفى.. توقفى أيتها اللعينة..

ولكن كارمن أكملت بنفس نبرتها بلا اهتمام لصراخها:

- هل ستقوم بكلّ الدورين الأب والأم بالنسبة لها؟!.. أنتَ
بالكاد تعود إلى المنزل يا ستيفن.. عالمي وعالمك لا يتقابلان..
نحن بالكاد نرى بعضنا.. ما حدث بيننا كان مجرد خطأ..
خطأ سأتحمل أنا مسؤولية مَسْجِه لأنك لا تملك الشجاعة
الكافية لمواجهته..

وكادت سيلينا تنطلق لتفتك بكارمن وهي تصرخ قائلة:

- توقفى..

لولا أن يداً أمسكت بها.. لم تكن يد جاك بل يد أخرى
لشخص نظر إليها في إشفاق بعد أن رأى الحالة التي توصلت
إليها، ثم سمعته يقول في حزن بعد أن نظر في جديّة إلى
كارمن التي بادلتها بنظرة أخرى ساخرة:

- يبدو أنني قد جئت في الوقت المناسب..

ثم ترك الأب بيشوب يد سيلينا قبل أن يقول بصوت هادئ:

- والآن أرجو أن تخرجي يا سيدة سيلينا، فنحن على وشك بدء المراسم الأخيرة

لكن سيلينا لم تبرح مكانها واستمرت في التحديق بعينين مصدومتين إلى ذلك الكابوس الذي استيقظ للتو مما جعل الأب بيشوب يربت على كتفها في عطف ليقول بنبرة هادئة:

- عليك الذهاب الآن يا ابنتي فما ستشاهدينه لن يكون جيداً بالنسبة لك..

فتحركت سيلينا بقدمين مرتعشتين وبوجه شاحب إلى خارج الغرفة لتترك الأب بيشوب مواجهًا لكارمن، التي بدأت بإغلاق عينيها مجددًا لتعود إلى حالة السُّبات التي كانت عليها منذ قليل، وليستمر في النظر إليها لفترة قصيرة بجدية تامة، قبل أن يتجه إلى تلك النافذة القريبة منه لينظر إلى تلك السماء التي تكتلت بها السحب منذرَةً بمطر شديد مخفية غروب الشمس الذي اعتاد النظر إليه دائماً في منزله، وسرعان ما قطع ذلك الصمت صوتُ جاك الذي يحاول التخلص من تلك الصدمة التي سيطرت على عقله بسبب ما حدث منذ قليل ليقول:

- أستبدأ الآن أيها الأب بيشوب..؟

لكن الأب بيشوب لم يجبه واستمر في التحديق إلى تلك السماء، وقبل أن يتحرك جاك إليه قال في صوت متحشرج:

- لقد عشتُ حياتي كلها أحاول إصلاح الكثير من الأشياء الفاسدة التي قابلتني على طول ذلك الطريق.. نجحتُ في بعضها وفشلت في أخرى، والآن أنا أحاول أن أصلح شيئاً.. شيئاً..

فقاطعه جاك في سرعة:

- أنا متأكد أنك ستتمكن من مساعدتها أيها الأب بيشوب.. كما تمكنتَ من مساعدة هؤلاء الفتيات اللاتي مررن بمثل ظروفها..

فصمت الأب بيشوب لثوانٍ معدودة قبل أن يتكلم في ألم:

- لا يا بُني.. لم تكن ظروفهن كظروفها.. هذه الفتاة مختلفة.. وهذا شيء لا يمكن إصلاحه بيد بشر..

ثم عاد لينظر في جدية إلى ليز النائمة مكملًا:

- الآن لم يعد لديّ سوى طريقة واحدة لإنقاذها..

اتَّجه الأب بيشوب إلى كرسي خشبي بالقرب من باب الغرفة كان يضع عليه حقيبته السوداء الصغيرة.. ليفتحها في هدوء مُخرِجًا منها كتابًا ذا غلافٍ أسودَ لم يكن عليه أي كلمات أو أي علامات.. غلافٍ أسود خالٍ من أي تعبيرات.. لينظر إليه الأب بيشوب في قلق قبل أن يقول في ألم:

- لقد عاهدت نفسي ألا أستخدمك مرة أخرى.. لكنني لن أشاهد أي فتاة أخرى تُعذَّب بعد حفيدي.. ربما أقسمت لنفسي ألا أستخدمك ولكنني أقسمت للرب ألا أترك أي روحٍ معذبة أراها دون مساعدة.. في النهاية أنا مجرد خادم للرب..

ثم اتجه بنظره إلى جاك ليكمل بصوت جاد:

- أنت أخبرتني أنها أرسلت ابنتها الأخرى إلى أحد جيرانها
أليس كذلك؟؟

فأجابه جاك بسرعة:

- نعم.. هذا ما حدث..

فقاطعه الأب بيشوب قائلاً:

- جيد.. جيد جداً.. الآن لم يتبق سوى شئ واحد سأخبرك
بفعله بدون نقاش.. ما أنا على وشك قراءته الآن لن يعذب
فقط تلك الروح الخبيثة، بل سيعذب معها.. أشياء أخرى
من الممكن أن تعرّض حياتنا للخطر.

مما جعل جاك يقول بصوت قلق:

- أشياء آخر..!!

لكن الأب بيشوب أكمل بجدية غير مبالي لكلمات جاك:

- إن حدث أي شئ مريب في هذه الغرفة لا تدّعي البطولة..
وتتظر مواجهة ذلك الشئ الذي أنا على وشك إخراجه من
هذه الفتاة بل عليك الهروب.. خُذ السيدة سيلينا واهرب

من ذلك البيت بأقصى سرعة لديك..

ثم اقترب الأب بيشوب من ليز في ببطء ليفتح ذلك الكتاب الأسود الذي معه فتحت عينيها اللتين حدّقتا به في صمت.. عينا سوداوان لا ينبعث منهما سوى الموت التام.. ولربما ما شهدته لم يكن سوى الموت.. لكل مَنْ اقترب منها، وكل مَنْ حاول يومًا الهروب منها.



كان ستيفن ينطلق بأقصى سرعته خلال تلك الشوارع الضيقة لمدينة ريتواسن ليعود إلى بيته حيث يجب عليه إنقاذ ابنته ليز، في حين كانت شيلي تصرخ في رجاء في الهاتف المحمول قائلة له:

- أرجوك يا ستيفن ما تفعله خطأ بكل المقاييس.. لقد تمكنتُ كارمن من ابنتك بالفعل.. لم يعد لأفعالك أي نتيجة الآن.. لا بد أن تتركها..

فصرخ ستيفن في الهاتف مقاطعًا:

- هل تريدني أن أهرب وأتركها.. ؟

فصرخت شيلي قائلة في رجاء:

- أنا لم أقل ذلك.. كل ما أطلبه منك أن تدع الأمر لنا.. لأن أي شيء ستفعله الآن سيزيد الطين بلة.. كل شيء.. كل ما حدث من قبل.. كل ما رأيته وعرفته.. سيجعلك تأخذ قرارًا

واحدًا الآن.. وهو أن تبتعد عنها.. تبتعد عنها بأقصى قوتك.. أنت تعلم أنه لم يعد هناك سوى شئ واحد الآن.. إمّا أن تتقبل كارمن كابنتك وهذا سيضع الكثير من الأبرياء على حافة الموت أو أن تقتلها.. وأنت لن تفعل أيًا من الخيارين.. وهذا سيضعنا أمام خيار آخر أن تقتلك كارمن، ثم ستجعل ابنتك تقتل نفسها لتضم فردين جديدين إلى طاقمها من تلك الأرواح التائهة في وادي الظلال..

فضغط ستيفن بقدمه على موضع الفرامل في ببطء لتتوقف سيارته تدريجيًا حتى سُلت عن الحركة تمامًا، ثم نظر أمامه إلى ذلك الطريق المظلم والذي يشوبه نور ضعيف من أعمدة الإنارة المنتشرة على طول الطريق قبل أن يميل برأسه للأسفل وهو يسمع شيلي تكمل:

- ستيفن أرجوك أنا كل ما أطلبه منك هو أن تنتظرنى..

فنظر ستيفن إلى ابنته كاترينا التي قالت في صوت ضعيف:

- ربما عليك أن تفعل ما يخبرونك به..

ولكن عينيها المتألمتين وتلك الدموع التي ظهرت بهما كانا يخبرانه بألا يفعل ذلك.. فيتأمل معالم وجهها المنكسرة والتي تذكّره بـ ليز عندما بكّت في اليوم الذي سافر فيه وعندما ترجّته أن يأخذها معه.. كل تلك الآلام التي عانتها خلال الأيام السابقة كانت بسبب تركه لها ولكن.. حتى ولو كان بجانبها كانت كارمن ستتمكن منها أيضًا.. إذًا لماذا يشعر

أنه مخطئ بشئ ما في حق ابنته؟!.. لا.. إنه يعلم أنه لم يكن مخطئًا يومًا في حقها، ولكن القرار الذي سيتخذه اليوم هو ما سيحدد ذلك.. فيراجع في نفسه أيهما أهم الآن..؟ عقله يستجمع الكثير من الذكريات.. المؤلم منها والسعيد أيضًا.. يتذكر.. ويجمع.. في حين ابنته كاترينا تقول بصوت واهن:

- أبي ما الذي ستفعله؟؟

لكنه لا يستطيع سماعها.. فعقله مشغول بمراجعة الكثير من الذكريات والآلام.. فيسمع صوت شيلي تقول في ألم:

- أنا أعلم أن هذا صعب عليك، ولكن لا بد من ذلك حتى لا يتورط في الأمر الكثير من الأبرياء..

فتتردد في عقله تلك الكلمة اللعينة.. الأبرياء.. فيردها بداخله:

- أبرياء.. نعم أبرياء.. كل الأبناء في هذا العالم أبرياء.. أبناء مانديل وباتريك.. أبناء أصدقائي أو مَنْ كانوا أصدقائي يومًا.. كل الأشخاص في هذا العالم أبرياء.. ولكنها ابنتي.. التضحية بابنتي في مقابل الكثير.. الكثير من الأبناء!!

وهنا وضع أمامه كل شئ، فالأمر لا يتعلق بما يمر به فقط بل بما مرَّ به كارمن من حياة تعيسة قد أوصلتها لتصبح هذا الوحش الكاسر.. هذا الشيطان الذي لا يهتم بحياة أي شخص.. لقد كانت في يوم من الأيام شخصًا.. لا بل طفلة بريئة.. وبسبب هذا المجتمع الفاسد الذي عاشته.. بل

بسبب خطأ بسيط بين أبيها وأُمها اللذين كانا غير مستعدين لمواجهة ذلك المجتمع القاسي واجهت هي كل الآلام التي وُجِدَت أمامها بعد ذلك، وبعد كل هذا يقولون له إنه لا بد أن يفعل هذا حتى لا يتورط أحد من الأبرياء، إذًا لماذا لم يفكر أحد في براءتها من قبل؟

يرى تلك الرعدة التي تسري في يده والتي لاحظتها كاترينا كذلك، فأشاح بها بعيدًا عن ناظرها وهو يسمع شيلي تكمل:

- كل ما عليك هو أن تنتظرنا حتى نأتي إليك..

لكن ستيفن قال في صوت جاف:

- اصمتي..

مما جعل شيلي تقول في صدمة:

- ماذا..!؟

فصرخ ستيفن في الهاتف المحمول:

- اصمتي عليك اللعنة.. لم أَعُد أريد سماع صوتكِ.. لم أَعُد أريد أن أسمع هراءكم بعد الآن.

كانت الصدمة قد سيطرت على شيلي مما جعل ريفن يمسك بالهاتف ليقول في صوت هادئ محاولًا امتصاص ذلك الغضب الذي بزغ من قلب ستيفن للتو:

- سيد ستيفن أنا أعلم بالآلام وبالغضب المتصاعد من قلبك الآن.. لأن ما عليك فعله صعب على أي أبٍ فعله.. لكن

عليك أن تسمعني جيدًا..

لكن ستيفن صرخ فيه قائلاً:

- بل عليك أنت أن تسمعني.. لقد عشتُ طوال حياتي
أستمع إلى أمثالك.. أستمع إلى نصائحهم.. أستمع إلى هرائهم..
عشتُ طوال حياتي أتجنب المشاكل ولكنها كانت تأتيني
طوال الوقت.. عشتُ طوال حياتي أحتمل سخرية العديد من
الناس لأشياء تافهة على الرغم من أنني كنت أرقى منهم
في التفكير على الإطلاق.. عشتُ طوال حياتي بلا عائلة، لذا
سعيت جاهداً لتكوين عائلة خاصة بي.. ولن أتخلي عنها
مهما حييت.. ليس من أجلك وليس من أجلها.. وليس من
أجل ذلك العالم القذر الخاص بك..

- لن تستطيع هزيمتها.. لن تستطيع الصمود أمامها..
ليس بـ ريتواسن.. ليس بمدينتها يا ستيفن..

- ماذا..؟!

قالها ستيفن في صدمة بدت واضحة وبشدة على نبرات
صوته المرتعشة حين أكمل:

- ما الذي تقصده..؟!

- ريتواسن هي المدينة التي انتقلت إليها كارمن قبل أن
تتوفى..

- لا أهتم..

- بل يجب أن تهتم.. لن تستطيع هزيمتها.. ليس هناك..
وليس ومنزلها يقع خلف منزلك تمامًا.. لن تستطيع الصمود
أمامها لوقت طويل وسينهار عقلك سريعًا.. أرجوك يا
ستيفن.. نهايتك محتومة إذا قمت بمواجهتها.. سوف تموت إن
قمت بالتصدي لها وحيدًا..

لم يأخذ ستيفن وقتًا طويلًا في الاختيار.. لم يأخذ وقتًا طويلًا
في الإجابة.. فلقد كان يعلم منذ البداية النهاية التي تسعى
لها كارمن حين أخبره في صوت يفيض بالغضب والألم في آنٍ
واحد:

- إذاً فلاكُن ذلك الأحمق الذي يموت محاولًا استعادة
ابنته..

وقبل أن يستمع ستيفن لدفاع ريفن كان قد ألقى بهاتفه
من السيارة.. ثم تحرك منطلقًا وبسرعة بعد أن أعاد تشغيل
سيارته مرة أخرى.

كانت كاترينا تنظر إلى أبيها الذي كان يتنفس في سرعة
ملحوظة محاولًا إخراج تلك النيران التي التحمت للتو في
صدره.. محاولًا كبح جماح غضبه.. تنظر إليه بعينين دامعتين
تريد أن تقول له شيئًا ما، ولكنها لا تستطيع التعبير عنه،
فلقد أراها خلال الأيام السابقة وجهًا لم يُره لأحد من قبل،
وقبل أن تتكلم وجدته يقول في غضب:

- لم يكن المفترض بي أن أترك أختك من الأساس.. لكنني

كنت أخشى عليها أن تتعرض معي لأي حادث، ولذلك تركتها في البيت مع أختك.. لكن لو كنت أعلم للحظة أن كل ذلك سيحدث لها لكنت أخذتها معي بعيداً عن كل هذا العالم.. ربما لم أكن لأستطيع أن أخفيها بهذا عن كارمن ولكن على الأقل.. كنت..

لم يستطع ستيفن أن يكمل كلماته بسبب ذلك الشعور القاتل بالندم داخل صدره.. وانهمرت الدموع من عينيه بلا توقف.. ولكن على الرغم من ذلك لم تختفِ معالم الغضب من ملامح وجهه.. والتي ازدادت عندما تردد في قلبه ذلك الأمل في إنقاذها.. أمل بسيط ولكنه كافٍ.. كافٍ لأي أبٍ مثله مستعد لمبادلة ذلك العالم من أجل ابنته الصغيرة.. ابنته ليز.



كانت تتألم بشدة وتلتوي يميناً ويساراً من تلك الكلمات التي يقرؤها الأب بيشوب باللغة الآرامية والتي يعود زمنها إلى القِدَم الشديد.. إنه يعلم أن ما يقرؤه خطر على حياته.. ويعلم أنه خطر على حياة مَنْ حوله.. ولكن بالنسبة له فقد كانت الطريقة الوحيدة لإنقاذ تلك الفتاة المسكينة المقيّدة أمامه.. كان يعلم أن الألم الذي تبثه تلك الكلمات بجسدها لا يطاق ولكنها الطريقة الوحيدة لتطهيرها من ذلك الشيطان الذي يسكن بداخلها.

نور الغرفة بدأ يضعف.. أثاثها بدأ في الارتعاش والأنين!!.. على جانبه بدأ الخوف والفرع يتمكنان من جاك الذي بدأت

عيناه تشهدان شيئاً كان بالنسبة له خيالاً ولا يمكن حدوثه سوى في الأفلام أو الأحلام.. فعقله لا يتقبل مثل تلك الأشياء، على عكس الأب بيشوب الذي وقف بكل حزم وجدية غير مبالٍ لما يحدث حوله مقلِّباً الصفحة تلو الأخرى بدون أن يتوقف عن القراءة.. يشعر بأنفسه تصبح ثقيلة، ويسمع تلك الأصوات تتلاعب بأذنه تأمره بأن يتوقف ولكنه يستمر.. وسرعان ما ينتهي الأمر بتوقف الفتاة فجأة عن الحركة.. فيتوقف عن القراءة أيضاً، ويقترّب منها في ببطء وهو يسمع جاك يقول في خوف:

- هل تم الأمر؟؟.. هل انتهى كل شئ الآن؟؟

لكن الأب بيشوب لم يتكلم.. وبمجرد أن أصبح على بعد خطوتين منها.. سمع ضحكها المكتوم، ولكنها لم تستطع كتمه لفترة طويلة فسرعان ما أصبحت تضحك بصورة هستيرية مرة أخرى وبدون توقف ليتردد صدى ضحكاتها في أرجاء المنزل كله هذه المرة.

لتنظر إلى الأب بيشوب في سخرية، في حين بدأ الآخر في التراجع إلى الخلف ناظراً إليها في فزع، ثم سرعان ما نظر إلى جاك الذي نظر إليه في فزع مشابه فصرخ فيه قائلاً:

- ما الذي تنتظره؟؟.. اهرب أيها الأحمق..

لكنهما سمعاها تقول في سخرية:

- نعم اهرب.. فهذا سيعطيني الكثير من المتعة في

فانطلق جاك خارج الغرفة بأقصى سرعة لديه تاركاً الأب يشوب ليواجه ذلك الشيطان الذي استيقظ للتو، والذي استمر في قراءة ذلك الكتاب الذي بين يديه على أمل أن يستطيع إيقاف ذلك الوحش قبل فوات الآوان، لكنه لاحظ تلك الأيدي التي تنشر عبر حوائط الغرفة كأنها ظلال لوحوش غير مرئية تنطلق إلى كارمن التي كانت تنظر إليه في سخرية، مما جعله يتوقف عن القراءة، ولتتابع تلك الظلال التي حررتها من قيدها، ولينظر إليهم وهم يسندونها لترتفع للأعلى كالأموات الذين يعودون للحياة.

بدأ الأب يشوب يتراجع للخلف في خوف وفزع بعد أن وقع ذلك الكتاب من بين يديه من هول ما يحدث حوله.. ولكنه انتبه إلى الباب خلفه وقد أغلقَ بأيدي لظلال أخرى لم يلاحظها.. ليشعر بتلك الرعدة التي تسري بجسده.

كان يعلم بأن ما بداخل تلك الفتاة يفوق قوته، ولكنه فضّل أن يواجه الموت وهو ينقذها على أن يشاهد فتاة أخرى تعاني من نفس النهاية التي عانتها حفيدته.. إذاً لماذا يشعر بذلك الخوف يشقّ صدره؟؟.. التفت الأب يشوب مرة أخرى إلى كارمن وقد وقفت تنظر إليه في ازدراء.. هناك شئ ما يريد فعله ولكنه لا يعرف ما هو.. عقله يؤكد بأن هناك فرصة أخيرة للنجاة ولكن تأثير الصدمة عليه يمنعه من التفكير بشكل جيد.. يمنعه من رؤية تلك الفرصة.. يراها

تقف فوق ذلك السرير وتقترب منه فتتحرك يداه تلقائياً إلى جيب معطفه مُخرجاً ذلك الصليبَ الفضي الصغير والذي لطالما آمَن منذ صغره أنه يحميه من أي مخاطرَ مهما كانت قوتها ومهما كانت شدتها.. ولكنها لا تبالي لذلك، بل تضع يدها اليمنى على ذلك الصليب لتخفيه عن ناظرها وعن ناظره.. تطلق شفاته تلك الكلمات التي اعتاد ترديدها في وقت الضيق والشدة.. والألم (باسمه الذي يتمجد في السماوات والأرض..) لكن لسانه يفقد القدرة على الحركة عندما تقع عيناه في مواجهة عينيها السوداوين والتي انغمز بياضهما بلون دموي ضارٍ قبل أن ينسدل شعرها الأسود عليهما.

إنه يعلم الآن فقط أن مواجهته لها منذ البداية كانت خطأ فادحاً، فتلك الشيطانة قد سلبته كل خطوط دفاعه وأصبح تحت رحمتها الآن بالكامل، وإن كان فُمه استمر في النطق بكلمة (باسمه...)

مما جعلها تقول في سخرية:

- ماذا؟ ألا تستطيع أن تتذكر اسمَه؟!

ثم مالت بيديه للأسفل.. حيث فقد القدرة على الإحساس بهما بعد أن تحركت يداها إلى وجنتيه.. لتصبح مواجهة لوجهه تماماً.. ليصبح في متناول يدها الآن.. ليشعر بذلك الضعف ينتشر عبر كل جسده مصحوباً بآلام تفوق تخيله.. ليعلم أن نهايته قد اقتربت.

لكن ملامحه الجادة كانت على نقيض ما بداخل قلبه
من خوف وفزع.. صوته الحازم وهو يقول:

- مَنْ أَنْتِ أَيْتِهَا اللَّعِينَةُ؟؟

كان يدل على أنه لا يخشاها.

لكن هذا لم يؤثر في كارمن التي قالت في صوت قاسٍ ترددَّ
صداه في أرجاء الغرفة:

- جحيم..

ثم انتقلت يدا كارمن اليمنى لتترك وجه الأب بيשוב
الذي فقد القدرة على التحكم بجسده إلى صدره وهي تكمل:

- جحيم يدعى كارمن..

وما إن تمت كلمتها حتى شعر بآلام شديدة بداخل صدره
ناتجة عن تمزق أعضائه الداخلية.. ليثيق تلك الدماء من
فمه.. ويشعر بأنه يغيب عن الوعي.. ويشعر بنبضات قلبه
المتباطئة.. ويشعر بأنه على وشك الموت.. ولكن على الرغم
من ذلك بدرت تلك الابتسامة على شفتيه وهو يقول بصوت
ساخر:

- لكنني على علمٍ بجحيم واحد.. جحيم سيخلد فيه
أمثالك إلى الأبد..

ثم أصدر تلك الصرخة الأخيرة وتوقَّف بعدها عن الكلام...
ليس لأن كارمن منعتة عن ذلك بل بسبب تفجر قلبه

بداخل صدره.. ثم تركته يسقط على الأرض.. متابعة جسده بل فمه فقط وقد بدأت تخرج منه ظلال تلك الأيدي غير المرئية.. ظلال حمراء متشعبة بدمائه.. ظلال تسندها لتنزل من على السرير وهي تسبح في الهواء بعد أن انطفأ ضوء مصباح الغرفة ليعم الظلام التام ولتنطلق باحثة عن هدفها التاليين... جاك وسيلينا.



كانت سيلينا في طريقها إلى الأعلى عندما سمعت تلك الضحكات التي تردّد صداها في جميع أرجاء المنزل، وبعد أن رأت تلك التحركات الغريبة لأثاث المنزل بالإضافة لتلك الأصوات المبهمة والتي تتردد باستمرار داخل أذنيها بلا توقف، لكنها فوجئت بخروج جاك من الغرفة بوجه شاحب كأنه شاهد الشيطان للتو.. ورأته يمسك بيدها ويجذبها في سرعة وهي تصرخ في قلق قائلة:

- جاك ما الذي يحدث؟؟

لكنه لم يجبها.. وهبطا مسرعين وهو يجذبها في قوة متجهين إلى باب المنزل والذي حاول فتحه بكل ما أوتي من قوة، ولكنه كان موصداً بإحكام.. وسرعان ما تراجع للخلف جاذباً سيلينا وراءه.. عندما رأى تلك الظلال التي بدأت تنتشر على ذلك الباب ل تمنعه من الاقتراب منه.. وسرعان ما سمع كلاهما صرخة الأب بيشوب الأخيرة والتي لم يمض بعدها وقت طويل قبل أن يريا كارمن تنظر إليها وهي تنزل درجات

السلم المؤدي للدور الثاني في بطاء قائلة في سخرية:

- لقد احتملتُ هراءكم هذا لمدة ثلاثة أيام.. ثلاثة أيام منتظرة تلك اللحظة.. تلك اللحظة التي يأتي فيها إلى المنزل ليراني قد حققت انتقامه الذي لا يستطيع أن يأخذه بيديه..

وما إن لمست قدماها تلك الأرضية الخشبية للدور الأرضي حتي بدأ جاك يلاحظ أن الضوء الصادر من مصابيح المنزل قد بدأ يضعف بقوة... ثم بدأت في الانطفاء واحدا تلو الآخر إلى أن تَبقى ضوء واحد.. ضوء ذلك المصباح الذي يعلو كليهما.. ضوء غرفة المعيشة الذي يعطيها تلك الحماية والذي يبعدهما عن مخالب تلك الوحوش التي بدأت تظهر عيونها المضيئة بذلك الضوء الأبيض في الظلام... يقوم بإرجاع سيلينا خلفه أملاً في حدوث معجزة لإنقاذهما، ولكنه فوجئ بها تقول في سخرية:

- أتعلم.. لقد كنتُ أنوي التخلص منكم معاً وفي وقت واحد.. ولكن لماذا أحظى بكل المتعة وحدي؟؟

وأشارت كارمن في هدوء إلى جاك.. ليرى تلك الظلال المتخذة شكل أيدٍ بمخالبٍ حادةٍ تنطلق إليه في سرعة دون أن تعطيه فرصة ليقاوم.. لتلتف حوله ولتقيد جسده بالكامل.. ثم تسحبه من قدميه ليقع على ظهره بقوة وليُسحب بعدها في بطاء إلى المطبخ حيث الظلام الدامس، حيث انهالت عليه تلك الوحوش بدون رحمة لتمزقه إلى أشلاء.. ربما لم تستطع سيلينا أن ترى ذلك ولكن صوت صراخه وصوت تمزق أطرافه

عن جسده كان كافيًا لتبين ما حدث له ولتبقى وحدها مواجهة لها.

كان الضوء الذي يعلوها بدأ يضعف حتى أصبح خافتًا.. كآمالها التي تقلصت للتو تجاه النجاة.. كتأكدتها أنها ميتة لا محالة.. كرؤيتها التي بدأت تضعف على الرغم من أنها شاهدت تلك السكين بكل وضوح بيد كارمن والتي ظهر من العدم.. فأغمضت عينيها حتى لا تتألم كثيرًا.



كان من المفترض بها تموت الآن.. كان من المفترض بها أن تتألم.. كان من المفترض أن يحدث شيء سيئ لها مثل ما حدث لـ جاك.. لولا سماعها لصوت تحطم باب المنزل الخشبي ليسقط في قوة مشتعلًا بنيران متوهجة إثر ذلك البنزين الذي ألقاه ستيفن عليه وإضرامه النار به.. ولولا رؤيتها له يلقي بنفسه بداخل المنزل ملقيًا بشعلات الإنقاذ التي توهجت بضوء أحمر قوي في كل مكان بالمنزل.. لتراجع تلك الوحوش في سرعة.. وبمجرد رؤيته لكارمن.. اتجه بأقصى سرعة لديه ليقفز تجاهها ليسقطا معا بعيدًا عن سيلينا التي توقفت في مكانها تنظر إلى كل ما يحدث في صدمة.. ليدور برأسها سؤال واحد.. أذلك الشخص الذي يقوم بمثل هذه الأفعال.. زوجها؟!!

فوجئت سيلينا بصراخ ستيفن الذي يقيد كارمن أسفله بعد أن أمسك بكلتا يديها والتي تصرخ في عنف تأمره بأن

يطلق سراحها، وتطلب منه أن يتوقف ويتركها تأخذ في ذلك الانتقام الذي يعجز عن أخذه بنفسه، ولكن ستيفن صرخ طالبًا بأن يأخذ سيلينا ويُخرجها من المنزل.. فتنظر إلى الشخص الذي يتحدث إليه ولكنها قبل أن تتبين ملامحه كان قد أحاطها بغطاء ثقيل ضامًا إياها إليه بأذرع غليظة وبإحكام، ليجذبها باتريك بعدها في قوة وليمروا بسرعة فوق ذلك الباب المشتعل.. مُخرجًا إياها من ذلك البيت الذي اشتعل به ذلك الجحيم الأسود للتو.

سرعان ما اندفع ستيفن بقوة للخلف بعيدًا عن كارمن، ولم يكن هذا بإرادته.. بل بسبب تلك الظلال التي دافعت عن سيدتها والتي تخشى أن يصيبها أي سوءٍ منه.. ولكن هذا أصبح لا يهم فسرعان ما بدأت النيران تسري في جميع أنحاء المنزل وبالأخص في مقدمة المنزل حيث المخرج والنجاة له ولها.. ولكن هذا لم يهمه حيث جرى مجددًا تجاهها ليمسك بكتفيها وليهزها في عنف ناظرًا إليها في غضب شديد، ولكنها رفعت يديها في بطاء لتضعها على وجهه في حنان قائلة في ضعف:

- لقد أتيت.. لقد أتيت من أجلي..

لكن ستيفن قال في عنف:

- ليس من أجلك.. بل من أجلها..

وبدأ برفع شعرها الأسود عن ذلك الوجه الذابل والذي

جف لونه مكرراً

- من أجلها..

فنظرت إليه في ألم وقد أبعدت يده عنها ببطء وقاطعته
قائلة:

- ستيفن.. ليز لم تعد موجودة..

فصرخ ستيفن في غضب:

- لا.. إنها موجودة وأنتِ ستعيدينها إليّ مجدداً..

فقالت في استغراب:

- لماذا؟؟.. بل السؤال الأصح وما الذي سيضطرني لفعل
ذلك؟؟.. ما الذي سيجبرني على فعل ذلك؟!

وسرعان ما كان يوجّه ستيفن تلك السكين الصغيرة التي
أخرجها من جيب معطفه للتو إلى عنقها.. إلى عنق كارمن
روحياً.. إلى عنق ابنته جسدياً... قائلاً في ألم وضعف:

- لأنني سأقتلك.. سأقتلك حتى ولو تكلف هذا حياة
ابنتي..

فنظرت إليه في هدوء بدون تأثير لتلك الكلمات التي
لفظها للتو.. نظرت إلى عينيه الجادتين واللتين تؤكدان نيته
في فعل ذلك، ولكن على الرغم من كل هذا قالت في سخرية:

- لا.. لن تفعل..

واقتربت من وجهه في هدوء غير مبالية لتلك السكين
الضاغطة على عنقها لتهمس في أذنه اليمنى قائلة:
- لأسباب عديدة..

فدفعها ستيفن إلى الحائط القريب منهما، ثم ضغط بنصل
السكين في عنف على رقبتها قائلاً في غضب:
- اعطيني سبباً واحداً يمنعني عن ذلك..

رأها تضحك بشدة مما جعله ينظر إليها في ذهول... رأها
تُبعد السكين في بطء بأصابعها الصغيرة الواثقة بأن تهديده
لها لا يشكل أي خطر... رأها تبتعد عنه خطوتين بعد أن
تخطته بدون أن يفعل لها أي شئ لتنظر إلى ذلك الباب الذي
اشتعلت به النيران، والذي ذكَّرها بمشهد مماثل وربما بمشاهد
مماثلة لتوليه ظهرها قائلة في صوت جافٍ ومحتقن:

- لا تحاول أن تصبح مثلهم يا ستيفن... لا تحاول أن تكون
شخصاً من المستحيل أن تكونه يوماً... بالإضافة إلى ذلك أنت
شخص مجب لأبنائك... شخص لا يستطيع أن يسبب لهم
أي جرح حتى ولو خدش بسيط... بالإضافة إلى ذلك أنت لا
تستطيع قتلي... لا يوجد شئ يستطيع قتلي حتى ولو كان
السلاح المستخدم هو السلاح الذي استخدمته في القضاء على
عائلتي بالكامل.. وهذا بالإضافة إلى..

واستدارت كارمن إليه مكملة:

- لو قتلتنى... فروح ابنتك ستعلق بهذا المكان للأبد.. أنت

تعرف هذا المكان..

كان ستيفن يتابع كلامها وهي تحوُّم حوله مثل أفعى سامة تستعد للانقضاض على فريستها إلى أن استقرت أمامه مرةً أخرى مكملة:

- هذا المكان الذي تتحول فيه تلك الأرواح البريئة إلى وحوش..

ثم ضحكت في سخرية وهي ترفع يده التي تمسك بتلك السكين الصغيرة إلى عنقها مجددًا مكملة:

- هذا بالإضافة إلى..

وبسرعة البرق غرزت كارمن تلك السكين في عنقها وحرَّكته في سرعة لتشقّه في قوة لتقتل نفسها ولتأخذ ليز معها.. ليسقط ذلك الجسد الذي كان لابنته يومًا بين يديه وهو ينزف بشدة وليصرخ ستيفن بأقصى قوته:

- لا... لا... لا... لا...

واضعًا كلتا يديه على ذلك الشق في عنقها محاولًا إيقاف ذلك النزيف... محاولًا إنقاذ جسد ابنته... لتنهمر تلك الدموع من عينيه بقوة وبلا توقف.. لقد قتلت تلك اللعينة ابنته.. وليصرخ ستيفن طالبًا المساعدة ولكن بلا جدوى... حتى يسمع صوتها مجددًا تقول في جدية:

- إذاً أليس هذا ما كنت ستفعله..؟

كانت كارمن تقف أمامه في هدوء لينظر إليها بعينين محدقتين تكادان أن تخرجا من محجريهما من فرط الصدمة، ولينظر مجدداً إلى ما بين يديه حيث تلاشت تلك الجثة التي تلقاها منذ قليل ولتختفي تلك الدماء التي تناثرت على ملابسه ويديه... لقد كان ذلك وهماً أوقعته به... وهماً يؤكد عدم قدرته على أذاها... وهماً جعلها تقول في ثقة:

- أتعلم أن بإمكانني أن أجعلك تعيش هذا الكابوس مراراً وتكراراً بدون توقف؟.. أتعلم أن بإمكانني أن أجعلك تشاهد ابنتك تموت بأكثر من طريقة...؟ وأن بإمكانني أن أقتلك وأقتلها؟ وسيكون بمقدري أن أريك هذا الكابوس بدون توقف.. حتى لو توفيت سيكون بإمكانني تعذيب روحك..

لكنها رآته يتقدم إليها زاحفاً على ركبتيه ليقول في ألم:

- لكنكِ سترجعينها إلي..

فصرخت كارمن في غضب رافعة يديها وهي تحركهما في عنف بدون توقف:

- لماذا؟.. لماذا أفعل ذلك؟؟.. لماذا لا تستطيع أن ترى؟؟.. إنني مَنْ أَسْتَحَقُّك.. إنني فعلت كل هذا حتى أجد شخصاً مثلك.. إنني سأحقق لك كل رغباتك.. وإنك معي ستمتلك كل ما تمنيتَه يوماً.. لماذا لا تستطيع أن ترى أنني سوف أكون ابنةً مُحِبَّة ومطيعه أكثر من أي ابنة أنجبَتها أو أي ابنة ستنجبها في حياتك.. إنني..

واقتربت كارمن في هدوء منه خاصة بعد أن أرخى ستيفن يديه ليبعد عنها تلك السكين، وليقوم بإخفاها بعيداً عن جسدها حيث قامت بلف ذراعيها حول رقبتة مكمله في ألم:

- الابنة الوحيدة التي تستحقك..

فقال في ضعف وألم:

- لكنني لا أستطيع... أنا لن أتخلي عن ابنتي مهما حييت..

فأبعدت يديها عنه في غضب، ثم رفعت تلك السكين التي بيده اليمنى إلى عنقها في غضب، وقالت في ألم بعد أن ظهرت تلك الدموع في عينيها:

- إذاً اذكر لي سبباً واحداً يمنعني من قتلها وقتلك الآن..

فوجدت ستيفن يبعد يده والتي تحمل ذلك السكين بعيداً عنها ليلقيها جانباً، ثم أحاط وجهها بحنان بيديه المرتعشتين ورأته يقترب من رأسها في بطء ليقوم بتقبيلها في شفيتها.. تلك القُبلة البسيطة والتي تحمل كل المعاني الأبوية.. تلك القُبلة البسيطة التي ذكّرتها بمثلتها والتي حظيت بها من والدها قبل أن يتأسف لها قائلاً

((أنا آسف يا عزيزتي..))

قُبلة تحمل كل الألم، وفي نفس الوقت تحمل كل الحب الذي يستطيع حمله قلبُ أبٍ لفتاته الصغيرة.

تلك القُبلة البسيطة التي أيقظت فتاةً صغيرة من نومها

للتو وأرتها طريق العودة إلى جسدها... تلك القُبلة الصغيرة التي كانت بمثابة الضوء الذي أهدى طفلته الصغيرة الطريقَ إلى جسدها مجددًا، لتبدأ كارمن في الشعور بذلك الضعف يغزو جسدها مجددًا... لتبدأ في الترنح لولا أن ستيفن قام بإمساكها من كتفيها لتنظر إليه كارمن تلك النظرة الأخيرة قبل أن تغيب عن الوعي... تلك النظرة التي تحمل معنى غريبًا لم يفهمه، كما لم يفهم تلك الابتسامة التي ظهرت على شفيتها قبل أن تفقد الوعي تمامًا... لتقع بين يديه مجددًا وليلتقطها مثلما فعل في المرة السابقة، ولكن هذه المرة لم تكن وهما بل كانت غائبة عن الوعي بالفعل.

يحمل ستيفن جسدَ ابنته بين يديه في أم، وتلك الدموع تنهمر كأنهار ليست لها نهاية من عينيه غير مبالٍ لذلك الحريق الذي نشب في المنزل بأكمله... غير مبالٍ بأن حياته قد تكون في خطر... غير مبالٍ لأي شئ سوى بابنته التي حملها بين ذراعيه... منتظرًا رجوعها إليه.

يلمح يديه اللتين جف لونهما لتصبحا شاحبتين مائلتين إلى اللون الأزرق... يلمح أطراف أنامله وخاصة أظافره التي أصبحت حالكة الظلام.

يلمح وجهه وقد تغير لون شعره إلى اللون الأسود... وقد تغير لون قرنية عينيه من اللون البني إلى اللون الأسود، وقد تغير بياض عينيه إلى اللون الأحمر الدموي... لقد أصبح مثل الن سلوف في نهاية الأمر عندما نظر إلى نفسه خلال قطع

المِراة التي تحطمت على الأرض إثر اقتحامه المنزلَ بالقرب منه... لقد خسر في النهاية مثله... لقد أصبح ذلك الفاشل في نهاية الأمر مثلما توقَّع والده، ولكن ها هو يسمع صوتها تعود إلى الحياة مجددًا وإنْ كان يخشى أن يكون ما يراه وهمًا عندما يرى تلك الفتاة الصغيرة تفتح عينيها وتناديه:

- أبي هل هذا أنت؟؟

فينعقد لسأئه ولا يستطيع الكلام.. لأنه لا يريد أن يتحقق إذا ما كان ما يراه حقيقةً أم خيالاً

يده تقترب من وجهها في ببطء.. ليمسحه في عطف، لتقوم هي بعد ذلك بالضغط برأسها على يده لتشعر بدفئها كما تفعل دومًا.. إنها ابنته.. وربما تكون وهماً من صنْع كارمن له، ولكن قلبه لا يريد تصديق هذا.. إنها ابنته.. ذلك كل ما استطاع عقله تقبله.. إنه لا يهتم إذا كانت وهماً أو حقيقة ولكن ذلك الشعور الذي بداخل قلبه كافٍ ليتأكد بأنها ابنته.. خاصة عندما يسمع صوتها تقول:

- أبي ما الذي حدث لك؟؟

لكنه لم يجبها، بل استمر في النظر إليها في ألم.. استمر في النظر إليها على الرغم من تشوُّش الرؤية لدى عينيه الباكيتين والمتساقطة دموعهما على وجهها.

يسمعهما تقول في ألم:

- لماذا أشعر بهذا الضعف؟؟

لكنه لا يجيبها ويستمر في النظر إليها في صمت ليراها
تقلّب النظر حولها في بطاء وليسمعها تقول:

- لماذا أرى النيران منتشرة في المنزل؟؟... ما الذي يحدث يا أبي؟؟

لكنه يلتزم الصمت... وقد لفت انتباهه نصل تلك السكين
الصغيرة التي ألقاها جانباً منذ قليل، والذي بدأ يضئ ويزداد
وهج ضوئه الأزرق السماوي... فيميل ليلتقطه في صمت، ثم
يقف على قدميه حاملاً ابنته بين ذراعيه... ويتجه إلى ذلك
الباب المشتعل بلا شعور بأي خوف بداخل صدره ليقول لها
في هدوء:

- لا تقلقي يا عزيزتي... كل شيء سيصبح على ما يرام..

وقبل أن يهتم بالخروج سمع صوت تكسرٍ لشيء زجاجي
أسفل قدميه فيرى تلك الصورة التي تحطّم إطارها عندما
ينظر أسفله، ويرى ذلك الاحتراق الذي أصابها.. إنها الصورة
الخاصة بعائلته.. الصورة التي تشمل زوجته وبناته ولكن
بسبب النيران احترق ذلك الجزء الذي يشمله هو وابنته
ليز... لكنه لا يهتم لذلك ويستمر في القول:

- كل شيء سيصبح على ما يرام يا صغيرتي..



كان يقترب من ذلك المنزل الخشبي بعد أن قاربت
الشمس على الغروب.. منزل يحتضن من قبل قطعة كبيرة
من الحشائش الخضراء.. منزل قريب من تلك الغابة الكبيرة

والتي فضّلت مالكته أن يكون ذا طرازٍ قديم مثل ذلك المكان الذي نشأت فيه منذ صغرها.. منزل صغير داخل قرية صغيرة لا يهتم الكثيرون لأمرها.. والخروج منها يعد انجازاً وحُلماً صعبَ المنال.. مدينة صغيرة تدعى كريتوس.. تلك هي المدينة التي نشأ فيها كُلٌّ من ستيفن وسيلينا وها هما يعودان إليها مجدداً بعد احتراق منزلهما.. وذلك المنزل الصغير لم يكن سوى منزل والدته ستيفن التي أخبرها أنه قادم إليها هو وعائلته والتي رحبت بذلك الأمر بحرارة شديدة، فهي لم ترَ أصغرَ أبنائها منذ فترة طويلة.. مجرد خمس عشرة سنة.. مجرد سنوات.. فترة كافية لتجعل تلك العجوز بالكاد ستذكر شكل ابنها ذي العينين البُنيتين والشعرِ الأصفر والبشرة البيضاء.. والذي اعتبرته أجملَ أبنائها على الإطلاق.. ولكن تلك الصورة تغيرت.. تلك الرغبة العارمة في رؤية ولدها تحولت إلى نفور شديد عندما أتاها بشكله الجديد.. بهيئته الجديدة.. لقد خافت منه عندما رأيته.. فزعت وصرخت.. تراجعت للخلف كأنها رأت الشيطانَ للتو، وابتعدت عن طريقه وهو يدخل المنزل حاملاً ابنته ليز بين ذراعيه وممسكاً بيده اليمنى تلك الحقيبةَ الحمراء، والتي لم تفارقه في تلك الأيام الماضية غير مبالٍ لما يحدث لوالدته، إنما انطلق إلى ذلك السلم ليصعد إلى الدور الثاني من المنزل.. ليضع ابنته في أقرب غرفة تواجهه وعلى أقرب سرير تقع عليه عيناه.. ثم يقوم بتسليح تلك الغرفة بكل أدوات الإضاءة الممكنة.

ينهمكُ في إحاطة ابنته بكل الكشافات التي استطاع

الوصول إليها ليُجعل ابنته مثل تلك التحف الفنية والتي تعرض في المتاحف في أجمل صورة، ومحاطة بأقوى أنواع الكشافات والتي تُصدر أقوى الأضواء.. ثم ينتهي من العمل.. لتصبح الغرفة مزودةً بأقوى إضاءة استطاع الوصول إليها بالفعل.

يقف بعد ذلك على قدميه، لينظر إلى ابنته تلك النظرة الأخيرة.. لينظر إلى تلك الجثة والتي لا يميزها عن الأموات سوى صوت تنفُّسها وحركة صدرها للأعلى والأسفل أثناء تنفُّسها.. ليتذكر ابنة الن، وليتذكر ما قاله له الن بأنه لن يستطيع إيقاف تلك اللعينة مهما حاول.. مهما قاوم

يشعر ستيفن بتلك الدموع الحارة وهي تنساب على وجنتيه، فيسرع بالخروج من تلك الغرفة المضاءة بالنور الأبيض القوي والذي يحمل كل آماله في حماية أعز شئ على قلبه.. لينزل ستيفن السلم في هدوء متجهًا إلى غرفة المعيشة التي تجلس فيها حاليًا والدته مع عائلته.. وربما ما تبقى من عائلته.. فيمر على تلك المدفأة والتي وضع بها بعد الحطب وأُضرمت بها النيران هربًا من برد الليل وشدة قسوته في الشتاء

تجذبه تلك النظارة السوداء والتي يبدو أن هناك مَنْ يهتم بها فمسحها باستمرار مانعًا تراكم التراب عليها.. فالتقطها في هدوء، وبجانبها يلاحظ تلك الصورة التي قلبها أحدهم على وجهها، فيلتقطها ليعدها ليرى تلك الصورة التي التقطها لهم والده المتوفي عندما كانوا في تلك الرحلة الساحلية.

كانوا في غاية السعادة.. كان يعتقد أن تلك السعادة ستدوم للأبد مثل ما يحدث في تلك القصص الخرافية.. كان لا يستطيع أن يرى ذلك الإعصار القادم للإطاحة بتلك السعادة بعيداً.. للأبد.

كان يلاحظ أن إطار الصورة نظيف مثل تلك النظارة، مما جعله يتأكد أن هناك مَنْ يمسح نظارة أبيه الراحل وكذلك تلك الصورة باستمرار.. وأن هناك مَنْ قلبها ليتأكد أنه لن يراها.. يضع تلك النظارة على عينيه ليجد أنها تناسبه تماماً.. فيشتد غضبه عندما يتذكر تلك الكلمات التي قالها له أبوه بأنه سيصبح مثله في النهاية.

ينطلق إلى باب المنزل ماراً بغرفة المعيشة بدون أن يتوقف حيث شاهدته والدته والتي نادى عليه ليأتي إليها، لكنه لا يفعل ويستمر في المشي حتى يصبح خارج المنزل.. حيث ينطلق خلال ذلك الهواء البارد بلا تراجع.. ولكنه يسمع صراخ والدته التي خرجت وراءه لتنادي عليه مما جعله يتوقف وليلتفت إليها قائلاً:

- ماذا؟؟... ما الذي تريدينه مني؟؟

فأجابته في صوت واهن:

- لا بد أن نتحدث..

فقال في غضب:

- في ماذا..؟؟

فقال بصوت متألم:

- لماذا لا تأتي للداخل؟؟

فنظر إليها ستيفن في ضيق خلال نظارته السوداء، ثم استجاب إلى مطلبها وعاد إلى الداخل مرة أخرى ليجلس في بطاء على أحد تلك الكراسي الوثيرة في غرفة المعيشة مع سيلينا ومع ابنتيه كاترينا وجين، وليرى أمّه تنضم إليه لاحقًا وليعم بعدها الهدوء لفترة.. ذلك الهدوء الذي يسبق العاصفة.

كانوا يتبادلون النظرات منتظرين مَنْ سيبدأ الحديث.. إلى أن ظهرت تلك الابتسامة الساخرة على شفّتي ستيفن مما جعل والدته تقول في صوت هادئ:

- هل أنت على ما يرام؟؟

لكنه نظر إليها في سخرية ليقول في صوت متألم:

- هل تريدان بالفعل مناقشة هذا الأمر الآن..؟

فنظرت إليه في دهشة لتقول:

- إن كل ما أريد فعله هو..

فقاطعها ستيفن في صوت ساخر:

- مساعدتي.. أليس كذلك!؟

لم تستطع سارة التحدث، واكتفت بالصمت عندما رآته يقف مجددًا ليذهب إلى تلك النافذة هو يقول في ألم:

- أنا أعلم أنك تريدني مساعدتي ولكن بماذا؟!

نظر ستيفن إلى تلك الرياح التي بدأت تهزّ أشجار الغابة القريبة في عنف ليكمل في ألم:

- كلكم تريدون مساعدتي... وأنا على علمٍ بذلك، ولكن لا يستطيع أحد ذلك... لماذا؟؟... لأن الأمر بكل اختصار هو أن ابنتي مستحوذٌ عليها من قِبَل شيطانة... شيطانة قامت بقتل جميع عائلتها.. وهذا قبل مماتها... وها هي الآن تعود لتكمل ما كانت تريده يومًا، والذي بسببه توفيّ العديد من الأبرياء والعائلات... لأن الأمر بكل اختصار هو أن ابنتي مستحوذٌ عليها من قِبَل شيطانة تفتك بروحها تدريجيًا إلى أن تتمكن من جسدها بالكامل، وعندما يحدث هذا... سيعود الجحيم إلى الارض متّخذًا شكل فتاةٍ صغيرةٍ تمتلك قوى شيطانيةً خيالية، ولا يستطيع أحد تحديد مدى كِبَر وحجم تلك القوة... لأن الأمر بكل اختصار هو أنني سأفقد ابنتي ليز قريبًا... ومعها سأفقد جميع عائلتي..

ثم فوجئ الجميع بصراخ ستيفن:

- لأن تلك الشيطانة والتي تُدعى كارمن ستقتلكم جميعًا بمجرد أن تتمكن من جسدها..

ثم عاد الصمت لفترة قصيرة قبل أن يعود ستيفن للضحك ولكن بصورة هيسيرية ليقول بسخرية شديدة:

- هذا الأمر لا يستحقّ عناء الحديث بقدر ما يستحقه

أمرٌ آخر، أريد أن أعرف تفسيره وبشدة.. لماذا تحتفظين بصورة عائلتنا؟!.. والتي تضمه معنا..؟ لا.. دعيني أعيد صياغة السؤال مرة أخرى..

تحولت نبرة صوت ستيفن إلى الجدية التامة وهو يكمل:

- أريد أن أعرف لماذا تحتفظين بنظارته السوداء معك؟!

ثم التفتَ إليها وهو يكمل في غضب:

- دعيني أذكرك ما حدث، لعل تلك الصدمات التي تعرضتُ لها قد أحدثت خلا ما بذاكرتي، لأنني بدأت في نسيان أشياء كثيرة هذه الايام..

واقترب ستيفن منها مكملًا في ألم:

- عائلة سعيدة.. أبٌ وأُمٌّ وأبناء.. تكتشف الأم يومًا ما أن الأب يخونها مع امرأةٍ أخرى.. وهنا تبدأ الحرب عندما ترفض الزوجة أن تغفر لزوجها فعلته وليس هذا فقط.. بل وتقوم بخيائته لتذيقه من نفس الكأس التي عانت منها.. لتصبح حربًا لم يعانِ أحدٌ من خسائرها سوى الأبناء، ولم يتجرع آلامها سوى الأبناء أيضًا.. وانتهى الأمر بتفريق الزوجين، وتزوَّجت الأم من شخص جديد لتبدأ حياة جديدة، ولكن الأب لم يستطع تحمل كل تلك اللكمات الموجهة إلى عقله فيسقط في عالم الجنون لأنه لم يستطع تحمل فراقها عنه، وبالتدريج يبدأ الأبناء في النفور منه تاركينه وحيدًا وبادئين حياتهم الخاصة.. ولكنهم لم يستطيعوا أن يتخلصوا من لعنته.. لذا كان هناك

حل واحد بعد أن تخلت الأم عن مساعدتهم... لا لقد نسيتهم الأم تمامًا.. لذا لم يعد هناك أي أمل في النجاة سوى بالهرب من تلك البلدة تمامًا.. ولكن على الرغم من ذلك لقد حاولت.. لقد حاولت أن أعيد مَّ شمل تلك الأسرة مجددًا بزواجي من سيلينا محاولًا تذكيركم بأننا ما نزال موجودين، ولكن لم يستطع أحد منكم رؤيتنا.. لقد هربت منكم، ولكن ها هو القدر يعيدني إلى حيث بدأت مجددًا.. بدون أن أعلم تفسير ذلك ولا أريد أن أعرف.. لكنني أريد أن أعرف تفسير ذلك الأمر.. لماذا تحتفظين بأغراضه حتى الآن؟!

لكن سارة لم تستطع أن تتحدث، واكتفت بالصمت.. اكتفت بتلك الدموع المتساقطة على وجنتيها مما جعل سيلينا تقول:

- ستيفن والدتك تقصد..

فقاطعها ستيفن صارخًا في غضب:

- لا تفعلي ذلك... أنتِ بالذات لا تفعلي ذلك..

وهنا لاحظ الجميع تذبذب ضوء مصباح الغرفة، ولاحظوا أن ضوءه بدأ يضعف.. كان الجميع يتوقع ظهور كارمن في هذه اللحظة إلا هو، لم يشعر بأي وجود لها على الإطلاق.. وإن كان قد بدأ يشعر بتلك الظلال التي تسري على الحوائط والتي لا تستطيع عائلته رؤيتها، والتي تنتظر أمرًا بالفتك بهم ولكنه على الرغم من ذلك لم يشعر بها.

استيقظ ستيفن على صوت والدته تقول في ألم:

- ألهذا لم تحضر جنازته..؟

وهنا ظهرت فائدة النظارة السوداء التي أخفت نظراتِ ستيفن القاتلة لوالدته والذي تخيّل لو أرداها قتيلاً في الحال، ولكنه اكتفى بالصمت واتجه إلى الباب حيث بدأ ضوء مصباح الغرفة يعود إلى طبيعته ليوليههم ظهره وقبل أن يهَمَّ بالخروج من الغرفة قال في صوت جاف:

- ألم تسألني نفسك من قبل مَنْ نثرَ عليه زهور التوليب الحمراء بتلك الطريقة؟.. بل والأهم من ذلك أنه لا توجد زهور توليب تنمو في هذا التوقيت من العام...!!

وهنا استولت الصدمة على عقل سارة التي قالت في صوت متحشرج ومصدوم:

- إنه أنت.. لقد كان أنت مَنْ فعل ذلك.. ولكن لماذا...؟!!

لكن ستيفن لم ينتظر سماع باقي حديثها، وانطلق في سرعة إلى باب المنزل ليخرج منه مجدداً غير مبالي لنداء والدته العالي منطلقاً بعيداً عنها حيث أحاطت به تلك الرياح الباردة القاسية والتي رافقته إلى ذلك الظلام الدامس والذي تغلغل خلاله بلا خوف.



انطلق يتسلق ذلك الطريق الوعر الطويل والذي طالما كان يسبّب له الإرهاق في صغره وخاصة عندما يكون مقصده يقع فوق تلة كبيرة تطل على كافة المدينة، ولكنه سرعان ما

وصل إليه.

ذلك المنزل القديم والمشابه لبيته تمامًا، والقريب من منزل والدته، وعلى الرغم من قَدَمه إلا أن نظرتَه له ليست بنظرة شخص متأمل لمنزل متهاالك غطته الأتربة حتى كاد أن يصبح جزءًا من تلك الغابة العجوز والتي توشك على الاحتضار بسبب الغزو العمراني لها، بل كانت نظرة شخصٍ حاقِدٍ عائد إلى منزل حفرت ملامحه بداخله.. إنه يعرف تفاصيل المنزل بَعْرِفه وحوائطه، مهما تقدم به الزمن.

ينظر إليه في ألم بعد أن تنهد في يأس، ثم يغمض عينيه مسترجعًا ذكرياتِ حياته.. آلام الطفولة، جحيم فترة مراهقته، يدرك أنه لن يستعيد تلك الذكريات كاملة بدون محفّز.. بدون أن يتعمق بداخل أحشاء الماضي الساكن أمامه.. يقولون إنه لا يستطيع أحد التهرب من ماضيه، وإن فعل فإنه يلاحقه.. يطارده.. وأخيرًا يدمره.. لم يؤمن كثيرًا بذلك الهراء، واعتقد أن أمامه فرصة.. فرصة ضئيلة في نسيان ما حدث، ولكن ذلك الجحيم الأسود والذي يُدعى كارمن أيقظ ذلك الماضي مجددًا.

لا يستطيع نسيانَ ما حدث.. لا يستطيع نسيان ذلك الطفل الصغير الباكي بداخله حين واجهته كارمن بالبداية، أول مواجهة واقعية بينه وبينها بذلك الحفل اللعين.. لا يستطيع نسيان حديثه له لاحقًا.. لا يستطيع نسيان ما قاله له:

- لماذا أتيتَ إلى هنا مجددًا؟!.. لماذا أتيت؟؟

- لقد نسيت.. لقد نسيت.. لماذا أتيت بعد نسيانك لكل شيء؟؟

- لماذا نسيت؟؟.. كيف نسيت وعدنا؟؟.. كيف نسيت ألمانا؟؟.. كيف أتيت إلى هنا بدون أن تتذكر ما حدث لنا؟؟
- كيف لك أن تعيش بدون أن تتذكر؟؟

- كيف تستطيع الحياة مع نسيان ما حدث لك؟؟

- كيف استطعت أن تغفر له؟؟.. بل كيف لك أن تغفر له ما فعله؟؟

تلك الآلام التي شعر بها.. ذلك الموت الذي شعر به.. ذلك الكابوس والذي ما يزال يشعر بتأثيره على قلبه المنقبض حتى الآن يجبره على فتح عينيه في بطاء، ليجدها تقف أمامه في صمت بذلك الفستان الأسود البالي لها والذي ظهر واضحًا أسفل ضوء القمر، تنظر إليه في هدوء خلال ذلك الشعر الأسود المنسدل على وجهها.

كان كلاهما ينظر إلى الآخر في صمت قبل أن يبدأ ستيفن في التحرك خلال تلك الرياح الباردة إلى المنزل في بطاء، ليقترب من بابه حيث رافقته كارمن في صمت لتجده يخرج ذلك المفتاح الصديء من جيبه والذي طالما احتفظ به لسبب ما يجهله على الرغم من أنه حاول التخلص منه آلاف المرات ولكنه يعود في نهاية المطاف إلى جيبه مجددًا.

فتح ستيفن ذلك الباب في بطاء ليدخله في هدوء على

الرغم من التردد البادي على ملامح وجهه، كأنه يفعل أمرًا من الصعب عليه تحمله.. ولكن ها هو يدخله مصطحبًا كارمن والتي مشت وراءه بلا تردد لتجده مطابقًا لمنزله تمامًا مع اختلافات بسيطة، ولكنها شعرت بشئ ما مريب بداخل ذلك المنزل.. شئ كان من المستحيل أن يحدث لها.. شئ كان صادمًا بالنسبة لها وقد بدأ يزداد شعورها به عندما بدأت ترى تلك الهلاوس غير الواضحة المعالم تتلاعب بعينيها خلال ذلك الظلام الدامس الذي انتشر في جميع أنحاء المنزل بالكامل.. كان الأمر في البداية يكاد يكون مستحيلًا، إلى أن بدأت الأوهام في الوضوح شيئًا فشيئًا وخاصة عندما أصبح ستيفن قريبًا منها.. كانت تسمع بكل وضوح ذلك الصراخ بين والده ووالدته ولكنها رأت ذلك الطفل ذا العشر سنوات والذي يقف خلف باب المطبخ يشاهدهما في صمت.. وسرعان ما اختفت تلك الأوهام لتحل رؤية جديدة ووهْم جديد تراه بوضوح لذلك الطفل الذي يجلس في صمت على درجات السلم بالقرب من الطابق الثاني للمنزل وهو يلقي بتلك الكرة المطاطية إلى ذلك الحائط الذي بجانبه لترتد إليه مرة أخرى، في حين علا صراخ الأب الذي يحاول أن يقنع سارة بأنه لن يكرر فعلته تلك مرة أخرى، ولكن الزوجة تأبى السماع له.. كان صوت ذلك الشجار يزداد علوًا عندما وقعت تلك الكرة من يده وتدرجت على درجات السلم، وكلما هبطت درجة من درجات ذلك السلم ازداد علو صوت الزوجين مسببًا آلامًا لا تنتهي بأذنيها جعلتها تتمنى أن ينتهي

ذلك الشجار بأي طريقة، ولكن الصوت يختفي فجأة عندما تقترب الكُرة من السقوط على الأرض ليلتقطها ستيفن قبل أن تلمس تلك الأرضية الخشبية.. فتظهر تلك الابتسامة الساخرة على شفثيه وهو يعتصرها بين أصابعه قبل أن يتركها تسقط من يديه إلى الأرض مرة أخرى.

تراه يصعد ذلك السلم إلى الطابق الثاني من المنزل خلال الظلام الدامس، والذي لا يتغلغله سوى ذلك الضوء الضعيف للقمر والذي استطاع التسرب خلال زجاج نوافذه التي تراكمت عليها الأتربة.. لا يبدو عليه أي خوف أو قلق.. فقط الضيق والنفور هو ما يظهر على وجهه.. فقط الكراهية والحقده هو ما يظهر على وجهه أثناء مشيه خلال ذلك الممر الواسع الذي ينتهي بغرفةٍ بابها ليس مغلقاً، لتستطيع أن ترى جيداً ضوء القمر المتسرب خلال تلك الفتحة الصغيرة لبابها غير الموصد، يتوقف ستيفن عندما أمسك بمقبض بابها قليلاً ليأخذ نَفَسًا عميقًا قبل أن يدفعه في بطاء ناظرًا إلى محتواها في صمت.. لترافقه إلى داخلها، لتشعر بذلك الألم الذي يعتريها.. لتشعر بذلك الحزن الذي يخيم بداخلها.

سرعان ما تسمع ذلك الصراخ يتصاعد مرة أخرى، ولكن هذه المرة بطريقة مزعجة حيث يبدو أن الشكوك قد بدأت تتلاعب في رأس بلاي بأن زوجته على علاقة بشخص ما.. فتقترب من الباب حيث ترى ذلك الضوء الذي بدأ بالبزوغ منه ولترى ذلك الشجار العنيف بين الأب والأم، ولكنها سرعان

ما تلمح ذلك الظل الساكن بالقرب من ذلك السرير.. ذلك الطفل الجالس الذي وضع يديه حول قدميه اللتين ضمهما إلى صدره في خوف.. مختفيًا في الظلام في ذلك الركن الضيق بجانب ذلك السرير المستقر أسفل نافذة متوسطة المساحة، ينبعث منها كَمٌّ لا بأس به من ضوء القمر.. كل ما يفعله هو أنه يضرب مؤخرة رأسه بالحائط الذي يستند عليه.. لكنه سرعان ما تبخر عندما استقرت عيناه الدامعتان عليها مصطحبًا معه ذلك الصراخ ليُغمّ الصمت مرة أخرى، ولتري ستيفن وقد مال بجسده أسفل ذلك السرير القديم البالي ليُخرج ذلك الصندوق المعدني الصغير، وليجلس جاثيًا على ركبتيه وهو يفتحه بابتسامة غامضة قد اعتلت شفتيه!!

اقتربت منه كارمن في ببطء لتري تلك الأوراق الملطخة بالألوان الخشبية، عندما فتح ستيفن ذلك الصندوق ليُخرج تلك الرسومات ولينشرها في ببطء أمامه ولتقترب منها كارمن لتري تلك الرسومات والتي يبدو أنها تقصّ رواية مرسومة بخطوط ركيكة وبطريقة سيئة لفتتْ أعاني من مشكلة ما في عائلته، فيتضرع إلى السماء راجيًا تحقيق أمنية له.. راجيًا ألا تخذله وأن تساعد.

تنظر إلى باقي الأوراق في اهتمام بعد أن عرفت أن تلك الأمنية هو أن يتمكن من الطيران وأن يتمكن من العيش بعيدًا عن تلك العائلة التي سيطر عليها الجنون مؤخرًا.. وسرعان ما تجد ذلك الطفل الذي ظهر مجددًا يسحب من أمامها إحدى

الأوراق بعد أن فتح تلك النافذة التي تسربت منها تلك الرياح الباردة للغرفة لتتطاير الرسومات في كل مكان، ولتراه يقف على ذلك السرير وهو يضم تلك الرسمة إلى صدره قبل أن يمزقها إلى قطع صغيرة، ولينثرها مع ذلك النسيم البارد الذي حمل تلك القطع الممزقة بعيداً، ولكن ذلك الفتى استمر في متابعة تلك القطع إلى أن تبخرت من أمام عينيها بالكامل، ولتجد أن ستيفن نفسه قد اختفى أيضاً لكنها تجد تلك النافذة مفتوحة، والرسومات قد تبعثرت في كل مكان بالفعل في إثر تلك الرياح الثائرة بالخارج، مما جعلها تقف على ذلك السرير وتقترب من تلك النافذة المفتوحة في ببطء لتقع أسفل ضوء القمر الأبيض الذي حدقت به لوهلة قبل أن تسمع صوت أقدام على السطح بالقرب منها مما جعلها تطل من النافذة لترى ستيفن يمشي على ذلك السطح في هدوء.

كادت أن تخرج من تلك النافذة لولا أنها رأت ذلك الطفل يعبر خلالها مما جعلها تتراجع إلى الخلف في قلق، لكنها سرعان ما سيطرت على أعصابها لتنتقل خلفه ولتخرج من تلك النافذة، ولتلاحظ أنه قد ازداد طولاً ليبدو أنه أصبح في الرابعة عشرة من عمره، كانت تراه يمشي في هدوء على ذلك السطح الوعر والذي لو تعثر به ووقع فستكون نهايته بالتأكيد، كانت تسمع صوت ذلك الصراخ لأبويه مجدداً نتيجة لشجار آخر خلفها، لكنها لم تلق له أي اهتمام وتابعت طريقها خلف ذلك الطفل الذي اقترب من نهاية السطح حيث يوجد ذلك السلم والذي استخدمه في النزول

مرة أخرى، ليصبح في الفناء الخلفي الذي يطل على الغابة مباشرة، فتابعته وهو يستمر في التحرك بلا خوف إلى داخل ذلك العالم المظلم، وقبل أن يختفي عن ناظريها كانت كارمن قد ألقت بنفسها في الهواء لتهبط في هدوء وبطء على تلك الأرض الرطبة التي غُطيت بأوراق الأشجار الصفراء الذابلة لتلحق به ولتراه يجري باستمرار، وسرعته تزداد مع الوقت حتى فقدته تمامًا.

لتصبح وحيدةً في تلك الغابة.. لتتذكر ذلك الشعور بالخوف يحيط بها لأول مرة، مثل أول مرة زارت فيها تلك الغابة القريبة من منزلهم.. لتتساقط من عينيها تلك الدموع.. لتتذكر تلك الوحدة التي عانت منها وتلك الآلام التي اعتصرت قلبها يومًا.. لكنها سرعان ما تسمع خطواته قريبةً منها.. لتجد ستيفن يقترب ويقف بالقرب منها، لكنه لم يكن ينظر إليها بل كان ينظر للأعلى إلى شيء ما يتواجد بين أغصان تلك الشجرة العالية الساكنة أمامها، فرفعت رأسها لتجد ذلك البيت الخشبي والمكوّن من غرفة واحدة صغيرة يقف بداخلها ذلك الطفل، ينظر عاليًا إلى السماء متأملًا تلك النجوم منتظرًا شيئًا ما.. إنه ينتظر فقط.

سرعان ما تراجعت كارمن للخلف وقد رفعت ذراعيها عاليًا لتغطي وتحمي عينيها من شدة وقوة ضوء تلك النيران التي اشتعلت فجأةً بذلك المنزل.. ولكن عندما حدقت به مجددًا كان ذلك الطفل قد اختفى.. كانت ترى تلك النيران

التي انتشرت في الشجرة بأكملها، وسرعان ما رأت شخصاً في الخامسة عشرة من العمر يعبر خلالها ويقفز عاليًا ملقيًا بإحدى تلك الزجاجات الممتلئة بالبازين على تلك الشجرة وهو يلعنها ويسبها، بل ويسب الغابة بأكملها، وعندما نال منه التعب ألقي بنفسه على الأرض ليستند بإحدى تلك الأشجار وهو يشاهد تلك الشجرة تشتعل في صمت بعينين دامعتين بعد أن أرققه الصراخ.. بعد أن أرققه الهروب من قدره المحتوم.

وسرعان ما اختفت تلك الأوهام مجددًا لتجد نفسها أمام بقايا حطام شجرة ولكنها لم تجده بجانبها، حيث تركها ستيفن مجددًا، ولكنها كانت تعلم أين هو هذه المرة.. وسرعان ما تحركت مبتعدة عن تلك الغابة المظلمة التي بالكاد يستطيع ضوء القمر التسلل إليها عبر ما تبقى من فتحات بين أوراق أشجارها المتشابكة الأغصان التي تجعل من الصعب الرؤية بداخلها في هذا التوقيت من الليل، ولكن ليس بالنسبة له وبالتأكيد ليس بالنسبة لها.

سرعان ما تجد ذلك البيت أمامها مرة أخرى، ولكنها لا تدخله وتفضّل المشي بجانبه حتى تصبح أمامه، لتعود من حيث أتت مجددًا ولكنها لا تهتم لذلك وتنظر بعينيها بحثًا عنها.. بحثًا عن تلك الشجرة التي رأتها عبر عيني ستيفن أو التي جعلها ستيفن تراها كما جعلها ترى تلك الذكريات له بذلك المنزل المشؤوم وبذلك الغابة الملعونة.. وسرعان ما

تجدها بالفعل تقع على مسافة ليست ببعيدة عن ذلك المنزل.. منزل أبيه.

لكنها رأت ذلك الطفل ذا الثمانية أعوام وهو يلعب بتلك الأرجوحة المعلقة بها والتي أخذت في الصعود والهبوط.. متمايلًا بها ومحاولًا خلالها أن يصعد إلى تلك السماء.. ربما لأنه تخيل أنها الطريقة الوحيدة للاقترب من تلك النجوم بعيدة المنال.. لكنه اختفى بمجرد أن التفت ووقعت عيناه عليها مثل باقي الأوهام المختزنة بذاكرات ستيفن، وعلى الرغم من ذلك لقد استمرت تلك الأرجوحة في التمايل صعودًا وهبوطًا، ولكنها لم تجد ستيفن بالقرب منها مما جعلها تقترب في حذر وبطء حتى أصبحت بجانب تلك الأرجوحة التي أمسكتها في هدوء مانعة إياه من التحرك مُمِنة النظر إلى تلك الحبال القديمة والبالية التي ربطت بها، لكنها لاحظت شيئًا آخر أثار اهتمامها.. تلك الحروف التي حُفرت بجزع الشجرة مشكّلة جملة بسيطة استطاعت قراءتها:

((أنا لن أنسى أبدًا..... i will never forget))

وقبل أن تلمس بيدها تلك الحروف سمعت صوته من الناحية الأخرى من جانب الشجرة يقول في ألم:

- أنا لن أنسى يومًا ماذا كنتُ؟؟ وماذا أصبحتُ؟؟... أنا لن أنسى يومًا أن حياتي ملكٌ لي وليست ملكًا لأحد غيري... أنا لن أنسى يومًا كيف عانيتُ لكي أستطيع أن أواصل التحرك للأمام بدون أن أنظر خلفي... أنا لن أنسى يومًا كيف كانت

بدايتي حتى أستطيع أن أغير نهايتي... أنا لن أنسى يومًا ألا
أسامح مَنْ سيحاول أن يطاءً بقدميه على أحلامي... لن أنسى
يا كارمن..

كانت كارمن قد التفتت إلى ذلك الجانب من الشجرة
والمطلَّ على القمر حيث رآته ينظر إليه في هدوء، ولكنه لم
يُطل ذلك حيث سرعان ما التفت إليها ليقول في ألم:
- لن أنسى.. يا كارمن..

تبادل كلاهما النظرات لبضع ثوانٍ.. لم يَسُدَّ بينهما سوى
الصمت لبضع لحظات قبل أن تراه يلتفت مجددًا إلى ذلك
القمر الذي تكاثلت أمامه السحب.. سمعته يتنهد في ألم
مطلقًا ذلك الهواء الساخن بداخل صدره المحترق.. مبددًا
يأسه في أنفاسه المتباطئة بعد أن أنهى تصفحه لذلك الماضي
اللعين له.

يعلم أنه كان لا بد من ذلك.. ويعلم أنه كان لا مفر من
ذلك.. لقد رأت من الذكريات ما يوضح قضيته.. لقد رأت ما
أراد به أن يخبرها أنه عالمٌ بألمها.. لقد جعلها ترى اليأس
والألم والظلام الساكن بقلبه.. لقد جعلها ترى كل شئ تقريبًا..
لقد جعلها ترى كل ما بداخل قلبه المحترق بالألم، ولم يردعها
عن التعمق به.. لم يقاومها ولم يعترض.

لقد أراد أن يُريها أنه قد عانى.. ليس مثلها بالطبع.. ولكنه
عانى..

عاني من عائلة متفرقة مشتتة.. عاني من كابوس لا ينتهي..
عاني من جحيم ما يزال يُحكَم سيطرته على عقله.

استمر الصمت بينهما لدقائقٍ معدودةٍ مرت كسنين طويلة
لا حصر لها..

استمر الصمت حتى قطعتَه أخيراً سائلة:

- لماذا لم تُعلم والدتك بحضورك لجنائز والدك؟!

كان ذلك السؤال قد أثار حيرته.. أثار دهشته والتي
استطاع إلى حد ما إخفاءها بين طيات معالم وجهه المتألمة..
إنه يعلم أن قلبه مظلّم لدرجة شديدة تمكنه من مقاومتها..
ولكنه الآن قد أعلن استسلامه التام لها.. فلماذا لا تستطيع
معرفة ما تريد وما تبغي الاستفهام عنه بدون أن تسأله؟!..
أليس بإمكانها أن تخرق ذكريات عقله؟!..
أليست قواها غير محدودة؟!..
أم هناك شيء آخر لم يدركه بعد!!

سمعتها تسأله مجدداً:

- لماذا قالت والدتك إنك لم تحضر جنازة والدك؟؟.. على
الرغم من رؤيتي لك تق..

لكنه قاطعها في جديّة قائلاً:

- لأنني لم أحضر جنازته بالفعل... لقد أتيْتُ في الليل قبل
يوم الجنازة مباشرة... وأحضرت معي زهور التوليب الحمراء
المفضّلة لديه والتي كلفتني الكثير من العناء والمال، وطلبتُ

من الشخص المكلف بحراسة الكنيسة في ذلك اليوم بأن يسمح لي بأن أجلس معه قليلاً وألا يخبر أحداً بهذا الأمر... وعندما جلست بجانبه اختلف الأمر كثيراً... كنت أتوقع أنني سأسبّه وألعنه... حتى كنت أتوقع أنني سألكمه وأضربه، ولكن لم يحدث أي من هذه الأشياء... لقد جلست صامتاً لفترة طويلة... حتى انتهى الأمر بتلك الدموع المذروفة لوفاته... وبتلك القُبلة المنتهية على جبينه ثم رحلتُ في صمت كما أتيت...

فقال له في تعجب:

- لكنه كان السبب في معاناتك لاحقاً.. لقد تسبب لك بـ..

- لا أستطيع إلقاء اللوم كاملاً عليه.. كل ما حدث أنني انقذت وراء نفس الطريق الذي دمره بالكامل.. حاولتُ نسيان أوهام وذكريات الماضي باستخدام نفس الأسلوب.. باستخدام نفس الشيء الذي قتله في النهاية.. أدمنت الكحوليات وكدت أدمر نفسي وأسرتي.. كدت أدمر كل شيء..

فسأله في ألم:

- هل كنت تحبه؟؟

لم يستطع ستيفن أن يجيبها في البداية ولاذ بالصمت لفترة قصيرة قبل أن يقول في يأس:

- كل ما كنت أحاول فعله طوال حياتي ألا أصبح مثله، ولكن في النهاية انتهى بي الأمر بأن أصبح مطابقاً له تماماً.

ثم صمت ستيفن وساد ذلك الهدوء لفترة قصيرة، هدوء لم يشبه سوى صوت تحرك أغصان تلك الشجرة التي يقفان أسفلها والتي تحاول مقاومة تلك الرياح الباردة وصوت كارمن لاحقًا التي قالت في أسف:

- وسيلينا.. هل تحبها؟؟.. هل ما زلت تحبها؟؟.. حتى بعد معرفتك لما حدث!!

لم يجبها ستيفن والتزم الصمت قبل أن يسمعها تقول بصوت محتقن:

- لقد خانتك يا ستيفن.. لقد مزقت ميثاق تلك الأمانة بينك وبينها.. لقد طعنت عهد الزواج القائم بينك وبينها.. لقد كانت تستحق تلك الميته البشعة التي كنت أعدّها لها.. لماذا أوقفتني؟!!.. لا تقل لي إنك ما زلت تحبها!!

- ما حدث كان بدافع إنقاذ تلك الإنسانية التي أنقذتني العديد من المرات.. ما حدث كان مجرد رد جميل.. لمخلوقة قامت بالوقوف بجانبني في العديد من الأزمات.. أعلمين..

أخذ ستيفن نفسًا عميقًا قبل أن يكمل ما سيقوله في أم:

- لقد كنت أعلم أنها ستتركني.. كنت أعلم أنها لن تستمر في البقاء معي طويلًا.. ربما لم أستطع التنبأ بأمر خيانتها.. ولكنني كنت أعلم أن أمر حياتنا معًا لن يستمر لوقت طويل وسينتهي بالفراق في أقرب لحظة تتمكن فيها سيلينا من التملص مني.. فقط أمر الخيانة هو ما آلمني وبشدة.. ولكن

غير ذلك.. فراقنا وتدهور أحوالِ أَسْرَتنا وتشتَّتْ شملِ العائلة كان سيحدث آجلاً أم عاجلاً.. فقط طعنة الخيانة هي ما لم أتنبأ بها.. لكنك لن تفهمي ما أقوله وستستمرين في سؤالي.. لماذا أنقذتها؟؟

التفت ستيفن إليها مجدداً ليتبادلا النظراتِ لوهلة قبل أن يكمل في يأس:

- لأنها لم تتركني لحظةً في أوقات يَأْسِي.. أوقات أَلْمِي.. لم تتركني حين أَلْمُتُها.. لم تتركني حتى حين دخلتُ تلك المصحّة من أجل العلاج.. لقد كانت دائماً بجانبِي.. لم تتركني قط.. بل على العكس.. أنا أدين لها بحياة هادئة وبفرصة في تغيير عالمِي.. أنا مَنْ ضغط عليها.. أنا مَنْ لم يستمع إليها.. أنا مَنْ وقع في فخ الآلام وبإرادته.. وانسقت وراء ذكريات الماضي..

- أنت تتكلم كأن ما حدث شئ لم يكن من المفترض بها فعله.. كأنه ليس واجباً عليها.. تتكلم كأن الجميع ليس لديهم أي واجبٍ تجاهك.. تتحدث كأنك الوحيد المدين لهم، وأنهم لا يدينون لك بأي شئ.

- لا.. كل ما في الأمر.. كل ما حدث.. أنا السبب في حدوثه..

ثم التفت بعيداً بعد أن ضغط بيده اليسرى على رأسه في قوة:

- أنا مَنْ دمر كل شئ.. ولا ذنب لها فيما حدث.. أنا مَنْ ضغط عليها.. أنا مَنْ دفعها بعيداً.. أنا هو المذنب الوحيد

في كل الأمر.

- أليس كذلك؟؟

وجدها تقاطعه بنبرة ساخرة وبنظرة حادة حين تقابلت
أعينهم مجددًا لتكمل قائلة:

- أنت مَنْ يلام على كل شيء.. أنت مَنْ يحمل عناء كل
شيء.. أنت الوحيد المطالب بتحقيق كل شيء.. أنت الوحيد
المفترض به النجاح في كل شيء..

وجدها قد أطرقت برأسها للأسفل مكملة:

- أنت مَنْ يُفترض به بذل التضحية دائمًا.. أنت مَنْ يفترض
به تحمل العناء.. أنت مَنْ يفترض به تلقي الآلام واللكمات
من تلك الحياة القاسية.. أنت دائمًا.. لكن هُم.. لا!!

ثم فوجيء بصراخها فجأة مكملة:

- أنت حتى لم تفترض يومًا إذا كان مَنْ حولك يستحقون
الشقاء.. العناء.. الآلام.. التضحية.. لم تفكر يومًا هل هُم.. هل
هُم يستحقونك أنت؟؟

رأت تلك الابتسامة تعلو شفثيه في بطاء قبل أن يجيها
بصوت خافت:

- في الواقع لا أهتم..

فنظرت إليه في تعجب قبل أن تسمعه يكمل:

- لا أهتم إذا كانوا يستحقون أم لا.. ولم أعد أهتم لذلك..

ولا أنتظر أن يتفهم أحد دافعي لفعل كل ما أفعله.. لا أنتظر ردًا.. لا أنتظر مقابلا لآلامي.. ولا أظنك ستفهمين يا كارمن.. أنا أفعل كل هذا لأنهم بكل بساطة..

- عائلتك..

نظر إليها ستيفن في حذر عندما وجدها تقاطعه بنبرة ساخرة مكملة:

- عائلتك.. والتي تدافع عنها كما يفعل الجميع.. لكنك لست مثل الجميع يا ستيفن..

ثم رآها تقترب منه في بطء مكملة:

- لم تكن يومًا مثلهم.. ولن تكون..

فأطرق ستيفن برأسه للأسفل مجددًا، قبل أن يقول لها بصوت غمره اليأس:

- أنتِ لستِ بحاجة إلى مطاردة عائلتي يا كارمن.. لستِ بحاجة إلى مطاردة ابنتي.. إذا كنتِ تريدينني.. فسأتبعك إلى أي جحيم أسود تريدينه.. فقط اتركي عائلتي وشأنها.. إنهم آخر ما أملك..

- لذلك لا بد أن أسلبهم منك حتى أصبح أنا.. آخر ما قملك..

- دعي ابنتي وشأنها أيتها اللعينة..

قالها ستيفن بنبرة حادة بدا فيها التهديد واضحًا قبل أن

يراها توليه ظهرها قائلة:

- لهذا لا بد أن أقتلها.. أنت لن تعترف بي أبدًا كابنتك..
طالما ليز على قيد الحياة..

كانت تسمع وقع قدميه يقترب منها مما جعلها تبتسم
في ثقة مكملة:

- فقط بموتها ستتقبلني كابنتك.. ولك أنا شاكرة على
شئ واحد.. تأكيدك لي خلال ما رأيته من ذكرياتك أني لو
استحوذت على جسد ابنتك فلن تقوم بإيذائه قط..

وسرعان ما كان ستيفن يهوي بفأس صغيرة الحجم كان يخفيها
بين طيات ملابسه على رأس كارمن التي تلاشت من أمامه لكي
يضرب الهواء بدلًا منها مما جعله يقول في غضب شديد:

- افعلي هذا وسوف أقتلك أيتها اللعينة.. افعلي هذا
وسوف أرسلك إلى ذلك الجحيم الأسود الذي أتيت منه
بنفسي أيتها الساقطة.. أنتِ لن تأذيها مني..

ثم جثا على ركبتيه لتبدأ دموعه الحارة في التساقط من
عينيه وهو يسمعها تهمس في أذنيه:

- انتظري فسوف آتي قريبًا يا أبي..

لكنه قال في صوت ثائر وهو يقف على قدميه مرة أخرى:

- أنا ليس لديّ سوى ابنة واحدة أيتها الداعرة.. وتُدعى ليز..



كان يجلس بجانب ابنته ليز بداخل تلك الغرفة والمحاطة بالعديد من الأطباء محاولاً أن يتذكر كيف وصل به الأمر إلى هنا.. يتذكر كيف انطلق مسرعاً إلى ابنته ليجد والدته التي أسرعَت تجاهه لتخبره أن ابنته تعاني من غثيان شديد وأنها تبصق دَمًا مِن فمها.. دما أسود.. مما أجبره على أن يحمل ابنته لينطلقوا جميعاً إلى أقرب مستشفى بتلك المدينة الصغيرة.. والتي بمجرد أن دخلها صرخ بأعلى صوته طالباً المساعدة.. لينتهي بهم الأمر بهذه الغرفة.. وسرعان ما وجد أحد الأطباء يطلب منه أن يأتي معه، فرافقه في ألم بعيداً عنها وعن زوجته سيلينا وابنتيه اللتين استقرتا حولها في صمت.. واللتين لا يستطيعان فعل أي شئ سوى الدعاء من أجلها.. الدعاء بدموع حارة تتساقط من عينيها بغزارة.

وسرعان ما كان في غرفة الأشعة ليجد أمه تنتظره أيضاً.. ليرى عدة أشعة منتشرة في المكان، وبدأ ذلك الطبيب بشرح أنها كلها تشير إلى شئ واحد.. أن ابنته سليمة تماماً من أي أمراض، ولكن على الرغم من ذلك فهناك شئ ما بداخل جسدها ما زال يقتلها.. شيئاً ما لم يتوصل إليه الطب بقدراته الحالية.. شئ ما ليس بفيروس ولا بكتيريا، وهنا قاطعه ستيفن قائلاً في هدوء:

- كارمن..

لكن الطبيب لم يفهم ما الذي يقصده مما جعله يكمل:

- وهذا ما سيضطرنا أن نحيط ابنتك بغرفة منعزلة إلى أن

يتم نقلها إلى مستشفى أخرى..

لكن ستيفن قاطعه في صوت حاد:

- لا لن تفعل ذلك..

فقال الطبيب في صوت هادئ:

- سيد ستيفن أنا أقدر أنك تحب ابنتك حبًا شديدًا وتريد لها الخير والصحة.. والعلاج.. وهذا شيء لا نستطيع توفيره لها.. ليس بهذه المستشفى.. بالإضافة إلى ذلك نحن لا نعلم مدى قوة المرض الذي بداخل ابنتك.. ربما يكون مُعديًا.. ربما يكون قد انتقل بالفعل إلى أحد أفراد أسرتك.. و..

وهنا انتبه الطبيب إلى بشرة ستيفن الذابلة وأطراف أنامله السوداء والمشابهة ليد ابنته والتي أدخلها في سرعة في جيب معطفه الأسود.. وقبل أن يقوم الطبيب بالإنطلاق إلى زر إنذار الطوارئ، كانت يد ستيفن اليمنى تستقر على عنقه، ويده اليسرى توجه نصل تلك السكين الصغيرة التي سحبها من جيب معطفه إليه، لتنتقل تلك الصرخة من والدته والتي وضعت يدها على فمها في فزع لتسمع ابنها يقول في جدية:

- لا لن تفعل ذلك.. بل ستفعل شيئًا واحدًا سأخبرك به.. أنت ستحافظ على ابنتي لمدة أربع وعشرين ساعة فقط بتلك المستشفى في غرفة منعزلة كما تريد.. وأنا سأذهب لآتي بعلاجها قريبًا، وإن لم تفعل ذلك..

لكن ستيفن لم يستطع أن يكمل ما يريد قوله عندما لاحظ

تذبذب نور الغرفة مثل المرة السابقة عندما تناقش بصوت حاد مع والدته، ولاحظ تلك الأيدي التي تنتشر على ذلك الحائط المواجه له على شكل ظلال.. مما جعل ستيفن يتركه ليتراجع في خوف.. حيث سمع صوت ذلك الطبيب يقول وهو يتحسس رقبتة في ألم نتيجة لضغط ستيفن عليها:

- حتى ولو فعلت فابنتك سوف تهلك.. أنت لا تقدّر خطورة الموقف الذي تمر به ابنـ..

وهنا التفت الأيدي في سرعة حول ذلك الطبيب.. ليرى ستيفن وأُمّه التي كتمت صراخها في خوف وألم ذلك الطبيب الذي يحاول مقاومتهم بأقصى استطاعته.. ليروه وهو يحرك قدميه في كل اتجاه، ولكن تلك الأيدي رفعت في هدوء بعد أن قيّدته بإحكام.. بعد أن كتمت صوته.. وبعد أن أجهزت عليه بالكامل، وبعد أن خارت قواه وقاربَ على الموت.. تركته فجأة يسقط، ليقع على الأرض بلا حراك.. ولم تمر بضع ثوانٍ كان ستيفن يقترب فيها من ذلك الطبيب بحذر شديد، في حين كانت والدته تنظر إليه في خوف شديد حتى رأى جسد ذلك الطبيب يهتز في عنف كمن أُوصل به تيار كهربائي شديد القوة.. ليرى تلك الارتعاشات التي تجتاح كل جسده، مما جعل ستيفن يتراجع للخلف في فزع، قبل أن ترفعه الأيدي مجدداً كتلك الدّمي التي يتم تحريكها بخيوط من الأعلى، إلا أن هذه المرة لم تكن الخيوط هي من تتحكم بأفعال وحركات الطبيب.. إنما كانت ظلالا.. ظلالاً يستطيع رؤيتها بصعوبة

بسبب تذبذب نور مصباح الغرفة، ولكن سرعان ما وقف الطبيب على قدميه مجددًا لينظر إليه ستيفن في حذر وهو يقول مغمض العينين:

- كما تريد يا سيد ستيفن.. لأربعٍ عشرين ساعة.. ستظل ابنتك في غرفة منعزلة..

وسرعان ما فتح ذلك الطبيب عينيه لتُصدر والدته شهقةً حادة عندما تراهما حالكتي السواد.. ولكنهما بدأتا تعودان إلى لونهما الطبيعي تدريجيًا خاصة عندما استمر ذلك الطبيب في ترديد:

- خلال أربعٍ وعشرين ساعة... خلال أربعٍ وعشرين ساعة... غرفة منعزلة لابنتك..

ثم تحرك الطبيب ليخرج من الغرفة تاركًا ستيفن في حالة من الذهول والفرع، وليترك والدته جاثية على الأرض بعينين باكيتين وبصراخ مكتوم... وعندما التفت ستيفن إليها ليحاول تهدئتها... كان يرى تلك الظلال تنطلق إلى هدفها الجديد... حيث لاحظت والدته ذلك أيضًا مما جعلها تنظر إليه في خوف.

كانت جاثية على ركبتها في وسط الغرفة عندما بدأت تلك الظلال تلتف حولها كأسمك قِرش ترتبص بفريستها، في حين كانت تنظر إليه في ألم... تنظر إليه في استنجاد... تنظر إليه في خوف من ذلك القدر الذي على وشك أن يلحق بها...

وقبل أن تنقض عليها تلك الأيدي... صرخ بأقصى قوته:
 - يكفي... يكفي ما فعلتموه...

لتعود إضاءة الغرفة كما كانت، ولتنتهي تلك الذبذبة التي تأثر بها مصباحها ولتختفي تلك الأيدي القاتلة، ولينتهي ذلك الكابوس الذي كان على وشك ملاحقته لسنوات قادمة وقبل أن يتقدم إليها... لاحظ نظراتِ الخوف تجاهه كأنها تنظر إلى شيطانٍ قادمٍ نحوها... مما جعله يترجع للخلف... مما جعله يندفع إلى ذلك الباب ليخرج من الغرفة في غضب.

لم يستطع أن يزيل نظراتِ الفرع والخوف الشديد لوالدته والتي رمقته بها عندما حاول أن يقترب منها بتلك الغرفة اللعينة، فيحاول أن يغير تفكيره تجاه شئ آخر حتى لا يفقد تركيزه أثناء قيادته إلى تلك المستشفى التي يقطن بها الن سلوف وابنته.. ذلك اللعين والذي أصبح سبباً رئيسياً في كل ما يحدث له الآن.. فهو يعلم أنه يخفي شيئاً ما.. شيئاً ما سيساعده في القضاء على تلك اللعنة، وألا لَمَّا اضطر إلى الكذب على كريس وشيلي.. وعليه، إذا كان ما يقوله ريفن صحيحاً.

إنه يعلم جيداً بوجود نهاية لتلك اللعنة، ولكنه لا يستطيع أن يكتبها بمفرده، ف الن فقط مَن باستطاعته أن يساعده على التخلص منها - ذلك اللعين الن سلوف - هكذا يتردد اسمه بداخل رأسه حين يفكر به وحين لا يستطيع أن يجد مبرراً لكل أكاذيبه!!.. هذا إن كان بالفعل كاذباً.

يشعر بالألم يخترق قلبه عندما تتردد على مسامعه كلماتها بألا يتركها.. يشعر بتلك النيران تشتعل بكافة جسده عندما يتذكر تلك المحادثة التي دارت بينه وبين ابنته عندما مرَّ عليها قبل أن يرحل إلى الن.. يتذكر تنفّسها البطئ وعينيها اللتين لم يكن باستطاعتها فتحهما بالكامل.. يتذكر تلك العيون السوداء.. يتذكر أحد الأطباء والذي وخز إبهام يدها اليمنى

بإبرة صغيرة من أجل أخذ عينة بسيطة من الدماء، وقبل أن يضع الضمادة على إصبعها التقط ستيفن يدها وقال في ألم:
- أنا مَنْ سيضعها لها..

وبمجرد أن خرج الطبيب أخرج ورقة من جيبه الأيسر ليمسح إبهامها في هدوء، ثم وضع تلك الضمادة على إصبعها في صمت وبعينين دامعتين كاد أن يخرج لولا سماعه لصوتها تقول في وهن وألم:
- أبي.. أهذا أنت؟؟

فعاد ليجلس على ذلك الكرسي بجانبها مجددًا ليقول في ألم:

- نعم يا عزيزتي.. إنه أنا.. إنه أنا يا عزيزتي..

فقالت ليز بعينين دامعتين بدموعٍ سوداء:

- لماذا لا أستطيع رؤيتك يا أبي؟؟.. لماذا أشعر بذلك الألم يجتاح جسدي وعيِّي؟؟.. هل.. أنا.. أموت؟؟
فقاطعها ستيفن بصوت عالٍ:

- لا.. لا يا عزيزتي.. جسدك مرهق فقط.. وهناك مرض لعين يستنزف كل قوتك، ولا بد أن تستريحى إلى أن آتى بالعلاج من أجلك..

شاهدَ تلك الابتسامة البسيطة التي ظهرت على شفيتها.. تلك الابتسامة الكافية لإعطائه الأمل والقوة اللازمين لتحطيم

ذلك العالم من أجلها.. شاهد تلك الابتسامة التي جعلته
يمسك بيدها في عطف ليقول في يأس:

- أنا أعلم بما تمُرّين به يا عزيزتي.. أعلم بذلك الألم الذي
تشعرينه.. ولكن يجب أن تقاومي يا عزيزتي.. ولا تيأسي فلقد
قطعتُ شوطاً كبيراً الآن.. كل ما أطلبه منك أن تقاومي ليوم
آخر..

فأجابته بابتسامة بسيطة على شفيتها وبصوت ضعيف لا
يخلو من الألم:

- إن لم يكن من أجلي فسيكون من أجلك.. من أجلك يا
أبي..

لاحظت تلك المستشفى أمام نظر ستيفن لتنقذه من تلك
الآلام التي على وشك أن تفتك بقلبه الباكي على حال ابنته،
رَكن سيارته بالقرب منها والتي انتهت مدة صلاحيتها منذ
أربعة أيام أو منذ تلك الحادثة الأخيرة والتي تضرر فيها
جانب السيارة وبشدة.. ثم انطلق بقدمين ثابتتين إليه مندفعاً
بوحشية ليفتك بأي شخص يقف أمامه.. انطلق يصعد درجاتِ
السلام في سرعة، فهو لم يُطِق انتظار ذلك المصعد إلى تلك
الغرفة الملعونة المظلمة، ليجده جالساً في منتصفها كالمعتاد
ينظر إلى صورة بين يديه في ألم، وليجد تلك الابتسامة البسيطة
على شفّيته عندما التفت إليه قائلاً في صوت ضعيف:

- هل أريْتُكَ صورة ابنتي عندما كانت في الحادية عشرة

من عمرها؟؟.. كانت كاملثة و..

لكن ستيفن قاطعه في غضب:

- أنا لا أهتم لذلك أيها اللعين..

وقبل أن يندفع ستيفن تجاهه كثورٍ هائج كان قد أمسك
بكتفه أحد الممرضين الأشداء.

لكن الن صرخ قائلاً:

- لا يا جون.. اتركه.. اتركه فقد أصبح الأمر خارج السيطرة
الآن..

مما جعل جون يتراجع في سرعة وخوف.. وسمعه يكمل
قائلاً:

- لابد أن تتركنا الآن يا عزيزي.. فهناك كلام لا يستطيع عقلك
تقبّله سيُقال الآن..

وسرعان ما طبّق ذلك الممرض كلامه بدون مناقشة
ليصبحا بمفرديهما وهنا سمع صوته يقول في ألم:

- أتعجّب من قيامك بالتحرك خلال فترة الصباح بدون أي
مشاكل.. على الرغم من التغيرات التي طرأت على جسدك..
هل تشعر بأي آلام تسري بجسدك عندما تقع أسفل ضوء
الشمس..

لكن ستيفن قاطعه في جدية:

- كيف أقتلها يا الن؟؟

فنظر إليه في دهشة ليقول في تعجب:

- لقد قلت لك منذ البداية إنه لا توجد طريقة لقتلها..

ولكن ستيفن قاطعه صارخًا:

- أنت تكذب أيها اللعين..

فنظر إليه الن بابتسامة مأكرة على شففيه وهو يجيبه
قائلًا:

- أنا لا أعلم شيئًا عن هذا أيضًا..

فصرخ ستيفن:

- أيها اللعين لقد كذبت على كريس، والآن تكذب عليّ..
لماذا تفعل هذا؟؟

لكن الن لم يبال به، وقام بتحريك عجلات كُرسيه بيديه
الواهنتين ليتوجه إلى تلك النافذة، حيث نظر بحذر إلى العالم
الخارجي بعد أن قام بأخذ ذلك الستار درعًا له ليقف وراءه
حتى لا يقع أسفل أشعة الشمس، مما جعل ستيفن يصرخ
في غضب:

- أجبنني أيها اللعين..

وهنا ظهرت تلك الظلال التي بدأت تسري على حوائط
الغرفة.. لينظر إليه ستيفن في غضب قائلًا:

- أجبنني وإلا أجبرتك على..

ولكن الن قاطعه في هدوء:

- هؤلاء ليسوا معك.. إنهم معي..

مما جعل ستيفن يقول في صدمة:

- أنت تكذب.. أنت تحاول..

لكن الن نظر إليه محذرًا كأنه يخبره بأن يحاول أن يعثر معه.. ثم عاد إلى النظر لذلك العالم الخارجي مجددًا ليكمل قائلاً:

- قريبًا سأعود إلى ذلك العالم من جديد عندما تنتهي كارمن من الاستحواذ على جسد ابنتك..

وهنا اندفع ستيفن في جنون تجاهه ليفتك به، لولا أن أحد تلك الظلال أسرع ليحيط بخصره وليدفعه للوراء في قوة ليرتطم بالحائط الذي خلفه وليشعر بذلك الألم يسري عبر جميع جسده وبالأخص رأسه بعد أن أصبحت رؤيته مشوشة لكل شئ حوله فصرخ في غضب:

- لماذا؟!.. لماذا تفعل ذلك؟؟

فصرخ الن في ألم:

- هذا ما كنت أنت ستفعله أيضًا لو كنت مكاني أيها الأحمق.. أنا مثلك تمامًا.. أدافع عما هو عزيز على مثلك تمامًا.. أنت من نسي أنني أب كذا.. وكذلك كريس.. جميعكم نسيتم أن لدي ابنة صغيرة أحاول حمايتها مثلكم.. ابنة أصبح

من الصعب جدًا إن لم يكن من المستحيل لي أن أنطق باسمها..
ثم صمتت الن لوهلة أطرق بها رأسه للأسفل ناظرًا إلى
صورة طفله الصغيرة قبل أن يكمل بصوت خافت:

- أنا لا أهتم بالقضاء على تلك اللعينة.. أنا لا أهتم لأمر
ذلك العالم أن أصبح تحت رحمة تلك القوي اللعينة.. كل ما
أهتم لأجله هو ابنتي..

ثم التفت إليه الن ليكمل قائلاً:

- مثلك تمامًا..

فصرخ ستيفن:

- وكريس كذلك.. كريس كان أبا.. وكانت لديه ابنة..

لكنه فوجئ بضحك الن وبشدة قبل أن يقول:

- كريس.. كريس كانت لديه الطريقة المثالية لقتلها، ولكنه
فشل في ذلك لأنه طمع فيما لا يجب أن يطمح إليه أي
إنسان..

فنظر إليه ستيفن في صدمة قائلاً:

- ما الذي تقصده؟!.. كريس كان يحاول مساعدة ابنتك في
التخلص من تلك اللعينة، أنت من كذب عليه في كثير من
الأشياء.. لولا أكاذيبك لكان استطاع التخلص من تلك اللعينة
في أسرع وقت..

فصرخ الن في غضب:

- أنا.. أنا ربما أكون قد أخفيت عنه شيئاً أو شيئين.. ولكن هذا من أجل أن أضمن سلامة ابنتي وسلامتي.. لم أكن أعلم أن الأمور ستأخذ ذلك المنحدر.. كل ما حدث.. كل ما أصاب ابنته.. كان بسبب طمعه.. كان بسبب جشعه.. كل ما حدث لعائلته كان بسبب أنه أراد أن يتحكم في شئ لا يستطيع أن يتحكم فيه أي شخص.. في البداية كان كما تقول يريد مساعدتي، ولكنه طمح في التحكم بتلك القوى المظلمة التي تكلم عنها الكثيرون.. وقد كاد يتمكن من فعل ذلك ولكنه لم يتوقع أن تقوم كارمن بالانتقال إلى استحواذ جسد ابنته والتي هي أعلى عنده من كل القوى الموجودة في ذلك العالم.. هو الذي خرج عن الحدود.. هو الذي أراد شيئاً لا يستحقه.. كان يريد شيئاً لم يعرف أنه كابوس لأي شخص يمتلكه..

وهنا ترك الن ذلك الستار وحرك عجلات كرسيه ليقرب من ستيفن وهو يكمل قائلاً:

- أراد شيئاً لم يعرف أن ثمنه هو التضحية بأعلى شئ عنده.. أراد شيئاً كان عليه أن يعلم أن مقابلته شئ صعب على قلب أي أب دفعه..

فصرخ ستيفن:

- وأنت تركته يمشي تجاه ذلك الفخ.. تركته يمشي إلى ذلك الجحيم الأسود بقدميه..

لكن الن قاطعه في جدية قائلاً:

- لا.. بل بإرادته الخاصة..

وهنا تذكر ستيفن تلك الورقة التي كَتَبَ عليها كريس
(أنا آسف يا ابنتي..)

فصرخ وهو يحاول أن يقف مجددًا ليندفع تجاهه في
غضب لولا تلك الظلال التي التَفَّتْ حول قدميه وخصره
لتقيّد حركته:

- لقد كانت لديه فتاةٌ صغيرة.. كانت لديه ابنة صغيرة لا
تستحق تلك النهاية التي شاهدها.. لا تستحق تلك الآلام..
فصرخ الن فيه بعد أن أصبح قريبًا منه ومال عليه قائلاً:

- لا.. إنها لا تستحق ذلك بالطبع.. ولكن كذلك ابنتي.. لقد
تَحَمَلْتُ لفترة طويلة تلك الآلام من أجلها فقط.. تحملتُ
ألا أراها لسنين.. حتى لا تستطيع تلك اللعينة التمكن مِنِّي..
ولكنني لم أعد احتمل ذلك.. لقد أصبح هناك فرصة لإنقاذها
بجعلها تستحوذ على جسد ابنتك.. وبهذا ستترك ابنتي.. وبهذا
سأشفى.. وبهذا ربما أتمكن من تعويضها عن تلك الآلام التي
تعرضتُ لها.. أنت فقط لا تستطيع أن تفهم.. فقط موت
ابنتك سيعطي الحياة لابنتي.. لذلك أنا لا أستطيع مساعدتك..
لا أستطيع أن أنقذك.. لا أستطيع فعل ذلك.

سكت الن ثم ابتعد عن ستيفن في ببطء ليشاهده قد
أطرق برأسه للأسفل قبل أن يسمعه يقول في سخرية:

- لقد عشتُ طوال حياتي أتهرب من حقيقة ذلك الشخص

بداخلي.. أتهرب من ذلك الوحش الذي يريد الخروج من ذلك العالم المظلم بداخلي.. لقد حاولت تناسيه هناك على أمل أن أصلح يومًا ما أفسدته عائلتي بداخل قلبي.. ربما تكون لست بحاجة لسماع كل هذا الهراء الذي أقوله، ولكنك بحاجة إلى سماع شئ واحد.. ابنتي ليز هي الفرصة الوحيدة لديّ لأكون إنسانًا له معنى وهدف وحياة في هذا المجتمع القاسي، والذي لا أهتم أن احترق بالكامل مصطحبًا إياه معي إلى أعماق ذلك الجحيم الأسود الذي ستجلبه كارمن إليه معها.. لن أهتم لأي شئ.. ولكنني سأهتم لشئ واحد.. هو أنني سأدمر كل شئ من أجلها.. إن أخذت مني ليز.. سأقتلكم جميعًا.. سأطاردكم جميعًا.. سأبحث عنكم.. وأريدك أن تعلم.. أنه لن يوجد مكان تختبئ فيه مني.. سأظل..

وهنا أشاح الن بوجهه بعيدًا عنه مما جعل ستيفن يصرخ:

- انظر إليّ..

فلاحظ الن أن الظلال التابعة له تتراجع بعيدًا عنه لتظهر أخرى غيرها.. ظلال أخرى أكثر ظلامًا.. ظلال أخرى أكثر سوداوية.. ظلال أخرى لا يستطيع أن يحتويها قلب بشر، بل قلب شيطان حاقد ومنتقم، نظر الن إلى ستيفن الذي وجده قد تحرر من قيوده تلك التي تراجعت عنه في خوف.. وجده يقف بعد أن أزال تلك النظارة السوداء عن عينيه لينظر إلى الن في غضب وليرى تلك النظرات التي تتوعده بالموت، ثم

بدأ يقترب منه في بطئ وهو يصرخ قائلاً:

- أنت تحاول جاهداً أن تحافظ على حياة ابنتك وأنا أقدر ذلك.. أنا أقدر ذلك لأن أي أب مكانك قد يفعل ذلك أيضاً من أجل تحرير ابنته، ولكن إن وصل الأمر لابنتي فسأقوم بإرسال ابنتك إلى ذلك الجحيم الأسود لتؤنس وحدتها.. أنا لن أترك ابنتي تكون الضحية الوحيدة في ذلك الأمر.. لن أنتظر حتى أصبح الخاسر الوحيد في النهاية، بل سأسحبكم جميعاً معها إلى أعماق ذلك الجنون الذي تسمونه أرض الظلال..

نظر الن إلى ستيفن الذي توقف عن الكلام بعد أن أصبح قريباً من وجهه وبعد أن أسند يديه على عجلات كرسيه مانعاً إياه من التحرك بعيداً ليقول بعينين باكيتين وبصوت متألم:

- ولكن إن أخبرتني بطريقة قتل تلك اللعينة الآن.. فأعدك أنني سأخلص منها.. أعدك أنني سأقتلها.. لأني لن أسمح لها بالسيطرة على ابنتي.. لن أسمح لتلك اللعينة بأخذ آخر فرصة لفعل شيء صحيح في عالمي.. لن أسمح لتلك الساقطة بتدمير حياتي كما فعلت مع الآخرين، وأنت ستمكّني من ذلك..

ولكن الن لم يجبه والتزم الصمت مما جعل ستيفن يقول في ألم:

- أرجوك ساعدني.. أنت آخر أمل لي في إنقاذ طفلتني.. وأنا آخر أمل لك في تعديل مسار حياتك.. فقط أخبرني كيف

أنهي تلك اللعنة، وعندها سينتهي كل شئ؟؟
 لكن ستيفن فوجئ بتلك النظرة الجادة لـ الن الذي قال
 بنبرة قاسية:

- وهل تعتقد أن يموتها سينتهي كل شئ؟؟

مما جعل ستيفن يجيبه في دهشة:

- ألن ينقذ ذلك ابنتي!!

وهنا أبعد الن يدي ستيفن بعيدًا عن كرسيه في عنف
 قائلاً:

- أنت لا تفهم أبعاد المشكلة التي أنت فيها.. لا تفهم
 أبعاد القوى التي تسري بداخل جسدك..

لاحظ ستيفن تلك الظلال التي ازداد عددها للتو، ولكن
 صوت الن الجاد أيقظه قائلاً:

- هل تعلم لماذا اختار كريس ريتواسن للبقاء بها؟؟

- لقد أخبرني ريفن..

- لقد أخبرك ريفن.. ها..

قالها الن في سخرية قبل أن يكمل قائلاً:

- إذاً لقد ظهر ذلك اللعين أخيرًا.. لقد أخبروك بالتأكيد
 أن ريتواسن هي المدينة التي توقّيت بها كارمن، وبالتحديد
 ذلك المنزل الصامت خلفك.. ذلك المنزل الذي يسكن بداخله

جحيم عائلتها المتوفاة.. فقط الظلام هناك.. ولن تجد غيره هناك، ولكن ذلك لا يهم الآن.. أليس كذلك؟؟

فنظر إليه ستيفن في حيرة قبل أن يجده يكمل بصوت محتقن:

- ذلك اللعين كريس بعد فشله المزري في قتل كارمن وفي الحصول على تلك القوة.. وبعد استحواذها على جسد ابنته.. وقبل صنع تلك اللعنة التي رأيت تأثيرها الأخير عليه وعلى ابنته.. كان يفكر في طريقة أخرى في التخلص منها..
- ألا وهي..

- تدمير رفات كارمن.. تدمير ما تبقى من جسدها.. لقد قرر مواجهة الوحش الأخير بنفسه.. لقد أخذ وقتاً طويلاً حتى توصل إلى مكان قبرها.. تعويذات وأضحيان عديدة.. لقد اتّسخت أيدي كريس بطريقة مهولة، ولكن في المقابل اكتشف حقيقة قاسية.. حقيقة مؤلمة تجعل من استحواذ كارمن لجسد ابنته أمراً ليس هيناً، ولكن من الممكن تحمّله عن الآخر.

فظر إليه ستيفن في حذر ليجده يكمل في ألم:

- تلك القوى لا تَفنى يا عزيزي، ولا بد من أن يكون لها سيد.. شخص يتحكم بها.. وبقتلك لـ كارمن لن يتبقى سوى ابنتك لتكون ذلك الشخص الذي يتحكم بها..

وعندها تراجع ستيفن للخلف في صدمة وخاصة عندما

سمعه يكمل:

- لا تستطيع أن تفهمني أليس كذلك؟؟.. دعني أوضح لك؟؟.. لماذا لم يستطع أحدٌ من البشر التحكّم بتلك القوة..؟ لماذا لم يستطع أي أحدٍ من قبل التحكّم بتلك القوة؟؟.. تلك القوة من الصعب على الجسد البشري تحملها أو التحكّم بها.. تلك القوة تستنفد قوى جسدك من الداخل.. لا بد أنك تشعر بذلك الآن.. لابد أنك تعلم بهذا بعد رؤيتك لجسد ابنتي وابنتك الواهن والعاجز عن الحراك.. إنك تعلم أنها تموت من الداخل..

وهنا تذكر ستيفن حديثه الملعون مع ذلك الطبيب عن حالة ابنته المتدهورة قبل أن يسمع الن يكمل في ألم:

- تحاليل وتشخيص الأطباء تخبرك أنها سليمة.. الأشعة تخبرك أن جسدها على ما يرام، ولكن على الرغم من ذلك فهناك شئ ما يقتلها..

فنظر إليه ستيفن في غضب وهو يسمعه يكمل:

- السبب الوحيد الذي جعل كارمن تتحكم بتلك القوى حتى الآن هو كونها متوفاة.. كونها روحا بلا جسد.. وحتى إن استطعت إنقاذ ابنتك واستطعت تدمير كارمن بمعجزة ما.. بمجرد انتقال تلك القوى إلى جسد ابنتك فاعلم أن أيامها بذلك العالم المزري معدودة.. وفي النهاية ستتوفى وستصبح مثل كارمن تمامًا.. روح ملعونة قد قُدِّرَ لها الخلود في عالم دموي

مظلم لا يعرف الموت.. أرض الظلال.. هذه هي الحقيقة التي علمها كريس.. وهذا ما أراد إخفائه عن الجميع.. لقد علم حينها بمدى فداحة خطئه.

- أنت تكذب.. أنت بالتأكيد تكذب.. شيلي كانت لتخبرني..

- حتى شيلي وأصداؤها لا يعلمون ذلك.. كل ما يعلمونه هو كارمن ومدى شدة تلك القوى التي بحوزتها.. غير ذلك هم لا يعلمون أي شيء..

- كريس لم يكن ليخبرك بـ..

ولكن الن صرخ به قائلاً:

- انظر إلي.. فقط انظر إلي.. واسأل نفسك سؤالاً.. لماذا لم تستطيع أن تنتقم مني شيلي؟؟.. لماذا لم تحاول قتلي بعد أن تسببت في إخفاء بعض المعلومات عن كريس والتي كانت السبب لاحقاً في قتل كريس وأختها صوفيا وابنتهم؟؟

كادت عينا ستيفن أن تخرجا من محجريهما من فرط الصدمة والدهشة في حين أكمل الن قبل أن يضحك بهيستيريا شديدة:

- أنا أعلم أنها لم تخبرك.. أعلم أنها لم تخبرك أن زوجة الن صوفيا هي أختها.. أعلم أنها أخفت عنك تلك الحقيقة.. أعتقد الآن أنك تستطيع تخمين كيف علمت بكل هذا؟؟

فنظر ستيفن إلى يديه الشاحبتين قبل أن يجيبه في ألم:

- قُوى كارمن..

- نعم يا عزيزي.. السبب في كوني أعلم بعضاً مما حدث لكريس هو أن قُوى تسمح لي أن أشارك كارمن في بعض الذكريات.. قُوى تريني ما حدث لهؤلاء الذين ماتوا على أيديها، وتسمح لي بالبقاء في إطار دائرتها اللعينة.. قُوى هي ما حمتني وحمّت ابنتي من غضب شيلي.. جسدي واهن.. ولكن قُوى كانت كافيةً لإبقائها بعيداً.. والسبب الوحيد الذي جعل شيلي تساعدك هو أنها تريد الانتقام لعائلتها من تلك اللعينة كارمن.. مثلك ومثلي.. ومثل أي أبٍ تمكنت الفجيعة من قلبه على ابنته ولجأ في النهاية إلى الانتحار هروباً من جحيم أوهام كارمن.

كان ستيفن قد اصطدم بالحائط الذي وراءه من أثر تراجعهِ للخلف نتيجة لتلك الصدمة التي سيطرت على عقله ولكنه وجد الن يقترّب منه مكملًا في نبرة ساخرة:

- أتعلم ما الشئ الذي كذبتُ بشأنه وأخفيته عن كريس.. وهو الطريقة الوحيدة والمتبقية للتخلص من تلك اللعنة.. وهو قتل كل من الأب والابنة التي ألحقت بهما تلك اللعنة.. والتخلص من كل شئ قد يساعد كارمن على العودة لذلك العالم.. ولكنني فوجئت بأن هناك شيئاً لا يريد أن يختفي.. شيئاً يأبى الفناء.. شيئاً أنا نفسي حاولت القضاء عليه مراتٍ عديدةً ولكنه يستمر في العودة إليّ.. تلك المفكرة اللعينة.. ذلك الشئ الذي لا يريد أن يرحل عن عالمنا بسلام.. عندها

أيقنتُ أنه لا يمكن لأي بشري مهما كانت هويته أو قوته هزيمة تلك القوى، لذا فكل ما علينا هو التخلص من الأب والابنة اللذين أحاطت بهما تلك اللعنة، وهذا كفيلاً بإبقاء كارمن لبعض الوقت بعيدة عن هذا العالم.. ولكن هذا لن يمنعها عن العودة.. لماذا تعتقد أنني كذبتُ على كريس؟؟.. لقد قال لي إنه بإمكانه أن يختم تلك القوى بعيداً.. لقد أعطاني الأمل في الحياة مجدداً.. ولكن هذه كانت الطريقة الوحيدة للإبقاء على حياتي وحياة ابنتي.. ذلك اللعين أخبرني أنه بإمكانه أن يرسل تلك القوى للجحيم مجدداً.. لقد أخبرني أن بإمكانه أن يدمر كارمن.. ولكنه بدلاً من ذلك أراد أن يتلاعب بقوى تفوق خياله..

فصرخ ستيفن به قائلاً:

- إذاً لماذا أعطيتني الأمل؟؟.. حديثك السابق لي عن ابنتك.. كلماتك عن قدرتك على الصبر لفترات طويلة، وحتى عندما مَلَكَ منك اليأسُ وحاولتَ قتلها.. كل هذا كان كذباً!!.. ولكن ما الغرض منه؟!

لكن الن أجابه في هدوء:

- أولاً ليست كل كلماتي كذباً يا عزيزي.. إذا أردتَ أن تقتل ابنتك فعليك التدخل والانهاء منها بأداة حادة قاتلة.. كسكين على سبيل المثال.. أنا لم أكذب في هذا الشأن.. فقط طعنة نافذة إلى قلب ابنتك، غير ذلك أنت لن تستطيع قتلها.. أمّا بالنسبة لإعطائي الأمل لك فكان بسبب أنك تمتلك

قلبًا ليس لديّ مثله.. قلبًا لم يمتلكه أي أحدٍ من ضحايا كارمن من قبل.. حتى كريس نفسه.. لقد اعتقدتُ لوهلة.. اعتقدت أنك قد تكون قادرا على ردع كارمن على عكسي وعلى عكس كريس.. ولكن يبدو أني كنت مخطئًا بذلك أيضًا.

كان ستيفن قد أطرق برأسه للأسفل بعد أن تملكته منه الصدمة والحيرة ولكن الن أكمل قائلاً:

- قلبك المظلم على عكس ما توقعت جعلك أسرعنا في الوقوع إليها.. قلبك المظلم ربما كان حصنًا منيعًا ضدها.. ولكنه كان في النهاية بمثابة الدليل القاطع على خوفك الشديد على فتياتك.. كان دليلا على استعدادك التام على ألا ترى أيا من فتياتك حياتك السابقة.. كان دليلا على استعدادك لتحمل الأذى عنهن.. دليلا على حبك التام لهن.. أنت تعلم ما الذي أقصده أليس كذلك؟؟

وهنا تذكّر ستيفن كلمات كارمن في أول مقابلة واقعية بينهما.. كلماتها عن كونه يخفي شيئًا ما تريد رؤيته بداخل قلبه، يتذكر ذلك الطفل الباكي الذي تمكن من رؤيته عندما اخترقت قلبه المظلم.. ويتذكر صراخ شيلي عندما واجهت ذلك العالم المظلم بداخله.. لقد أصبح الأمر واقعياً الآن.. إنها ترى شيئاً أكثر من مجرد طفل باكي.. إنها ترى شخصاً غير قادر على اتخاذ ذلك القرار القاسي تجاه ابنته.. إنها ترى رغم ذلك الظلام الداكن بداخله أنه ليس بوحش ينتظر الفرصة لينتقم.. بل طفل تألم كثيراً.. طفل قد جنت عليه عائلته

مسببة له الكثير من الآلام، لذا من المستحيل أن يسبب مثلها لابنته لذا عندما يكون السبيل الوحيد لإنقاذ ابنته من تلك اللعنة هو القتل.. إذًا فقد اختارت كارمن الشخص الصحيح هذه المرة.. فمن المستحيل أن يقوم ستيفن بأذى لابنته مهما حدث.

وجد الن ستيفن قد بدأ يجثو على ركبتيه بوجه ذاهل ليعلم أنه أدرك الأمر الآن، وأنه من المستحيل إنقاذ ابنته من تلك الدائرة الملعونة والتي علق بها كل من واجه كارمن.. الأمر مستحيل منذ البداية.. لهذا كانت شيلي تواجهه بأن قتل ابنته أفضل خيار.. لأن قتل ابنته هو مجرد راحة لها وشفقة بها مما ستعرض له.

وجد ستيفن يد الن تربت عليه في عطف وهو يقول في ألم:

- قتل كارمن ليس مستحيلًا بالنسبة لك ولكنه صعب.. صعب إلى درجة شديدة تكاد تصل إلى الاستحالة.. ربما توجد طريقة أو اثنتين للتخلص منها ولكن سيكون هذا في غاية الصعوبة.. الطريقة الأولى هي أن تنهي تلك الرواية اللعينة التي بالمفكرة.. وأعتقد أن تلك الطريقة سهلة عليك.. أمّا الأخرى فهي أن تقتل كارمن باستخدام شئ قادر على إيذاؤها.. شئ قاسٍ قادر على اختراق ذلك الجسد اللعين لها نافذ إلى قلبها.

فقال ستيفن بصوت غمره اليأس الشديد:

- وما هو الشئ القادر على إيذاؤها؟؟

فأجابه قائلاً:

- شئ صغير وحاد كان بحوزتك طوال الوقت، ومحفور عليه حروف من اسمها..

فتذكر ستيفن ذلك الكابوس الذي شاهده لكريس والذي رأى فيه كارمن تنزف بغزارة نتيجة لاستعماله تلك السكين الصغيرة، ولكنه انتبه لـ الن يقول في صوت هادئ:

- ولكن هذا سيكون في غاية الصعوبة كما أخبرتك.. لأنه من المستحيل الإمساك بكارمن، وهذا بالإضافة إلى أنه عليك العثور على نقطة ضعف بجسدها المتشعب بتلك القوى اللعينة، وذلك لن يكون سهلاً بالطبع.. لأنه بمجرد إحساسها بالخطر ستلجأ إلى أكثر مكان آمن لها، وأكثر مكان لا تستطيع أن تمسه بأي سوء هو ابنتك.. تغلّب على هذه المصاعب.. وربما.. ربما تتمكن منها

ولكن ستيفن قال في يأس شديد، وبدموع حارة تتساقط من عينيه كأقطار الشتاء الغزيرة:

- وما الفائدة من التخلص منها إذا كانت ابنتي ستواجه مصيراً مؤلماً آخر؟؟..

فابتعد الن عنه قائلاً في هدوء:

- ذلك شئ لا أستطيع مساعدتك به..

وذهب مجدداً إلى تلك النافذة ليراقب السماء التي بدأت
تتزاخم بها الغيوم مانعة إياها من الظهور.. ليقول في تشاؤم:
- أنا لا أستطيع مساعدتك بأكثر من هذا يا ستيفن.. ولكن..

نظر ستيفن إلى الن والذي سيطر على نبراته الحزن التام
وهو يكمل:

- أعتقد أنك بحاجة إلى الجلوس مع ابنتك أطول فترة
ممكنة..

وقبل أن يقف ستيفن قال في ألم:

- لا.. هذا لا يكفي.. لا بد من وجود شيء قادرٍ على إيقاف
كل هذا.. شيء ما لا أستطيع رؤيته..

مما جعل الن ينظر إليه في حزن مُقدِّراً ما يمر به.. فهو
يعلم أنه على وشك فقدان أعز شئ لديه.. مما جعله يقول
في ألم:

- لو لم يكن قلبك به هذا الكَمُّ من الظلام ربما لم تكن
لتنجذب إليك تلك اللعنة بهذه الطريقة..

وهنا لمعت عينا ستيفن السوداء.. لينظر إليه الن في غرابة
بعد أن بدأ يقول في صدمة:

- هذه هي الطريقة... هذا هو السبب... هذا هو السبيل
الوحيد لإنقاذ ابنتي..

وقبل أن يهم ستيفن بالخروج.. بدأت أنوار الطريقة خارج

الغرفة في الانطفاء ليقول الن في دهشة:

- إلى هذه الدرجة تلك القُوى متعلقة بك!!

كانت الظلال قد بدأ يزداد عددها، وقد بدأت تدور حول ستيفن كأسماء قِرش على وشك التهام فريستها قبل أن تلتف حوله في قوة ليصرخ الن في صدمة:

- ما الذي يحدث؟!

بعد أن نظر خارج الغرفة ليجد تلك السحب السوداء التي بدأت تغطي أشعة الشمس ليُعمّ الظلام المكان.

ثم صرخ في ستيفن قائلاً:

- ما الذي فعلته لتجعلها تجبر نفسها على الظهور بهذه الطريقة؟!

فأجابه ستيفن في غضب:

- لقد اكتشفتُ كيف أقضي على تلك اللعنة للأبد..

فنظر إليه الن في صدمة عندما صرخ فيه ستيفن:

- ساعدي أرجوك.. وأَعِدك أنني سأُنهي كل ما أفسدته تلك اللعنة بحياتك وحياة ابنتك..

لاحظ الن تلك الأصوات التي بخارج الغرفة لتلك الوحوش التي تقترب منهما مما جعله يقول في صدمة:

- مستحيل... أنت تخذعني... أنت بنفسك أصبحتَ تَعْلَم

الآن أنه لا يوجد مفر من تلك القُوى.. وحتى لو استطعتَ
القضاء على كارمن فلن تستطيع الهروب من قُواها..

فصرخ ستيفن في رجاء:

- أقسمُ لك أنني أستطيع القضاء على تلك اللعنة وتلك
القُوى نهائيًا... انظرْ حولك... كل ما يحدث الآن دليل قوي
على صحة كلامي.. تلك القُوى تعلم أن ما أقوله صحيح
نظر ستيفن إل الن المتردد كأنه على عِلم بطريقةٍ لإنقاذه
من تلك الظلال التي قيّدت حركته... ولكنه سرعان ما وجده
يقف على قدميه ليمزق تلك الأربطة القماشية والتي تُقيّده
بذلك الكرسي المتحرك كأنها مصنوعةٌ من ورق... وليجده يجري
بسرعة ناحيته ليحيط به بكلتا يديه مثبتًا إياه وليمنعه من
المقاومة ليصرخ ستيفن في صدمة:

- الن ما الذي تفعله؟ أرجوك ساعديني؟!

لكن الن لم يبالِ به وبدأ يضحك في هيسيريا شديدة ليقول
في سخرية:

- مَنْ نحن يا ستيفن...؟ مَنْ مِنّا كان على صواب؟ وَمَنْ
مِنّا كان المخطئ...؟ مَنْ مِنّا كانت حياته شاقة؟ وَمَنْ مِنّا
ظفر بذلك النعيم الذي حلم به كل الناس...؟ مَنْ مِنّا سيكون
القادرَ على إثبات أنه أكثر إخلاصًا...؟ وَمَنْ مِنّا سيُرى أنه
ضحى أكثر من الآخر من أجل ما هو عزيز عليه...؟ أجبني
يا ستيفن مَنْ مِنّا؟!

كانت تلك الآلام العنيفة تنتشر بجسد ستيفن نتيجة لذلك الضغط الساحق الذي تتعرض له عظامه وعضلات جسده
فصرخ:

- أرجوك لا تفعل هذا..

مما جعل الن ينظر إليه في سخرية قائلاً:

- أنا أنقذك أيها الأحمق..

وسرعان ما لاحظ ستيفن أن تلك الظلال تفك حصارها عنه لتمسك بـ الن بدلاً منه الذي استمر في الضحك بلا توقف وهو يقول في ألم:

- دائماً ما كنتُ أحتفظ بتلك الخدعة للحظة الحرجة التي سأنقذ فيها ابنتي إن تمكنتُ منها كارمن... إنها النهاية لي يا ستيفن، ولكن أرجوك لا تجعلها النهاية لابنتي ليس بهذه الطريقة..

فتراجع ستيفن في فزع وهو يرى كل تلك الظلال التي تلتف حول الن في سرعة لتقيّده، ولكنه قال في قوة:

- أعدك أنني سأحرر ابنتك مهما تكلف الأمر، وأعدك أن أقضي على خطر تلك اللعنة للأبد..

لكن الن ابتسم في سخرية:

- أرجو ذلك... فأنت تدين لي بذلك... والآن اجر...

نظر ستيفن إلى الن الذي جثا على ركبتيه.. وأكمل في ألم:

- اهرب الآن أيها الغبي، ولا تجعل تضحيتي تضيع هباءً..

وسرعان ما انطلق ستيفن خارج الغرفة في وسط الظلام مواجهًا للوحوش التي انطلقت تجاه الغرفة غير معطية أي اهتمام لـ ستيفن الذي اخترقهم في صمت بدموع حارة مستمعًا إلى ضحك الن الهيستيري والذي لم يفارق أذني ستيفن حتى بعد أن استطاع الخروج من تلك المستشفى ليجد تلك السماء السوداء والتي تنذر بحدوث شئ خارج عن المألوف الليلة... تنذر بالألم والدمار والخراب.

لكنه ها هو يقود سيارته عائداً إلى ابنته مجدداً، مصمماً على شئ واحد أنه سيدمر تلك اللعنة مهما تكلف الأمر... وحتى لو كان المقابل حياته.



استطاع ستيفن الوصول إلى بيت أبيه في هدوء بعد مساعدة والدته له في إخراج ابنته من تلك المستشفى بدون إحداث الكثير من الأضرار خوفاً من أن يصاب أي أبرياء مثل ذلك الطبيب المسكين الذي أوقعه القدر في مواجهة مع ستيفن من قبل، ليتوقفا عند مقدمة البيت وليحمل ستيفن في هدوء ابنته من السيارة بدون أن تصدر أي صوت، وسرعان ما تقدم إلى البيت قبل أن تنادي والدته عليه ولتقول في قلق:

- هل ما زلت مصمماً على ما بداخل رأسك؟؟

فأجابها ستيفن في سرعة:

- إنه الحل الوحيد أمامي..

ثم نظر إلى السماء حيث غطت تلك الغيوم السوداء السماء لتجيب ضوء القمر لينبهها أنهم ليسوا بمفردهم الآن فقالت مسرعة:

- أنت تعلم جيدًا أنه من المحتمل ألا تنجو إن فعلت ذلك!!

فصرخ ستيفن في غضب:

- وهل لديك خيار آخر؟؟.. وهل لدي خيار آخر؟!

فصمت على الفور، ولكن ستيفن اقترب منها في ببطء ليقول في ألم:

- أنا آسف... أرجو أن تسامحيني على ما بدر مني من سوء طوال حياتي... أرجو فقط أن تفهمي..

ولكن والدته لم تتكلم فلثم جبينها في صمت وتحرك مباشرة إلى الباب، ولكنه سمعها تقول في ألم:

- لماذا لم تخبر زوجتك وأطفالك بما ستفعله؟!

فسمعه يقول في ألم بدون أن يتوقف أو أن يلتفت إليها:

- لأن هذا قرار يجب على فقط التعايش مع نتائجه، ولا يجب عليهم أن يعانون معي ذلك..

فقالت والدته في صوت مرتفع:

- ولكنها ابنتها أيضًا..

لكن ستيفن لم يجيبها وأكمل طريقه ليفتح ذلك الباب في هدوء.

كان الهدوء يعم ذلك البيت الذي لطالما امتلأ بالصخب والصراخ من مالكيه.. كان ستيفن يستطيع رؤية ذكرياته فيه وسماع صرخاته التي ترددت في أماكن كثيرة من ذلك المنزل كأنه كان موجودًا به بالأمس... كان يستطيع رؤية ذلك الطفل الباكي الذي يحدق فيه في خوف، وقد وقف محتما وراء أحد جدران المنزل الذي ما يزال يسوده الظلام، والذي اختفى بإيقاظ ستيفن لمصابيح ذلك المنزل الملعون، والذي يعتبر وجوده به كابوسا في حد ذاته، ولكن على الرغم من ذلك فالمنزل يعتبر عاملاً أساسيًا في خطته ولا يستطيع تغييره، ولكن هذا لم يكن ما يقلقه.

فالشئ الوحيد الذي بدأ يحرك الخوف بداخل قلبه هو أن ابنته في وضع يرثى له بعد أن بدأ يشوب بشرتها ذلك اللون الأسود، والذي لم يلاحظه في أي من الأعراض المذكورة في أوراق كريس، وهذا يعني شيئًا واحدًا أن ابنته قد أصبحت على حافة المراحل الأخيرة من الاستحواذ التام.

فيضع ابنته في هدوء على تلك الأرضية الخشبية الناعمة، بعد أن تأكد أن ذلك الغطاء الثقيل الذي يحيط بجسدها يوفر لها الدفء اللازم... ثم أبعد معظم الأثاث الذي يوجد في غرفة الجلوس بعيدًا... ليستقر هو وابنته بمنتصف البيت

تمامًا، حيث يوجد أمامه الباب المؤدي إلى مقدمة المنزل وخلفه الباب المؤدي إلى الفناء الخلفي... وسرعان ما أخرج ستيفن تلك المفكرة السوداء من جيب معطفه ليفتحها بسرعة محاولاً أن يطبّق تلك الطريقة الأولى التي أخبره بها الن وهي أن يكمل تلك القصة اللعينة والتي لم يكملها كاتبها.

تلك القصة اللعينة التي أُخفي بها والدها وحلّ بها مكانه أخوها الأكبر لعله يستطيع التلاعب بتلك الذكريات المأساوية التي تعرضت لها كارمن، فيجد لها السكينة وتغادر ذلك العالم بسلام... ولكن ما الذي سيفعله؟؟ وكيف ينهي أحداث تلك القصة اللعينة؟؟... وهنا وافته فكرة كانت تستحق المخاطرة... لقد أراد ستيفن أن تستمر القصة بنفس أحداثها القديمة... أن تستمر معاناة كارمن مثل الرواية الرسمية المنشورة لها والتي كتبها الن سلوف... ولكن النهاية ستتغير... سيغيّر تلك المأساة التي أودت بحياة كارمن... سيعطيها الأمل مجددًا... سيبيث ذلك النور بداخل قلبها لينقشع عنه ذلك الظلام الذي سيطر عليه لفترة طويلة... ولكن قبل ذلك سيجعلها تقتل عائلتها مجددًا... سيجعلها تسفك دماءهم كما فعلت من قبل... سيجعلها تنظر إلى جثثهم التي بدأت النيران في الإضرار بها.

لكنه لن يجعلها تقتل نفسها... لا... لن يسمح لها بأن تقتل نفسها... سيجعلها تخرج من ذلك المنزل... سيجعلها تهرول... سيجعلها تنطلق إلى تلك الغابة الموحشة والتي لا يوجد بها أحد غيرها وسيجعلها تبكي... سيجعلها تتألم...

سيجعلها تتأوه من تلك الحروق التي ألحقت بجسدها أثناء هروبها من ذلك المنزل... سيجعلها تصرخ وسط تلك الرياح العاصفة وتلك الأمطار الباردة والمتساقطة على رأسها بغزارة... سيجعلها ترى ذلك الشبح ينطلق تجاهها بسرعة مسبباً ذلك تسارع ضربات قلبها من شدة الخوف، لدرجة أنه قد يتوقف من قوة الصدمة التي تمر بها، ولكن على الرغم من ذلك تشاهده يقترب منها بدون أن تتحرك... تشاهده ينظر إليها خلال الظلام، وقد توقف مرة واحدة على بعد خطوات منها... سيجعلها تغلق عينيها في يأس بعد أن سئمت الهرب من ذلك القدر الذي يلاحقها، وسيجعلها تستسلم لما سيفعله ذلك الشبح بها... تسمع وقع أقدامه يقترب منها حتى أصبح أمامها مباشرة فتضغط على عينيها بشدة لتبقيهما مغلقتين. لكنها تسمع صوته الباكي يهتف باسمها... ذلك الصوت الحنون... ذلك الصوت الذي اشتاقت لسماعه منذ فترة طويلة، وقمت لو استطاعت مبادلة روحها مقابل أن تبقى قريبة من صاحبه ولو لفترة قصيرة من الوقت... ليوم واحد... هذا كل ما تمنته طوال حياتها... تشعر به يضمها إلى أحضانه الدافئة، والتي لم تراودها سوى في الأحلام... تشعر بجسدها المرهق ينهار بين ذراعيه اللتين يحملانها في رفق... تشعر بيديها وقدميها تنساب للأسفل... تشعر برأسها تميل للخلف... تشعر به وهو يجثو على ركبتيه ضاماً إياها إلى صدره وتشعر بشفتيه المتشقتين اللتين تلتزمان وجنتيها اللتين بللتها مياه الأمطار وتلك الدموع الساخنة المتساقطة من عينيهِ والتي

تسري على خده كأنهارٍ ليست لها نهاية... تشعر به يهمس
في أذنيها بكلمة واحدة ردها لمرات عديدة حتى أنها ظنّت
أنه لن ينتهي من تكرارها (آسف)

حتى تسمعه يقول عندما يرهق من أسفه:

- لن أتركك مرة أخرى يا عزيزتي... لن أتركك ولو للحظة
واحدة من الآن فصاعدًا..

تشعر به يلثمها في جبينها وهو يقول:

- لن أتركك...

فتقول في ضعف:

- لقد انتظرتك... أنا لا أدري إلى كم من الوقت انتظرتك...
ولكنني انتظرت قدومك إليّ مرة أخرى... انتظرت عودتك إليّ
مرة أخرى... هذا ما جعلني أستمّر في الحياة... هذا ما كان
يعطيني الأمل دومًا... وهو أن يومًا ما سأقابلك مرة أخرى...
وهنا بكى أبوها بشدة، ولم يستطع أن يقاوم ضمها إليه
بأقصى قوة... فيقف حاملًا إياها مرة أخرى وهو يقول في
ندم بعد أن نظر إلى عينيها الخضراوين:

- ولن تضطري إلى فعل ذلك مجددًا يا عزيزتي..

وهنا يسير بها بعيدًا عن ذلك البيت المشتعل، حيث
تكتشف أنها لم تبعد كثيرًا عنه، ولكن كل ما يهمها بالفعل
هو أنها أصبحت معه، وها هو يأخذها بعيدًا عن تلك الآلام،

بعيداً عن ذلك الجحيم الذي جعل منها وحشاً قاسياً... إنها لا تبالي ما سيحدث بعد ذلك، فكل ما تمنته في حياتها قد تحقق أخيراً... إنها لا تريد أكثر من ذلك... فتلقي بعينيها نظرة أخيرة على ذلك البيت المشتعل والذي باختفائه عن أنظارها يتلاشى ذلك الألم الذي يضطرم بقلبها إلى أن يختفي نهائياً... ثم تلتفت إلى أبيها الذي يحملها في قلق مبتعداً بها عن ذلك المكان بأقصى قوته متجهاً بها إلى بداية جديدة... أمل جديد... حياة جديدة... وربما صفحة جديدة.

يأخذها إلى مكانٍ آخر حيث من الممكن فيه لشخصين مثلهما أن يحظيا بكلمة عاشا على وهُمها فترة لا بأس بها... كلمة كفيلة بأن تغير من حياة أي شخص... وقادرة على هزيمة أي ألم... إنها الحب... وربما كانت السعادة... وربما يكتشفان مزيجاً بينهما لم يكتشفه أحد من قبل... ربما.

أنهى ستيفن كتابته وألقى بذلك القلم بعيداً بيدٍ مرتعشة... لقد كان هذا أفضل ما استطاع الوصول إليه يخيله، وهنا كان هناك سؤال واحد يتلاعب بعقل ستيفن هل هذا سيكون كافياً؟؟... هل هذا سيكون كافياً ليسكن روحها ذلك السلام مجدداً؟؟... هل هذا سيكون كافياً لتستطيع روحها العودة إلى عالمها الذي قدمت منه في هدوء؟؟

كانت إجابة هذا السؤال قد بدأت تتضح عندما رأى ستيفن ابنته التي بدأت تتألم وتتأوه بصوت عالٍ ومرتفع، فأسرع تجاهها لسمعها تقول في ألم:

- أبي... لماذا أشعر بذلك الألم الشديد يجتاح كل جسدي؟؟...
لماذا أشعر بذلك...؟؟

ثم لاحظ ستيفن يَدَي ابنته وقد أصبحت أصابعهما كمخالب سوداء حادةٍ قادرةٍ على تهشيم الصخر، ورأى تلك العروق السوداء النافرة التي تنتشر خلال بشرتها ليتأكد أن الطريقة الأولى فشلت... ولكن هذا لم يكن ما يهمه... بل كانت صعوبة تنفّس ابنته، وتلك الآلام المنتشرة عبر جميع أنحاء جسدها هو ما يهمه.

وسرعان ما كان جسد ابنته ينتفض بقوة مما جعله يتراجع إلى الخلف في صدمة ليرى ذلك الغطاء الثقيل الذي أحاط بابنته يتمزق إلى قطع صغيرة على الرغم من عدم تماس ابنته له... أضواء المصابيح بدأت تضعف ليستطيع رؤية تلك الظلال والتي تتحرك عبر الفتحات الممزقة لذلك الغطاء، ولتسري على جسد ابنته... لقد أصبح الأمر خارج سيطرته الآن... كان ستيفن يشاهد ابنته ترتفع عن الأرض بمساعدة تلك الظلال لتنهض مجدداً، ولكن ليس كـ ليز بل كـ كارمن.

ذلك الشيطان ذو العيون السوداء التي أخذت تنظر إليه بابتسامة انتصار كبيرة على شفيتها... لترى تلك الصدمة التي على وجه ستيفن تضحل شيئاً فشيئاً... ولتراه يميل برأسه للأسفل وقد غطى وجهه بكلتا يديه، ولكن ليس لوقت طويل فها هي تسمع ضحكه الهستيري... ولتراه يبعد بين أصابع يديه والتي ما زلت تخفي معظم معالم وجهه،

ولتواجه عينيه الدامعتين عندما رفع رأسه مجدداً... لتواجه تلك السعادة البادية على وجهه والتي لا تتناسب مع تلك الدموع المنهمرة على خديه... لتسمع ذلك الصوت الساخط عندما قال:

- سوف أقتلك أيتها اللعينة..

والذي لا يتناسب مع ذلك الألم واليأس المختلط بداخل صدره.

تراه يُخرج بيدٍ مرتعشة تلك الورقة، والتي كانت السبب في وفاة أبٍ وابنته من قبل... والتي بيده تُفعل مجدداً لنتهي ما فشل به كريس، ولكن بيد ستيفن فتقول في يأس:

- لماذا لا تستطيع أن تستسلم؟؟... لماذا لا تستطيع أن ترى أنك قد خسرت؟!

فأرأته يحاول التنفس بصعوبة من أثر الصدمة التي ما زال تأثيرها بادياً عليه ولكنه قال في غضب:

- لأنني أستطيع الشعور بها... أنا لم أخسر بعدُ يا كارمن... وطالما أن ابنتي تقاوم من أجلي... فلا بد أن أقاتل من أجلها... بالإضافة إلى ذلك... أنا لن أجعلها تنتهي مثلهم...

وسرعان ما جرح ستيفن يده اليسرى بتلك السكين الصغيرة والتي كانت تغلفها تلك الورقة ليبلل إبهام يده اليمنى بدمائه وليضع بصمته عليها.

لكنه سمع ضحكها وهي تقول في سخرية:

- أظن أنك تعلم جيداً أنك بحاجة إلى بصمتي من أجل إكمال التعويذة.. وبالإضافة إلى ذلك أنا أشك أنك قادر على تفعيلها مجدداً.. هل تريد مساعدتي في ذلك؟؟

لكن ستيفن لم يبالٍ لكلماتها ليقول في صوت مرتعش:

- والآن الدماء التي لم يفترض بها أن تلتقي.. قد اجتمعت.. ثم ألقى الورقة على الأرض ونظر إليها في صمت... منتظراً ما سيحدث... مما جعلها تقترب منه قائلة:

- لقد انتهى الأمر يا ستيفن.. ألا تستطيع أن ترى ذلك..؟

لكنه قال في ألم غير مبالٍ لكلماتها:

- ابنتي تقاومك بأقصى قوتها ولا بد أن أكون بجانبها.. لا بد أن أساعدها.. ولا يوجد خيار آخر غير ذلك.

فقال في غضب:

- أنا ابنتك أيها اللعين... لقد فات الآوان على ذلك..

لكن ستيفن كان ما يزال يتحدث إلى نفسه... غير مبالٍ لما تقوله كارمن، حتي أنها شكّت أنه قد يكون فقد عقله، حيث رآته يحدق في تلك الورقة ولا شئ سواها... حيث رآته ينظر إليها بعينين مصدومتين وباكيتين.. ربما كان هذا كل ما باستطاعته فعله في النهاية، مجرد النظر بحسرة إلى ورقة تحوي تعويذة كانت السبب في إرسال أبٍ وابنته إلى الجحيم

مباشرة.

يسمع وقّع خطوات أقدامها وهي تقترب منه بعد أن جثا على ركبتيه ولترفع بيديها رأسه الباكي ليواجهها، وليرى تلك العيون السعيدة باجتماعهما معًا وليراها تقترب برأسها من أذنه اليمنى لتهمس إليه بصوت خافت:

- لقد أصبحنا معًا في النهاية.. ألا ترى أن الأمر قد تحقق أخيرًا..؟

لكنها تسمعه يضحك قائلاً في صوت ضعيف:

- الشئ الوحيد الذي سيتحقق يا كارمن هو أننا سنذهب معاً إلى المكان الذي نستحقه بالفعل..

فقالت في هدوء:

- وما هو؟؟

فأجابها بصوت ساخر:

- الجحيم..

وما إن أتم ستيفن كلمته وبعد أن تساقطت إحدى قطرات دمه من يده النازفة على تلك الورقة حتى رأت كارمن تلك النيران التي تظهر من العدم والتي بدأت تنتشر في كل مكان ليصبح البيت كتلةً من الحطب المتقد بنيران لن تهدأ إلا بعد دفع الثمن والذي سيكون روعيها... مقابل روح ابنته ليز.

كانت كارمن تتراجع في خوف وذعر مما تراه يحدث

حولها.. بل مما تراه ينتشر حولها ويقترب منها.. نيران لا تكتفي بالغذاء على ذلك الأثاث الخشبي فقط كأني نيران عادية.. إنها تلتهم الأرواح.. ولن تهدأ إلا بالتهام الأرواح فقط.. أرواح مثل كارمن أو ستيفن.. فبمجرد رؤيتها لهم سوف تحصدهم بلا هوادة.. هذه كانت خطة ستيفن إن فشلت طريقته الأولى.. وهو أن ينتظر إلى أن تصبح ابنته على حافة الموت وحتى تتمكن تلك اللعينة من جسدها، وعندها يقوم بتفعيل تلك التعويذة.. هذا إن كان محظوظًا!!

صرخت كارمن قائلة:

- كيف؟؟ كيف يمكن أن يحدث هذا؟؟.. لقد راقبتك طوال الوقت؟؟.. أنت لم تحصل على بصمتي قط.. أنت لم تفعل!!

لكن ستيفن نظر إليها في سخرية قائلاً:

- لا.. لقد فعلت ولكن متى؟؟.. كان هذا في وقت لا تتخيلين فيه أن أبًا ضعيفًا مثلي قادر على فعل ذلك..

وهنا تذكرت ذلك الموقف عندما قام ستيفن بمسح إبهام ابنته بتلك الورقة بالمستشفى قبل أن يضع الضمادة على إصبعها مما جعلها تصرخ:

- أيها اللعين.. أتدري ماذا فعلت؟؟.. أتدري ما قمتَ به.. لقد قتلنا من أجلها.. لقد ضحيتَ بنفسك من أجلها!!

لكن ستيفن صرخ فيها قائلاً:

- أنا سأُضحِّي بالعالم بأسره من أجلها.. سأُضحِّي بك
وبنفسي من أجلها.. سأُضحِّي بالكون من أجلها..

مما جعلها تقول في صوت متألم:

- ولكنني لن أموت من أجلها..

فأحْكَم ستيفن إمساكه لتلك السكين الصغيرة ليقول
بصوت متحشرج:

- أنتِ ليس لديكِ خيار آخر..

فقالت في سخرية:

- خيار..؟ أنا أمتلك الكثير من الخيارات..

وأشارت بسبابة يدها اليمنى إليه.. ليجد ستيفن نفسه
يجثو على يديه وركبتيه لا إرادياً، وكأن هناك مَنْ يمسك به
ويجبره على ذلك... لا توجد ظلال تسري على جسده... ولكن
على الرغم من ذلك يشعر بمخالب شئ ما تضغط على يديه
وكتفه... شئ يفوق قوته.. شئ يفوق إدراك عقله البسيط...
إنه يعلم أنها تستخدم قوتها ولكن أين وحوشها؟؟... بالإضافة
إلى ذلك فأشباحها لا تستطيع الظهورَ في الضوء... وهنا سمعها
تقول في صوت حاد:

- لا تقاوم، فهذا نوع خاص من الأرواح... نوع خاص يستمد
قوته منِّي... نوع أسمَّيه عائلتي..

وسرعان ما ظهرت تلك الوحوش... أشباه بشر... كان هذا

أقرب وصفٍ استطاع إخراجه عقلٌ ستيفن لتلك الوحوش والتي تمتلك أجسادًا شبيهة بأي جسد بشري، ولكنها ازدادت طولًا ونحافةً لتبرز تلك العظام خلال أجسادها التي تتميز ببشرة حالكة السواد وتلك الأيدي المنتهية بمخالبٍ حادة، وبذلك العيون المتميزة بتلك القرنية السوداء وذلك البياض الذي تغير لونه إلى اللون الأحمر الدموي.

إنه يرى خمسةً فقط.. أربعةً ممسكين بأطرافه بإحكام.. والأخير ممسك بعنقه جيدًا وقد قام بتوجيه رأسه في عنف إلى كارمن التي أكملت في غضب:

- أنت لا تعلم المجهود الذي بذلته للتو تكلفة ظهورهم... ومدى الضغط الذي أحمله حتى أستطيع السيطرة عليهم..

ثم مالت برأسها بعد أن أمسكت وجهه بكلتا يديها في عطف مكمل في ألم:

- لقد كنتُ مهملةً وفقدتُ من قبل فرصة غالية مثل كريس، ولكنني لن أضحي بشخص مثلك يا ستيفن.

فضغط ستيفن على أسنانه في قوة... بعد أن أدرك أن مقاومته ليس لها فائدة... لقد تخطى الأمر توقعاته.. ولكن هذا الأمر لم يكن الوحيد الذي تخطى توقعاته... فقد بدأ يشعر بتلك القوة تسري في جسده في عنف.. بدأ يرى بشرته التي أصبحت تميل للسواد.. أنامله التي تتحول إلى مخالبٍ حادة.. لقد بدأ يدرك أنه إن لم يتصرف الآن فسوف يفقد كل

شئ، ولكنهم يقيدون حركته بأيدي راسخة وبقوة من فولاذ..
قوى تفوقه آلاف المرات.

بدأ يشعر أنه يُغْمى عليه.. يشعر أنه يفقد الوعي
تدريجياً وقبل أن يسود الظلام عينيه قالت في صوت حنون:
- عندما ينتهي الأمر.. سنجتمع معاً مجدداً، ولكن هذه
المرة لن تستطيع الهروب مني.

وسرعان ما أصبحت عيناه لا تريان إلا الظلام التام.
كان ستيفن يصرخ بداخله محاولاً التخلص من تلك
الوحوش التي قيدت جسده، ولكن مقاومته الأخيرة ذهبت
هباءً عندما أصبح في عالم لا يسوده إلا الظلام التام.. عالم تخلي
عنه المنطق، وأصبح الجنون سيّده.. عالم لا يسمع به سوى
صوت واحد.. صوت صراخ ذلك الطفل البائس مرة أخرى..
ذلك الصراخ الذي يؤلم قلبه بشدة.. ذلك الصراخ الذي يذكره
ببأسه... بضعفه... بألمه... بذكرياته... إنه يراه بالقرب منه بعد
أن شعر بتحرر أطرافه... فيقترب منه في بطء بعد أن وقف
على قدميه المرتعشتين مجدداً.

يراه يصمت أخيراً.. يراه يلتفت إليه قبل أن يقف في بطء..

يراه يقترب منه وقد أطرق برأسه للأسفل في صمت..

يرى عينيه حين يرفع رأسه لينظر إليه..

تلك العيون الممتلئة بالكراهية.. تلك العيون التي تسيل

منها دموعُ حزنٍ دفين

لا تتناسب مع تلك الملامح الباردة لوجهه، لا تتناسب مع
نظرات عينيه القاسية..

يسود الصمت بينهما في البداية قبل أن يرى أصابع يديه
تنضم على بعضها مشكّلة قبضةً صغيرة، يراه يطرق برأسه
للأسفل مجددًا قبل أن يوجه لكمة قوية إلى بطنه.. لكمة
قوية بالنسبة إلى طفل صغير ولكنها لم تؤثر عليه.. لكمة
واحدة تتلوها لكلمات أخرى.. الواحدة تلو الأخرى.. إنه ينهال
عليه بالضرب المبرح، لكنه لا يؤثر على جسد ستيفن بشئ.
لا يوقفه.. لا يتأوه ولا يتكلم.. يتركه يضربه.. يترك لكلماته
تنهال عليه بلا توقف.. حتى يرى يديه قد بدأ يصيبهما
التعب والإرهاق الشديد.

يراه يتوقف أخيرًا عن كيل اللكمات أخيرًا..

يرى صدره يعلو ويهبط نتيجة لتسارع أنفاسه..

تمتد يده اليمنى محاولة لمس رأسه الصغير..

ولكنه سرعان ما يرى يده الصغيرة تمتد مبعّدة إياها عنه..

كان ما يزال الصمت يسود بينهما حتى سمعه يقول
بصوت محتقن:

- لماذا.. لماذا أصبحت بهذا الضعف؟؟

لم يجبه ستيفن وظلّ صامتًا ليسمعه يكمل في ألم:

- لماذا نسيت؟؟.. أجبني لماذا نسيت؟؟

فصرخ ستيفن قائلاً في عنف:

- وما الذي تريدني أن أتذكره؟؟.. بل لماذا تريد مني تذكر ذلك الماضي اللعين؟؟

ابتعد ستيفن عنه ليكمل قائلاً بعد أن أشاح وجهه بعيداً عنه:

- لماذا تريد مني تذكر ماضٍ دمّرني بالكامل؟؟.. لماذا تريد مني تذكر شيءٍ حوّلي إلى مسخٍ غير قادر على التعايش مع مَنْ حولي؟؟.. لماذا تريد مني أن أتذكر شخصاً مجرد رؤيته تثير الآلام المميتة بأحشائي، وتثير غثياني؟؟.. لماذا تريدني أن أتذكر كل هذا؟؟.. لماذا تريدني أن أتذكر ماضياً لعيناً كان سبب تمكّنها من قلبي؟؟.. سبب تمكّن تلك اللعينة من ابنتي..؟ لماذا تريدني أن أتذكره؟؟

- لأنك بنسيانه.. قد نسيت وعدك لي.. قد نسيت آلامنا.. نسيت أحلامنا.. نسيت كل شيء.

لم يلتفت ستيفن إليه بل رآه يمشي ليصبح أمامه مجدداً.. لتتقابل عيونهما مجدداً، وليسمعه يكمل في ألمٍ وبدموع تشتعل بالآلام المتعاركة بداخل صدره:

- لأنك بنسيانه.. قد نسيت شيئاً وعدتني به مراراً وتكراراً.. لقد.. وعدتني..

اقترب منه ستيفن في بطاء قبل أن يجثو على إحدى ركبتيه
ليربت على كتفيه قائلاً في ندم:

- عليك أن تفيق يا صغيري من أحلامك.. عليك أن تفيق
لأن الماضي من المستحيل تغييره..

- لقد وعدتني أن تأخذني إلى مكان بعيد عن ذلك الجحيم
الذي عشت به..

- من المستحيل أن أعود بالزمن إلى الوراء.. ومن المستحيل
أن أخلّصك مما عانيت منه..

- لقد وعدتني أن تزيل كل تلك الآلام التي بداخل قلبي..

- من المستحيل أن أزيل آثار الجراح التي أحدثها الزمنُ
بداخلك..

- لقد وعدت أن تنقذني من تلك الفوضى التي قلبت حياتي
رأساً على عقب.. لقد وعدت بتخليصي من سلاسل جحيم
الماضي.. لقد وعدتني بالحرية.. وعدتني بالأمل.. وعدتني
بالكرامة.. وعدتني بحياة بلا ألم.. لقد وعدتني بكثير من
الأشياء..

لم يجبه ستيفن وظل صامتاً.. ظل صامتاً لبضع ثوانٍ،
ولكنها بدت كقرونٍ طويلة بلا نهاية قبل أن يجيبه أخيراً في
يأس:

- الندم والأسف لن يكونا كافيين.. الألم والدموع لن يكونا

كافيين.. الغضب والكراهية لن يكونا كافيين.. أنا أعلم بكل المشاعر التي تدور بداخلك.. أعلم بتلك العاصفة الهائجة بالآلام بداخل صدرك وقلبك.. ولكن كل هذا لن يفيد.. لأنني لن أستطيع في النهاية أن أوفي بأيٍّ من تلك الوعود التي قلتها لك..

وجد ستيفن ذلك الصغيرَ يبعد يديه عن كتفه في غضب قبل أن يقول بصوت يشتعل بالكراهية المتصاعدة من داخل صدره:

- إذاً عليك أنت أن تفي بوعدك لها.. أن تفي بواجبك تجاهها.. أن تفي بوعدك تجاه ليز التي جعلت منك فارسها الوحيد، والتي وضعت حياتها وقدرها بين يديك.. قاوم تلك اللعينة من أجل تلك الفتاة التي تحاربها حتى أنفاسها الأخيرة من أجلك..

فصرخ ستيفن في غضب:

- كيف؟؟ انظر حولك وأخبرني كيف؟؟.. أخبرني كيف أتغلب على مسخ لم يتغلب عليه أحد من قبلي؟؟.. كيف؟؟.. كيف أتغلب على شيطان أقوى مني آلاف المرات؟؟.. كيف أتغلب على مسخ كان السبب في نهاية العديد من الآباء والفتيات؟؟.. كيف لكائن ضعيف مثلي وبلا حيلة أن يتغلب على شيء كهذا؟!..

- ضعيف.. ممكن..

وسرعان ما وجد ذلك الصغير تمتد يده اليمنى لتمسك
بجبهة رأسه بقوة وإحكام لم يستطع ستيفن التخلص منها
وليجده يكمل قائلاً:

- بلا حيلة.. لا أظن ذلك..

وسرعان ما شعر ستيفن بتلك الآلام تجتاح جسده وبالأخص
عقله.. سرعان ما وجد الدماء تشتعل بداخل شرايين وأوردة
جسده.. سرعان ما شعر بفيضان من المشاعر المتضاربة تغزو
جسده، ولكن الألم ثابت وإن لم يكن في ازدياد.. يمسك بكلتا
يديه يد ستيفن الصغير محاولاً التملص منها بلا فائدة.. ذلك
الطفل الذي أخذ ينظر إليه بعينين قاسيتين قائلاً:

- لا تضع تضحية الجميع هباء.. تلك هي آخر فرصة
أستطيع تقديمها لك.. ذلك هو آخر أمل لك.. ولها.

وسرعان ما يرى ضوءاً أبيض قويا ينطلق من عيني ذلك
الطفل إليه ليتغلغل في جسده عبر عينيه ورأسه، يشعر
بذلك الألم الحارق ينتشر في جميع عظام وعضلات جسده،
ولكن معه أيضاً يشعر باختفاء ذلك الظلام الدامس عن
عينيه ويشعر أنه يعود إلى أرض الواقع مجدداً.

سرعان ما سمع ستيفن صوت ذلك الانفجار، ولكنه عرف
لاحقاً أنه مصدره عندما رأى تلك الوحوش متناثرة في كل
مكان.. ليجد نفسه متحرراً من قبضتها.. وليرى كارمن قد
وقعت على الأرض وهي تصرخ في ألم قائلة:

- كيف؟؟.. لم يستطع أحد من قبل الخروج من ذلك المكان؟!

فقال ستيفن في غضب:

- أنا لستُ أيّ شخص.. إنه أنتِ مَنْ افترض ذلك..

وقبل أن ينقضّ عليها كان هناك مَنْ يلف ذراعيه حول كتفيه وصدره مانعًا إياه من استخدام كلتا ذراعيه ومقيّدًا حركته، مما جعله يميل برأسه للأسفل قبل أن يدفعها للخلف بأقصى قوته صادمًا إياها في وجه مَنْ يمسك به، والذي بدوره تركه واندفع للخلف، ولكن ستيفن لم يكتفِ بذلك بل سرعان ما التفت إليه ثم دفع بذلك الوحش بعيدًا عنه بركلة قوية من قدمه اليمنى بخصره وقبل أن يندفع ستيفن ليكمل هجومه اندفع آخر تجاهه، وأمسك بيد ستيفن اليسرى ولكن يد ستيفن اليمنى أطلقت العنان لنفسها لتمسك برأسه.. ولتدفعه لأقرب حائط قريبٍ منه، وبدون أن يمهله ستيفن أيّ فرصةٍ ليستجمع قواه أمسك برأسه مرةً أخرى ولكن هذه المرة دفع به إلى تلك النيران التي سرعان ما انتشرت على جميع أنحاء جسده.. ولتبدأ عملها في إحراقه بالكامل.. وهنا لاحظ ستيفن أن تلك الوحوش الأخرى التي تتجه إليه بسرعة قد عبرت خلال تلك النيران بلا خوف وبدون أن يحدث لها شيء.. إذاً لماذا تأثر ذلك الوحش بتلك النيران فقط والتي لا يفترض بها أن تؤذيهِ لأن هدفها هو روحه وروح كارمن فقط..؟ ولماذا لم تتأثر بها أي من الوحوش المصاحبة له؟!...

لماذا هو فقط؟؟

سرعان ما قفزت الإجابة إلى عقل ستيفن عندما تذكّر
كلمة قالتها له كارمن وهي..

((عائلتها))

وعندما تذكّر أيضًا تلك الكلمات التي أخبره بها الن..

((شئٌ صغيرٌ وحاد كان بحوزتك طوال الوقت، ومحفور
عليه حروفٌ من اسمها))

- نعم شئٌ صغير وحاد قادر على قتلها وقتل عائلتها أيضًا..

هكذا ترددت تلك الفكرة المجنونة في أرجاء رأسه.. ولكن
لا بد من تجربتها، وهذا ما فعله عندما رأى تلك السكين
الصغيرة التي وقعت منه منذ قليل خلال تلك الفوضى التي
نشبت في ذلك العراك القائم بينهم.. فيميل مسرعًا ممسكًا
بتلك السكين وليوجهها طاعنًا أقرب وحشٍ قريبٍ منه في
صدره.. ولكن لا شئ يحدث له.. بل دفعه ذلك الوحش
في عنف، ليقع ستيفن على ظهره، وسرعان ما انقض عليه
ذلك الوحش، ولكن ستيفن وجّه سكينه إلى رقبته في حركة
عفوية غير مقصودة.. لتنتشر تلك الدماء السوداء على الأرض
وليسقط قتيلًا بجانبه بعد أن دفعه ستيفن بعيدًا عنه.. ليعلم
أن نظريته صحيحة.. إذا كان عليه التخلص من تلك المخلوقات
المرعبة فعليه قتلها بنفس الطريقة التي ماتت بها.. ورأى
ستيفن تلك المخلوقات تتراجع للخلف في بطاء عندما رأت

رفيقها يتحول إلي رماد يتطاير في الهواء.. مما شجعه على التقدم.. ولكنه سمع كارمن تقول في صوت مذعور:

- ما الذي تفعلونه؟؟.. أوقفوه... أوقفوه مهما كان الثمن..

كانت تلك هي الكلمة التي انتظرتها الوحوش لفترة طويلة والتي جعلتها تنطلق بدون أي تردد لجسد ستيفن ليصيب أحدها قدمه، وليقوم أحدها بغرز مخالبه في بطن ستيفن الذي استقبل تلك الآلام الناتجة عن ذلك بتأوه مكتوم.

كان كل شيء يحدث بسرعة.. بدرجة تفوق إدراك عيني وعقل ستيفن ليفهم ما يحدث حوله.. بدرجة تجعله يعلم أنه خاسر لا محالة.. بدرجة تجعله يُقدم على عمل انتحاري وهو قتل كارمن وإنهاء الأمر.. فسرعان ما جرى تجاهها بلا تردد.. ويبدو أن أحدهم قد أدرك هذا فانطلق بسرعة تجاهه وخاصة عندما رأى كارمن تتراجع إلى الخلف لتصرخ في خوف عندما رفع تلك السكين لينقض بها عليها، ولكنه وجّه الطعنة بالقرب من جانبه الأيسر حيث استقرت في بدن ذلك الوحش المنقض عليه، ولكن كَتَفَ ستيفن الأيسر لم يسلم من طعنة مماثلة، ولكن مخالب ذلك الوحش الميت كانت هي السبب بها لتتسبب في جرح غائر ينزف بالدماء.. دماء سوداء.. ولكن هذا لا يوقفه عن التخلص من آخر وحشٍ متبقيين في تلك الساحة.

جسداً مصاب بالكثير من الإصابات.. جسد نازف تنتشر به تلك القوى بلا توقف.. ولكنه في النهاية جسد به روحٌ تائرة..

غاضبة.. حاقدة.. كارهة.. روح لشخص يأبى أن ينهزم.. يأبى أن تصبح ابنته مثل تلك الوحوش التي تعامل معها منذ قليل.. ترى كارمن ستيفن يتقدم إليها بثبات بلا خوف على الرغم من الآلام المنتشرة بقدميه، وعلى الرغم من قُواه الخائفة موجَّهاً تلك السكين إليها، لتعلم بأن نهايتها باتت قريبة.. لتعلم أن حياتها أصبحت على المحك.. مما يجعلها تسرع بوضع يديها على تلك الأرض الخشبية في قوة لتقول في ألم:

- لقد أريتني جحيمك، ولكن الآن دعني أريك المعنى الحقيقي للجحيم..

ولينطلق ستيفن بأقصى سرعته رافعاً تلك السكين الصغيرة وليهوي بها على رأسها التي اختفت فجأة، ولينقض ستيفن بتلك السكين غارزاً إياها في تربة سوداء رطبة.

لقد اختفت كارمن تمامًا، واختفى معها عالمه ليحل عالم آخر.. عالم يسوده ظلام ولكن ليس بتام.. عالم تنتشر به تلك الأشجار ولتحل على أغصانها العديد من تلك الوحوش التي واجهها ستيفن منذ قليل بدلاً من تلك الأوراق الخضراء النضرة.. عالم قاسٍ.. ويستطيع أي شخص معرفة ذلك من تلك السماء التي لم ترَ الشمس من قبل، ومن تلك الأرض التي لم يَطأها ضوء ذلك القمر الذي يسطع في سمائها بسبب تلك الغيوم المنتشرة طوال الوقت ولكن لسبب ما يشعر بأن ذلك المكان مألوفٌ لديه.. يشعر بأن ذلك المكان سبق له أن رآه من قبل.

المكان هادئ طوال ذلك الطريق الذي سلكه ستيفن إلى داخل تلك الغابة غريبة الأطوار والملامح، ولكن على الرغم من ذلك ها هو يتقدم في صمت.. بدون خوف.. يستطيع رؤية تلك الوحوش التي تتربص به من فوق تلك الأغصان.. يستطيع رؤية تلك العيون التي تراقبه خلال ذلك الظلام.. ولكنه لا يشعر بأي خوف، بل لا يستطيع الشعور بذلك الخوف.. وكل ما يحثه على التقدم باستمرار هو ذلك الشعور المتزايد بداخل قلبه بأن ابنته قريبة.. قريبة جدًا منه.

يتقدم خلال ذلك الطريق الممتلئ بالحشائش السوداء، وفي تلك الأشجار الذي تخلق لهاؤها عن ذلك اللون البني ليسوده ذلك اللون الرمادي.. يتقدم إلى تلك الشجرة الكبيرة والتي تتوسط مكانًا خاليًا من أي حشائش.. شجرة سوداء منبوذة.. شجرة فقدت كل معاني الحياة.. شجرة تجردت أغصانها من جميع أوراقها، ولا يجرو أي وحش على التقدم بالقرب منها.

شجرة شبيهة لتلك التي وجدها في تلك الغابة والتي يمر بجانبها كل يوم أثناء عودته من عمله إلى منزله.. تلك الغابة الملعونة الساكنة بأنحاء ريتواسن.. لقد أصبح كل شيء واضحًا الآن.. تقريبًا!!

يلتف خلفه ليراهم جميعًا محدقين به منتظرين ما سيفعله.. كأنهم يحذرونه مما هو مُقدم عليه.. ولكن ما يجبره على ذلك أنه بدأ يسمع أنينَ ونداءَ ابنته الضعيف

يصدر بالقرب من تلك الشجرة اللعينة.. فما الذي سيفعله سوى إنه سيقترّب منها؟؟.. ما الذي بيده سوى أن يلبي النداء؟؟.. نداء ابنته.

إنه يقترب من تلك الشجرة حتى أصبحت على بعد خطواتٍ منه، حيث رآها تقف مستندة عليها مثلما كان منذ يومين سابقين بجوار حرفين من اسمها، عندها تأكّد من الأمر..

إنها تلك الغابة التي عاشت بها عندما كانت ما تزال على قيد الحياة.. إنها أيضًا تلك الشجرة اللعينة التي رآها بذلك الحلم عندما كان يسود المكان ذلك الطقس السيئ والمصاحب له ذلك المطر الغزير.. ذلك المطر الذي بدأ يتساقط للتو.. يتساقط عليه وحوله، ولكنه يأبى أن يمس تلك الشجرة.. يأبى أن يقترب منها.. ثم سمع صوتها تقول في يأس: - لطالما هربتُ إلى ذلك المكان عندما كنتُ على قيد الحياة، ولكنني لم أتخيل أنني سأهرب إليه أيضًا بعد مماتي. ثم نظرت إلى ستيفن خلال ذلك الشعر المنسدل على وجهها ليمتزج مع ذلك الفستان الأسود البالي لها والذي لم يفارقها حتى بعد وفاتها.

رآها تتقدم إليه في هدوء بخطوات بطيئة وثابتة، ولكنها توقفت على بعد خطوتين منه عندما رأت تلك السكين الصغيرة بيده، ولكنها رآته أيضًا يُخرج تلك الفأس الصغيرة

من طيّات ملبسه.. فنظرت إليه في حذر لتقول في صوت جاد:

- أنت تعلم أنك في عالمي الآن..

لكن ستيفن لم يتكلم، واستمر في التحديق بها بنظرة حادة متوعدة بعذاب لا نهاية له في حين أكملت:

- وأنت تعلم ما الذي بإمكانني فعله.. لم يعد لديك أي خيارٍ آخر سوى الاستسلام.. لذا يجب عليك التراجع الآن..

لكنه قال في صوت متحشرج:

- أين هي يا كارمن؟؟

فنظرت إليه كارمن في حيرة مما جعله يصرخ:

- أنا أعلم أنها هنا أيتها اللعينة.. لذا أنصحك أن تريني ابنتي والآن..

فظهرت تلك الابتسامة الساخرة على شفثيها وقالت في تعجب:

- لقد تطورت تلك القوى داخلك بصورة غريبة.. لقد جعلتك مثلي..

ثم رفعت ذراعها الأيمن للأعلى مشيرةً بسبابة يديها اليمنى إلى قمة تلك الشجرة حيث نظر ستيفن ليجد ابنته الواقفة والمقيدة بغصنها الخامس والتي بدأت بفتح عينيها في خوف كأنها تستيقظ من كابوس قاسٍ، والتي لا تعلم أنه

لم يَنْتهِ بعد، لترى أباهما وقد امتلأ جسده بالجراح وتلطخت
ملابسه بالدماء.. لتصرخ في فزع قائلة:

- أبي ما الذي يحدث؟؟

ولكن ستيفن أشاح بنظره عنها لينظر مجدداً إلى كارمن..
التي أومأت رأسها بالنفي.. محذرة إياه مما سيقبل عليه
بابتسامة ساخرة.. فيميل برأسه للأسفل.. ويطلق نَفَسًا طويلاً
من صدره يتبعه نَفَسٌ طويلٌ آخر يسحبه إلى داخله.

يشعر بتلك الارتعاشة تسري بيده مجدداً.. يشعر بذلك
الضغط يزداد على صدره مجدداً.. يشعر بذلك اليأس الذي
يسري بين عروقه، والذي يرهق عضلات جسده التي بدأت
ترتخي للتو.. يشعر بالاستسلام لقطرات المطر الباردة التي
تتساقط على رأسه، ولذلك النسيم البارد الذي بدأ يزيل تلك
الحرارة العالية من داخل جسده الثائر.. لقد فعل كل ما
باستطاعته لإنقاذ ابنته، ولكن الأمر خرج عن سيطرته نهائياً،
وليصبح القرار بيد كارمن الآن وما عليه سوى الاستسلام لها.

تلك النظرة التي شاهدها في عينيها عندما رفع رأسه
لينظر إليها مجدداً.. تلك الدموع التي تتساقط على وجنتيها..
تلك الآلام التي تمزق قلبها وقلبه.. تلك الذكريات التي عاشها
معها تجعل قلبه يشتعل بالغضب مجدداً.. تلك الكلمات
التي قالتها له عندما كانت بالمستشفى:

... ((إن لم يكن من أجلي... فسيكون من أجلك))...

تزيد من إحكام قبضة ستيفن على تلك السكين الصغيرة والتي رفعها للتو في وجه كارمن والتي قالت في أسف وألم:

- لقد كنتُ أتمنى نهاية أخرى غير ذلك يا ستيفن، لكنك لا تترك لي أيَّ خيارٍ سوى قتلِكَ.

قتالٌ غير متكافئ.. قتالٌ غير عادل.. قتالٌ ليس به أي فرصة للفوز.. هذا ما كان يتخيله ستيفن عندما كان يقرأ لـ ليز تلك الرواية المصورة عن ذلك الفارس المُسنّ الشجاع وكيف حارب من أجل أميرته مئاتٍ بل آلافٍ من تلك الوحوش.. لطالما أراد إخبارها أن انتصار ذلك الفارس من المستحيل حدوثه وأنه كان من المفترض به أن يلقى حتفه عند مواجهته لأول خصم يقابله.. الشجاعة وحدها لا تكفي.. القوة وحدها لا تكفي.. القاعدة معروفة للجميع ولكن لأن الكتاب مصمَّم لأطفال ولأن طفلاته تؤمن بوجود ذلك الفارس الشجاع بشدة.. لم يستطع يوماً أن يخبرها بحقيقة الأمر.. ولكنه لم يدر يوماً أن طفلاته ستشاهد فارسها يلقى مصرعه بعد أول مواجهة له لوحشين سريعين، مخالب أحدهما قد اخترقت صدره من الأمام، والآخر أصاب بدنه بجراح قوية وقاتلة من الخلف.. لم يستطع حتى أن يلمس أحدهما.. لقد خسر المواجهة منذ اللحظة الأولى.

فقط الألم هو ما يشعر به، ليس ألم الموت بل ألم الانكسار.. ألم الفشل.. ألم الخوفِ على حياة ابنته والتي أخذت تبكي وتصرخ حين رأت ذلك الوحش يرفع جسد والدها بواسطة

تلك المخالب له والمتغلغلة بصدر ستيفن ليقابل وجهه تلك السماء الباكية.. وليختطف لمحة سريعة لوجه ابنته الباكي والمردد لكلمة واحدة كانت المبرر لكل أفعاله في الأيام والأسابيع الماضية..

((أبي))

كان يشعر بالظلام يتغلغل بصره مرة أخرى.. مقاومة جسده لما يحدث تنهار مع مرور الوقت.. كاد يستسلم للأمر بالفعل لولا سماعه له يقول في هدوء:

- أتستسلم الآن؟!

التفت ستيفن في صعوبةٍ إلى ذلك الطفل الصغير السائر بين تلك الوحوش المتجمدة حركتها في هدوء.. الأمر كان صادمًا له حين رأى كارمن أيضًا متوقفةً بلا حراك.. ولكنه سرعان ما رأى أيضًا تلك الوحوش تتلاشى وتستحيل رمادًا حين مر ذلك الطفل بجانبها، ما عدا ذلك الوحش الممسك به.. حينها أدرك أن كل ما يحدث حوله هو مجرد خيالٍ في عقله.. وأن ما يمر به بكل بساطة هي لحظات ما قبل الموت.

- لم تُجنبي.. أتستلم الآن؟!

لم يجبه ستيفن، واكتفى بالنظر إلى تلك السماء التي ازدحمت بها الغيوم.. خاصة بعد أن وجد أيضًا أن جسده من المستحيل له تحريكه، وأن كل ما يستطيع التحكم به هو رقبته ورأسه..

لقد ساد بينهما الصمتُ لوقتٍ قصير، ظل فيه ستيفن
محدقًا بتلك السماء الباكية قبل أن يجد ذلك الصغيرَ يسأله
مجددًا:

- لماذا تلك الفأس..؟ أنا أعلم أنك اخترتَ تلك السكين
الصغيرة لأنها الوحيدة القادرة على إيذاء كارمن.. ولكن لِمَ
الفأس..؟ لماذا تلك الفأس الصغيرة الصدئة؟؟
- أنت تعلم الإجابة مسبقًا..

لكنه تظاهر بعدم سماعه لرد ستيفن ليكمل قائلاً:
- كان بإمكانك إحضارُ أي سلاحٍ قوي آخر.. مسدس.. رشاش
آلي.. ولكنك فضّلتَ مواجهتها بفأسٍ صغيرة ذات نصلٍ صديء.
- أنت تعلم الإجابة مسبقًا..

- لقد واجهها العديد من الآباء بأسلحةٍ شتّى وقوية.. لقد
واجهها كريس بلعنة دامية.. حتى الن كانت بجعبته حيلةً
قوية.. ولكنك فضّلتَ إحضار تلك الفأس الصغيرة الضعيفة
أمامها..

- أنت تعلم الإجابة مسبقًا..

قالها ستيفن بصوت واهن وبقلب متألم وبدموع تسيل
على خديه بغزارة وبلا توقف قبل أن يسمع ذلك الطفل
يقول بصوت مماثل:

- لقد تذكرت..

- لقد حاولت غسلها كثيراً..

- لقد تذكرت أخيراً..

- كلما رأيته.. كنتُ أرى تلك الدماء على نصلها..

- لقد تذكرت بولت..

- كلما حاولت التخلص منه كنت أعود بالنهاية حاملاً إياه في يدي..

- لقد تذكرت ما حدث..

- لقد حاولتُ إنقاذه وفشلتُ..

- لكنك حاولت..

لم يجبه ستيفن واستمر في تحديقه في تلك السماء المزدحمة بالغيوم.. تلك السماء التي ما تزال تنهمر دموعها قبل أن يتكلم أخيراً قائلاً في ألم:

- أستطيع تذكّر كل شيءٍ كأنه قد حدث بالأمس.. أستطيع تذكّر كل شيء..

لم يُعلّق ذلك الطفل الصغير على ما قاله، واستمر في الاستماع إليه يكمل بصوت شابه نحيبٌ مكتوم:

- شمس الظهيرة في السماء.. بولت.. ذلك الكلب المُسن والذي أخذ يشده والذي بحبلٍ غليظ قد ربطه حول رقبتة في عنف.. ذلك اللعين المخمور الذي أخذ يترنح أمامي بعد انتهائه من شرب زجاجته اللعينة منذ قليل.. وأنا أمشي

وراءهما في يأس.. لقد أخبرني حينها أن بولت يعاني.. وأنه قد قرر تخليصه من ألمه.. وأنه يجب على مساعدته في ذلك..

ثم تنهد ستيفن في يأس قبل أن يكمل في مرارة وحزن:

- لا أتذكر عمري حينها.. ولكني أتذكر أنه كان لا يسمح لي بمشاهدة ما حدث.. ذلك الكلب المُسن.. كان الشئ الوحيد المتبقي من الذكريات الجميلة والتي أصبحت عودتها شيئاً مستحيلاً..

اشتدت قبضة ستيفن - على الرغم من أنه ليس من المفترض حدوث ذلك - على تلك الفأس حين قال في ألم شديد:

- لقد لمحت تلك الفأس بين طيات ملابسه.. ولكن هذا لم يُثر الشك في قلبي حينها.. فهو يحمله معه كثيراً.. لم أكن أعلم بما كان ينويه حينها.. لأنني لو كنت أعلم.. لكنت أسرع بأخذ تلك الفأس..

ثم سرعان ما لاحظ ذلك الطفل تغير نبرة صوته لتصبح قاسية وليسمعه يقول في عنف:

- ولكنك غرزته في صدره.. نافذاً بها إلى قلبه..

ثم صمت ستيفن لوهلة التقط فيها أنفاسه المتسارعة قبل أن يتأوه بصوت مكتوم، وقبل أن يكمل في غضب امتزج بذلك الألم المتصاعد من قلبه وصدره:

- لقد توغلنا مسافةً كبيرة بداخل تلك الغابة القريبة من

منزلنا.. توغلنا مسافة تسمح له بفعل ما يريد بدون أي إعتراض من أحد.. رأيته يجلس بجسدٍ خائر القوى مستنداً بظهره على إحدى الأشجار الكبيرة.. رأيته يحرر رقبةً بولت من ذلك الحبل الغليظ ليُجْلِسَهُ بين قدميه ضامًا إياه إلى صدره.. رأيته يأمرني بالوقوف أمامه ومساعدته حين يطلب ذلك.. رأيته يضم ذراعيه على رقبة بولت.. في البداية اعتقدتُ أنه يداعبه.. حتى سمعت أنينَ بولت وتأوّه المكتوم.. حتى رأيت محاولاته اليائسةً في الإفلات من قبضته.. جسد والدي المخمور لا يستطيع إحكام السيطرة على ذلك الكلب المستغيث لحياته.

- لقد أصابك الذعرُ والخوف..

- لقد أصابني هولٌ ما أرى بصدمة حادة لم أستطع خلالها تنفيذَ أمره..

- لقد كان يحاول خنقه، وقد توقَّع منك أن تساعد في ذلك..

- لم أستطع فعل شيء في البداية..

- لذلك صرخ فيك ليأمرك بتثبيت قدميه..

- لقد تحركتُ تجاهه بالفعل..

- لكنه توقَّع أنك قد امتثلتَ لأمره..

- لقد اقتربتُ إليه في سرعة..

- لقد توقَّع أنك ستثبَّت أقدامه كما طلب منك..
- لكنه فوجيء بيدي تمسك بذراعه محاولةً تخلص بولت من ذلك الحصار الذي تعرَّض له..
- لقد ذُهِل.. بالإضافة إلى كونه مخموراً.. كل هذا جعل بولت بإمكانه تخلص رقبته..
- لن أنسى تلك النظرة المتألمة بعينه.. حين قام يعضه في يده اليمنى..
- لقد ترك بولت بالفعل.. ولكن حين أدرك فشله في القيام بالأمر بسبك..
- قام حينها بصب جام غضبه عليّ..
- لقد صفعك بقوة..
- صفقة أوقعتني أرضاً في الحال..
- لكنه لم يكتفِ بذلك..
- لقد انهال على باللكمات والركلات بلا هوادة..
- حينها عاد..
- لم يستطع ستيفن حينها أن يكمل الحديث والتزم الصمتَ التام.. ليس لعدم قدرته على ذلك، بل بسبب ازدياد الآلام المتصاعدة بداخل صدره.. آلام الموت وآلام الماضي المرير الذي بدأ يوقظ بداخله غضبا هائلا لا يمكن إيقافه.

نحيبُه أصبح من الصعب كتمانُه.. دموعه الساخنة
امتزجت بقطرات المطر الباردة.. مشاعرُه الهائجة أصبح من
الصعب السيطرة عليها وخاصة عندما أكمل ذلك الصغير:

- لم يكن بولت مجرد كلبٍ عادي بالنسبة لك حينها.. لقد
كان بالفعل كلبٌ والدك، والحيوانَ الأليف الخاص به، ولكنه
كان بالنسبة لك أكثر من مجرد حيوان..

- لقد كان صديقا.. رفيقا.. شخصا أحكي إليه ما بنفسي من
آلام.. لقد قضينا معًا أياما وشهورا وسنواتٍ طويلةً خلفتُ
ذكرياتٍ كثيرةً من المستحيل لي أن أزيلها من رأسي.. لقد كان
بالنسبة لي أكثر من مجرد كلبٍ عادي.
- لقد كان وفيا لك.. لقد عاد من أجلك..

- ليتَه لم يَعد.

- لقد قام بالهجوم على والدك، والذي يُعتبر سيّدَه حين
رأى صديقه في خطر.. حين رأى رفيقه يعاني.. لقد عضّ قدمَه
اليسرى..

- ليتَه لم يَعد.

- لقد قام بإيلاَم ذلك اللعين بشدة حتى يتركك.. لكنه كان
كلبًا مُسنًّا في النهاية..

- ليتَه لم يعد.

- لقد حاول والدك التخلص من فكّيه بضربه بقبضات يده

في البداية..

- ليتَه لم يعد.

- ولكن حين اشتد الألم.. كان قد قرر التخلص منه بالطريقة
الأصعب لك.. والأسهل له..

- ليتَه لم يعد.

- لقد قام بإخراج تلك الفأس الصغيرة من طيات ملابسه
و.. و..

وسرعان ما وجد ستيفن ذلك الطفل يشاركه النحيب..
سرعان ما وجد دموعه تسيل مثله على وجنتيه.. سرعان ما
تلاقت أعينهما مجددًا حين التفت ستيفن إليه.

عينان متألمتان.. عينان يغمرهما الحزن الشديد.. عينان
تصرخان بالألم.. عينان تحتضران بأنصال الذكريات المؤلمة.

سرعان ما وجد ستيفن ذلك الصغيرَ يكمل في ألم امتزج
بغضب شديد بدا واضحًا على معالم وجهه الصغيرة:

- لقد سألت الدماء من أنوفنا وامتزجت بلعابنا، ولم نكن
نَقوى على القيام بعد ذلك الضربِ المبرح الذي تعرضنا له..
ولكن ما رأيناه، لم نكن لنستطيع السكوت عليه.

- لم يَهن عليه حتى أن ينزع تلك الفأس من رأسه..

- كان يترنح أمامنا.. كان يولينا ظهره حين طلب مِنّا وبكل
بساطة أن نقوم بدفنه..

- لكننا قررنا أمرًا آخر..

- لقد وقفنا بالفعل وانتزعنا تلك الفأس بصعوبة من رأس بولت.. وجرينا تجاهه وقد صرخنا بأعلى صوتنا..

- أعتقد أن صراخنا كان السبب في اكتشافه ما قررنا القيام به..

قالها ستيفن في سخرية وهو يستمع لذلك الطفل يقول بكراهية شديدة:

- لولا التفاته إلينا لكانا قد قُمنَا بخرز تلك الفأس في ظهره بالفعل..

- لكنه التفتَ إلينا واكتشف قدومنا بتلك الفأس تجاهه..

- لقد استطاع الإفلات بسرعةٍ من هجومنا.. ولكنه لم يكتفِ بذلك..

- لقد قام بإيقاعنا أرضًا، واستطاع نتيجةً لقوته ولتفوقه في الحجم في الحصول على تلك الفأس من أيدينا..

- لقد توقعنا أنها النهاية..

- لقد هوى بتلك الفأس تجاه رأسينا..

- لكنها وقعت بجانب أذاننا مباشرة.. ثم أمسك بعدها برقبتنا ليقول بصوت أجش..

((هل أنت مستعد لذلك يا فتى؟؟))

- هل نحن مستعدان؟!

- هل نحن مستعدان؟!

- لم نستطع أن نجيبه ليس بسبب عدم قدرتنا على ذلك.. بل بسبب رؤيتنا لعينيه القاسيتين واللتين لم تعودا تنبعان بالحياة كما كانتا من قبل.. بسبب صوته ذي النبرة القاسية وهو يخبرنا أنه السبب في إعطائنا الحياة، وأنه مستعد لأخذها منا مجددًا، وأنه لم يعد يخشى أي شيء حتى الموت نفسه، وأنه لم يعد يهتمه أي شيء.. ولكن بالنسبة لنا هل نحن مستعدان؟؟

- هل نحن مستعدان لمواجهة ذلك المسخ الذي سنصير إليه حين نقوم بذلك.. هل نحن مستعدان؟؟

لم يتكلم أي منهما بعد ذلك، ليسود بينهما الصمتُ لوقت ليس بقصير ولكنه بدا كدهرٍ من زمن لا نهاية له، قطعه ذلك الطفل الصغير حين قال في صوت قاسٍ:

- لم نكن مستعدين حينها.. ولكن الآن!!

لم يعلق ستيفن على ما قاله واكتفى بسماعه له يكمل في صوت أجش:

- أنت تعلم يا ستيفن أنه لا مفر من مواجهة ذلك السؤال، وأنه قد حان الوقت لتجيبه.

- أنا لا أستطيع هزيمتها.. أنا أحتضر بالفعل..

- الموت بوادي الظلال لهُو مجرد اختيارٍ لك.. اختيار سقوطٍ ومعاناة لك لاحقًا.. اختيار الموت والألم لابنتك.. الموت هو الاختيار الأسهل..

التزم ستيفن الصمتَ مجددًا ليسمعه يكمل في ألم وقد اقترب منه في يأس:

- أنت تعلم لماذا فشل الجميع مِن قبلك؟؟.. أنت تعلم لماذا لم يستطع أي من قبلك هزيمتها؟؟.. الأمر كان واضحًا وبشدة ولكن عيونهم كانت عمياء.. أو لربما كانت الإجابة مكلفة وباهظة الثمن.

التفت ستيفن إلى السماء مجددًا حين سمعه يسأل في عنف:

- إلى أي مدى أنت مستعد للتضحية من أجل ابنتك؟؟

لم يجبه ستيفن واستمر في تحديقه إلى تلك السماء الباكية قبل أن يسمعه يعيد سؤاله:

- إلى أي مدي أنت مستعد للتضحية من أجل ابنتك؟؟

- إلى أقصى مدى ممكن أن تتخيله..

- إذًا أنت تعلم ما عليك فعله.. تعلم ما أعاقهم عن إنقاذ بناتهم.. تعلم سبب الفشل الحقيقي..

- أعلم أن جسدي يعيقني عن ذلك.. أعلم أن دمي وذلك اللحم الذي يغطي عظامي يعيقني عن ذلك.. أعلم أن روحي

وعقلي يعوقانني عن ذلك.. أعلم أن حبي لها يعيقني عن ذلك.. أعلم ما أنا بحاجة إليه ولكنني.. لا أستطيع..

- أنت لم تحضر تلك الفأس.. لأنها ذكّرتك بما حدث.. فما حدث لا يُنسى.. بل لكي تُذكّرك بسؤال واحد بسيط..

((هل أنت مستعد للتضحية بكل شيء من أجلها؟؟.. هل أنت مستعد أن تكون وحشًا من أجلها؟؟))



انسالت تلك الدموع على خديها حين رأت جسده يتوقف عن الحركة أخيرًا.. لم تتوقف قط عن تكرارها لكلمة واحدة كانت الملامذ والمبرر لكل أفعاله خلال الأيام والأسابيع السابقة.

((أبي))

ازداد صراخها حين رأت ذلك الوحش يليقه أرضًا منتزعًا مخالبه من صدره.. لينظر إلى كارمن التي نظرت إلى جثة ستيفن في صمت وقد غلب الحزن على ملامح وجهها المختفي وراء ذلك الشعر الغزير المنسدل على وجهها الشاحب.. ثم أطرقت برأسها للأسفل في أسف.. قبل أن يتمكن منها شعورٌ لم تشعر بمثله من قبل.. شعور أصابها بالهلع الشديد، وخاصة عندما عادت لتتنظر إلى جثة ستيفن التي رأتها ترتقي للحياة في ببطء.. رأت ظلالًا سوداء تساعد جسده على الوقوف مجددًا مثلها تمامًا!!.. قبل أن يفتح عيونيه المغلقين لتصبح مضيئة بضوءٍ أبيض قوي.

كل شئ حدث بسرعة شديدة.. لقد أطاح ستيفن برأس ذلك الوحش الذي تمكن منه منذ قليل بواسطة تلك الفأس الصغيرة والتي تبدل لون نصلها إلى اللون الأسود القاتم.. لتستقر رأسه بالقرب من قدمي كارمن، وليخر ذلك الوحش صريعاً في الحال بجانب أقدام ستيفن.

ولكن الفأس لم تكن الشئ الوحيد الذي صاحبه تغيرات.. فجسد ستيفن أيضاً قد حدثت به الكثير من التعديلات.. جسده أصبح أكثر نحافة.. لون بشرته قد تبدل لتصبح سوداء قائمة.. أسنانه قد استحالت إلى أنياب حادة قاتلة.

كل تلك التغيرات التي رأتها كارمن بجسد ستيفن جعلتها تضغط على أسنانها في عنف قاتلة في صوت متحشرج وبألم واضح:

- إلى تلك الدرجة أنت مستعد للتضحية من أجلها؟؟

ولكنه لم يجبها.. بل نظر إليها في صمت بعينين قاسيتين باردتين.. وقبل أن يتحرك ستيفن في سرعة إليها وضعت كارمن يديها مجدداً على الأرض الصلبة أسفلها لترتفع تلك البقعة الصغيرة التي تشمل تلك الشجرة الوحيدة لها عالياً في السماء، ليصبح ستيفن أمام تل عالٍ تنظر من عليه كارمن بابتسامة ساخرة بعد أن أشارت إليه.. ليلتفت خلفه ليجد تلك الوحوش تهرول نحوه.. وليجد تلك الوحوش تشهر مخالبها نحوه.

قتال غير متكافئ.. قتال غير عادل.. قتال ليس به أي فرصة للفوز.. هذا ما تعرضت له تلك الوحوش البائسة عندما اندفع ستيفن مطيحًا بها الواحد تلو الآخر.. مخالباها تصيب جسده، لكنه لم يعد يشعر بأي ألم.. الجراح تنتشر عبر بدنه، ولكنه في المقابل يزيل رؤوسها عن رقابها.

وسرعان ما رآته يصعد ذلك التل إليها بسرعة عالية، وهو يطرح مَنْ يقابله من الوحوش أرضًا، ولا يكتفي بذلك بل وينتزع رأس خصمه على الفور واضعًا حدًا لحياته.. حتى وصل إليها.. كانت الدماء تلتخ ملابسه.. دماء ضحايا السوداء.. دماء جراحه السوداء والتي بدأت تلتئم ببطء شديد.

كانت تعلم أن الحديث معه لم يعد له فائدة، وأنه قد ضحى بعقله وروحه مِنْ أجلها، مَنْ أمامها ليس ستيفن.. بل ظله أو ما تبقى منه.. مجرد وحش قد جُردَ من المشاعر والفكر، ولا يدور برأسه سوى شئ واحد فقط وهو قتلها.

رأته يتقدم إليها في ببطء قبل أن تزداد سرعة قدميه ليصبح مهرولًا تجاهها.. رافعًا تلك السكين الصغيرة ليطيح برأسها.

لم تتحرك ولم تتراجع.. لم يتمكن منها الخوف ولو للحظة.. حتي أصبح على بعد بضعة خطوات منها لتشير إليه مجددًا بسبابة يدها اليمنى.. ليرى تلك الفروع والأغصان تنطلق من الأرض لتلتف حول قدميه ولتقيّد ذراعيه بعيدًا.

ليصبح عاجزاً عن الحركة، وخاصة حين استحالت تلك الأغصان لتصبح قيوداً حديدية من المستحيل التملص منها.. من المستحيل الإفلات منها.

رآها تقترب منه في بطء حتى أصبحت على بعد ثلاث خطوات منه.. لتقول في غضب شديد:

- إلى هذه الدرجة أنت مستعد للتضحية من أجلها؟ إلى هذه الدرجة أنت تحبها؟.. إلى هذه الدرجة أنت وفيّ لها؟؟

ثم أشارت إليه مجدداً ليرى تلك السلاسل تغوص بالأرض لتجبره على أن يصبح جائئاً على ركبتيه حتي يصبح وجهه مقابلاً لوجهها لتقترب منه أكثر حتى أصبحت على بعد خطوة واحدة منه، لترأه بعدها يحاول التقدم في عنف بوجهه محاولاً التهام وجهها بفكيه وبأنيايه الحادة، ولكن تلك السلاسل أعادته إلى مكانه في عنف مجدداً قبل أن يحدث ذلك.. ولكن الهواء الساخن المنطلق من صدره عبر فمه والذي أزاح خصلات شعرها بعيداً عن وجهها كان كافياً لإيصال تهديده.

لم تخف ولو لحظة واحدة حين امتدت يدها الصغيرة لتمسك بفكه السفلي في قوة وعنف وهي تكمل:

- هل تظن أنك بتضحيتك هذه قد أنقذتها؟.. هل تظن أنك بتخليك عن إنسانيتك قد تكون قادراً على إنقاذها؟.. هل تظن أنك قادر على مواجهتي عبر ذلك الجسد؟؟

ثم تركته في عنف قبل أن تضغط على أسنانها في قوة
قائلة:

- إذا كنت تريد أن تعرف معنى أن تصبح وحشًا.. فسأريك
كيف تحقق ذلك؟؟.. سأريك يا ستيفن المعنى الحقيقي
للوحوش.. سأري عينيك هذه الطريقة.. ستراه بإرادتك أو
بغيرها.. سترها شئت أم أبيت.

ثم سرعان ما أولته ظهرها لتندفع بعيدة عنه تجاه
تلك الشجرة.. تجاه ابنته التي نظرت إليها في فزع شديد..
رأها ترفع يدها اليمنى في بطء عالٍ.. لتندفع تلك السكين
متملصة وهاربة من يد ستيفن إليها، لتقع في راحة يدها
الصغيرة والتي أمسكت بها بدون أي تردد.. رأها تندفع تجاه
ابنته بلا شفقة.. بلا ألم.. بلا خوف.

كان يقاوم أغلاله بأقصى قوته ولكن بلا فائدة.. كان يحاول
التملص منها بأي طريقة ولكنها كانت تقيد حركته بإحكام.

كان يراها تقترب في بطء من تلك الشجرة.. يستطيع أن
يرى نهاية ابنته باتت قريبة.. لربما يكون قد فقد عقله..
لربما يكون فقد إنسانيته.. ولكنه لم يفقد غريزته الأبوية بعد..
لم يكن بحاجة للتفكير من أجل أن يرى أن قَدَر ابنته
أصبح متوقفا الآن على تصرفه.. فيصرخ في غضب قبل أن
يندفع بتلك الأغلال تجاه كارمن في عنف.

يستطيع أن يحطم تلك الأغلال الممسكة بيده اليسرى

والحاملة لك الفأس الصغيرة.. تشتد مقاومته.. فيحطم
القيود الأخرى الممسكة بقدمه اليمنى.. ثم سرعان ما يحطم
تلك المقيدة لقدمه الأخرى ليتبقى تلك الأغلال المقيدة ليده
اليمنى

يرى كارمن تلتفت إليه بابتسامة ساخرة بعد أن أصبحت
على بعد بضع خطوات من تلك الشجرة، قبل أن تشير إليه
مجددًا بسبابة يدها اليمنى، لتبدأ تلك الأغلال في الاندفاع
بقوة تجاه الأرض جاذبة إياه معها.. يقاوم تلك الأغلال
المعدنية والتي استحال لونها للأسود.. يحاول تحطيمها
بواسطة تلك الفأس ولكنه يفاجأ بتحطم جزء من نصل لك
الفأس وبعدم تأثر تلك الأغلال.

يشد غضبه قبل أن يطلق صرخة عالية، وهو يلتفت إلى
كارمن التي لم يعد يفصل بينها وبين تلك الشجرة اللعينة
سوى ثلاث خطوات.

يعلم ما عليه فعله.. يعلم ما يجب أن يتم التضحية به..
يعلم ذلك حين ينظر إلى ذراعه اليمنى في غضب.

إنها تعيقه عن حماية ابنته.. إنها تعيقه عن هزيمتها..
إنها تفصل بينه وبين هدفه.. إنها نقطة ضعفٍ ويجب
التخلص منها في الحال.. وهذا ما فعله حين رفع تلك الفأس
عاليًا ليهوي بها بكل ما أوتي من قوة عليها.

كل شئ حدث بعد ذلك بسرعة شديدة لم تتوقعها كارمن

التي سمعت صراخ ستيفن يجري بسرعة هائلة تجاهها.. نظرة الفرع تجتاح عينيها حين ترى ذراعه اليمنى أو ما تبقي منه قد بُترت بواسطته.. معالم الخوف والهلع الشديد تجتاح ملامح وجهها الشاحب حين تراه يقفز عاليًا تجاهها قبل أن ينقض عليها.. لقد علمت أنها النهاية، خاصة حين رآته يرفع تلك الفأس عاليًا ليهوي به على جسدها وهو يصرخ بصوت أجش هاتفًا باسمها.. إنها النهاية لها بالتأكيد.



كانت تنظر إليه في ذهول غير مصدقة ما حدث.. كانت تتبادل النظر بين ذلك السكين المغروز بصدرها وبين والدها الذي ابتعد عنها في بطة.. بعد أن افلتت يده مقبض ذلك السكين الصغير.

كانت الدموع تنسال على وجنتيها بغزارة.. قدماها بالكاد تقويان على حملها.. دماؤها تسيل من ذلك الجرح الكبير بصدرها لتُبلل فستانها الأسود البالي.

أرادت أن تستند به ولكنه ابتعد عنها تاركًا جسدها يسقط أرضًا.. كانت قد وقعت على ظهرها.. كانت تنظر إليه في ألم.. أرادت التفوه بالكثير من الكلمات ولكن جسدها الواهن لم يسمح لها بذلك.

أرادت أن تخبره أنها قد فعلت كل هذا من أجله.. أرادت أن تخبره أنها قد فعلت ذلك من أجل مساعدته.. من أجل

أن يتحرر من أغلال عائلة لا تعرف قيمته.

أرادت أن تخبره أنها لا تريد الموت بل تريد أن تعيش معه..
تريد أن تقضي كل عمرها معه.. بل تريد أن تبقى معه للأبد..

أرادت أن تسأله لماذا فعل ذلك؟؟.. لماذا قتلها بدماء باردة؟؟..
لماذا لم يعطِ لها الفرصة لكي توضح سبب فعلها لكل ذلك؟؟

أرادت أن تخبره أنها لا تستحق تلك النظرات القاسية
والتي يرمقها بها الآن.. أرادت أن تخبره أنها تشعر بالبرد يغزو
جسدها على الرغم من ذلك الحريق الهائل المشتعل بكافة
أرجاء المنزل.

أرادت أن تخبره أن يضمها إليه حتي تخبره بوداعها الأخير..
أرادت أن تخبره أنها قد أحبتَه حبًّا شديدًا.. وأن حبها له
سيكون خالدًا.

الكلمات تأبى الخروج من فمها، وكل ما تستطيع فعله هو
النظر إليه في صمت.. النظر إليه في ألم.. النظر إليه في رجاء ألا
يرحل ويتركها تواجه الموت بمفردها.

أرادت أن تتوسل إليه راجية إياه أن يبقى معها ولو
قليلاً، ولكن فمها يأبى أن يقول أي شئ.. تراه ينظر إلى أفراد
عائلته في ألم.. ترى الدموع المذروفة من عيونيه لأجل عائلته
وليس لأجلها، فيزيد ذلك من آلام قلبها النازف.. ترى نظرات
الكرهية المندفعة من عينيه تجاهها فيزيد ذلك من دموع
عينها الباكيتين.

تقترب أصابع يدها اليمنى في ببطء في محاولة فاشلة منها لتلمس حذاءه، ولكنها تراه يبعد قدميه عنها، تستمر في إرهاق ذراعها محاولة الاقتراب منه مجدداً ولكنها سرعان ما تراه يبتعد عنها بضع خطوات.

تراه ينظر في قلق إلى تلك النيران المشتعلة بأرجاء المنزل، وقد بدأ يزداد لهيبها، وقد بدأت تقترب منهم.. تراه يتحرك مبتعداً عنها تجاه باب المنزل.. تراه يفتحه في عنف بعد أن أبدى بعض المقاومة له في البداية.

تراه يلقي نظرة أخيرة عليها.. تراه ينظر إليها في غضب وألم.. تراه يندفع مبتعداً خارج المنزل حين تساقطت بعض الألواح الخشبية من السقف بالقرب منه.

لكنه لم يكف عن النظر إليها، وخاصة حين يراها ترفع يدها الواهنة تجاهه، فيرمقها بنظرات كراهية لا نهاية لها قبل أن يولي ظهره لها، ليركها وحيدة بداخل ذلك المنزل المشتعل محاطة بجثث عائلتها.. مختفياً في ظلام الليل.. متلشياً بين أشجار تلك الغابة الملعونة المحيطة بمنزلهم.

كانت ما تزال ترفع يدها الواهنة تجاهه، حتى حين بدأ ذلك الظلام يغزو عينيها صارخةً بكلماتٍ لم يستطع فمها النطق به

((أرجوك لا تتركني وحيدة.. لا تتركني أواجه الموت بمفردي))



استطاع ستيفن الرؤيةً مجددًا بعد تلاشي ذلك الضوء الأبيض القوي عن عينيه، وخاصة بعد رؤيته لحلم بل لكابوس كان صادمًا بالنسبة له وبقوة، ليجد أن عالم كارمن لم يعد له وجود، وأنهم قد عادوا مجددًا إلى منزل أبيه المشتعل.

استطاع أن يرى جسده يعود إلى طبيعته الشاحبة !!.. استطاع أن يرى يده اليمنى تنمو مجددًا لتعود كما كانت، ولكن كل هذا لم يكن مفاجئًا قدر رؤيته لـ كارمن قد انفصلت عن جسد ابنته، والتي بدأت تستيقظ للتو من ذلك الكابوس الذي رآته في تلك الغابة الملعونة.. لكنها لم تدري بعد أن ذلك الكابوس لم ينتهِ

رأى كارمن الطريحة أرضًا على ظهرها تنظر في ألم إلى تلك الفأس المغروزة بصدرها قبل أن تلتفت في غضب شديد تجاه ابنته.. رأى يدها اليمنى تتحرك مشيرة إليها لتنتشر منها تلك الظلال في بطاء تجاهها مما جعله ينقض بسرعة ليمسك بيد كارمن.. ليثبتها على تلك الورقة التي تحمل تلك التعويذة السحرية قبل أن يلتقط في سرعة تلك السكين الواقعة بالقرب من كارمن، وليغرسها بيده مارًا بيد كارمن وبتلك الورقة الملعونة أيضًا.. لتتوقف تلك الظلال في الحال.

لتصرخ كارمن من شدة الألم، لتنظر إليه في غضب خلال ذلك الشعر المنسدل على وجهها عندما قال في صوت متألم وبابتسامة ساخرة:

- والآن ستستطيع تلك النيران رؤيتك..

تنظر إليهم تلك الفتاة الصغيرة في فزع شديد، بل وتصرخ من
أثر الصدمة في حين يأمرها أبوها بالهرب ولكن ليز تقول في ألم:
- لا.. لن أتركك..

وهنا يلاحظ ستيفن عودة تلك الظلال التي تنتشر من
كارمن لمطاردة ضحيتها مجدداً لولا ضغط ستيفن لتلك
السكين على يده لتتغرز أكثر في يد كارمن مسببة العديد من
الآلام التي لا تحتمل.. مما جعل تلك الظلال تتوقف مجدداً
بالقرب من ابنته وليصرخ في ألم:
- اهربي يا ليز.. اهربي الآن..

لكن ابنته تأبى التحرك.. تأبى أن تتركه يواجه تلك النهاية
القاسية بمفرده.. مما جعله يصرخ بأعلى صوت عنده عندما
التفتت كارمن إليها مجدداً:
- الآن..

تساقطت بعض الألواح الخشبية من سقف المنزل المشتعل
بالقرب منها فصرخ في غضب:
- الآن يا ليز.. اهربي..

فتهرول تلك الفتاة إلى أقرب نافذةٍ بالقرب منها لتلقي
بنفسها خارج ذلك المنزل.

ينظر ستيفن إلى ذلك الجانب من المنزل الذي تحطم
للتو ليغطي تلك النافذة التي هربت منها ليز، وكأن النيران

تخبره أنه قد آن آوان دفع ثمن حرية ابنته، يلتفت إلى كارمن التي حدقت في سقف المنزل في ألم، يرى دموعها المذروفة، يرى شفيتها المرتعشين واللتين أخذتا تتمتمان بصوت خافت بكلمات غير مفهومة.

يستطيع أن يشعر ببشرتها الباردة حين يضغط بيده على يدها في رفق ليراها تلتفت إليه في ألم، يستطيع أن يسمع أنفاسها المتسارعة، يستطيع أن يشعر بالخوف المتغلغل إلى صدرها، يستطيع أن يدرك معاناتها حين قالت بصوت خافت:

- لماذا؟؟..

ينظر إليها في ألم قبل أن يسمعها تكرر بصوت بدا به نحيبها المكتوم واضحًا:

- لماذا؟؟..

ظلّ صامتًا.. كل ما يفعله هو النظر إليها في حزن واضح حين نظرت مجددًا إلى ذلك السقف المشتعل وهي تكرر في ألم:

- لماذا؟؟..

- أنت تعلمين لماذا؟؟

عادت لتلتفت إليه في استنكار لتُعلمه بأن إجابته ليست كافية لإقناعها قبل أن تسأله بتأوهٍ مكتوم:

- أن تضحي بنفسك وتقدم روحك كقربان إلى لهيب نيران الجحيم.. أن يصبح مصيرك الأبدي هو الجحيم في سبيل حريتها..

أن تتحول إلى مسخ من أجلها وأن تتبنى تلك القوى بكل عيوبها
بداخل جسدك.. هل بالفعل تستحق ابنتك كل هذا؟؟

لم يجبها ستيفن ليسود الصمت بينهما لبضع ثوانٍ قبل أن
يستمع إليها تكمل في ألم:

- لا تستطيع أن تشفق على أليس كذلك؟!.. لا تستطيع أن
تبدي الشفقة والرحمة لشيطانة مثلي.. ستردد بأني أستحق
تلك النهاية.. ستردد أن ذلك المكان الذي سيحتويني بالنهاية
أنا أستحقه.. ستردد أنه من المفترض بي أن أموت ألف مرة
ولن يكون هذا كافيًا.. ستردد أن العذاب الذي ينتظرنني في
الجحيم ليس كافيًا لشيطانة مثلي.. ستردد أن كائنًا مثلي
يفترض به تجرع الآلام إلى الأبد..

ثم أشاحت بوجهها بعيدًا قبل أن تكمل في بكاء بدا من
الصعب كتمانها:

- ستلعنني كما فعلَ مَنْ قبلك.. ستركهني كما فعلَ مَنْ
قبلك.. ستردد أنك تتمنى أن تمزق صدري لتنتزع قلبي من
مكانه، متمنيًا أن تخفف تلك الآلام التي سأشعر بها من حقدك..
ثم عادت لتنظر إليه بدموع تسيل كالأنهار من عينيها،
قبل أن تردد في صراخ عالٍ:

- لماذا لا تصرخ بي الآن؟؟.. لماذا لا تريد أن تلعنني؟؟.. لماذا لا
تريد أن تتمنى أن أحترق حتى الموت مثل الآخرين؟؟

نظر إليها ستيفن في صمت ولم يجبها، واستمع إليها تتنفس

في صعوبة وهي تكمل بصوت واهن ساخر:

- لا تستطيع تصديق الأمر أليس كذلك؟؟.. مهما حاولتُ أن أوضح لك.. لن تستطيع أن تفهمني.. لن تستطيع أن تفهم أني فعلت كل هذا بدافع الحب.. بدافع الحصول على فرصة ثانية.. بدافع الحصول على حياة أخرى.. حياة أستطيع بها أن أقابله مجدداً.. ولكن يبدو أن هذا مستحيل.. أليس كذلك؟!

لم يجبها مرة أخرى، فالتزمت الصمت ليراها تعاني أثناء تنفسها.. ليراها تعاني وهي تحرك شفيتها مجدداً قائلة في سخرية:

- ولكن مَنْ يصدق أني قد نجحتُ هذه المرة..

فنظر إليها ستيفن في تعجب وهي تكمل بأنفاس متقطعة وبصوت واهن وبابتسامة غامضة:

- لقد حصلتُ عليك في النهاية.. لا يهم أين سيكون مثوانا.. لا يهم أين سنصبح؟؟.. لا يهم إذا كنا سنعاني إلى الأبد ما دمتُ معك.

كان ستيفن ما يزال لا يستطيع أن يفهم ما تقصده حتى قالت بصوت مرتعش وقد حاولت رفع يدها الأخرى تجاه وجهه لكي تلمسه:

- لا يهم إذا كنتُ سأظل إلى الأبد في الجحيم ما دمتُ معي يا ستيفن..

وكادت أصابع يدها أن تلمس وجه ستيفن الناظر إليها في

صمت، لكنها سرعان ما رأت بشرة يدها تجف وتظهر بها تلك الشقوق قبل أن تتحول إلى رماد يتلاشى ويتناثر بالهواء، ولم تكن ذراعها فقط هي ما حدث بها ذلك، بل انتشر ذلك التحول ليشمل جميع أطرافها وليتوغل إلى داخل جسدها، وقبل أن يصل التأثير إلى رأسها نظرت إليه بدموع منهمة بلا توقف وقالت بصوت خافت متألم:

- لن أعتبر هذا وداعا بيننا.. لأنني قريبًا سألقاك.. يا أبي.

وسرعان ما رآها تطلق نَفْسَها الأخير قبل أن تجف بشرة وجهها الشاحب وتظهر بها تلك الشقوق العميقة ولتتحول إلى رماد أيضًا، ليتلاشى وجودها، وليتناثر رماد جسدها حوله في ببطء، وليرى تلك الفأس الصغيرة له تتعمق بداخلها، بل ولغمرها ما تبقى من رماد جسدها الساكن أمامه.

دموعه الحارة تتساقط بالقرب من رمادها بدون أن يعلم السبب.. هل يبكي لأن ذلك الكابوس انتهى وابنته أصبحت في أمان؟؟ أم أنه يبكي من أجل تلك النهاية التي ما زالت تلاحقه حين نظر إلى تلك النيران التي ازداد لهيبها للتو..؟ أم أنه يبكي من أجلها..؟ من أجل تلك اللعنة التي حولت حياته إلى كابوس.. لا.. إنه لا يصدق ذلك.. إنه لن يبكي من أجلها.. فهي تستحق ذلك الجحيم الذي أرسلها إليه للتو.. إنها تستحق ذلك التعذيب الذي ستراه.. إنها تستحق المعاناة التي ستعيشها للأبد.

ولكن لماذا ما زالت عيناه تذرفان الدموع؟؟.. لماذا يصرخ

الآن؟؟.. لماذا يشعر بتلك الآلام تشتعل في قلبه؟؟.. لماذا تمر ذكرياتها والتي رآها في أحلامه بدون توقف أمام عينيه الباكيتين؟؟.. لماذا؟!

لقد تبخرت كارمن وانتهى الكابوس الذي يطارد ابنته، ولكن ليظهر كابوس آخر لم يَكف عن مطاردته.. كابوس يُدعى أبوه.. كابوس كافٍ لتغيير مسار عالمه للأسوأ.. كابوس يتسم له مستندًا بالقرب منه على أحد حوائط المنزل.. ينظر إليه وقد بدت على وجهه تلك السعادة العارمة.. يمر خلال تلك النيران بدون أن يحدث له أي شيء قبل أن يقف مجددًا بالقرب من باب المنزل.. لينظر إليه ستيفن في غضب.. لينظر إليه في حقد وكرهية.

لم يتكلم حيث كانت نظرات عينيه تجاهه كافيةً لإعلامه بما يدور داخل قلبه.. حتى تلك الدموع التي ما تزال تذرفها عيناه لا تؤثر على ما تعبّر عنه.. يقف ستيفن مجددًا ليواجهه، ولكن والده يقول له في سعادة:

- أنا فخورٌ بك..

ربما لم يستطع ستيفن سماع صوته.. وربما لم تُرد أذناه تقبّل أي كلمة منه، ولكن رؤيته لشفتيه المتحركتين كان أكثر من كافٍ ليعرف ما قاله.. وسرعان ما رآه يتجه خلال تلك النيران لباب المنزل المشتعل ليختفي عندما مرّ خلاله.. ولينتهي كابوسٌ من حياة ستيفن للأبد.

لكن الكابوس الأكبر كان بانتظاره عندما رأى تلك الوحوش تظهر الواحد تلو الآخر بلا توقف.. لتُعلمه تلك القوى أنه أصبح سيدها أخيراً، وربما لعدم وجود أحد آخر غيره.. هذه كانت خطة ستيفن ليتحكم بتلك القوى اللعينة وليحكم سيطرته عليها.. بألا يجعلها ترى ابنته.. بألا يجعلها ترى غيره.. وقد قامت نيران الجحيم بعملها في عزلها عن ابنته.. وفي عزله عن العالم الخارجي بأكمله.. لقد تم الأمر.. وانتهى كل شي بألا تجد تلك القو بديلاً غيره.. بألا تجد أي قلبٍ مظلّم غيره.. وبهذا سينتهي أمر تلك القوى بعيداً عن متناول أي شخص غيره.

يبدأ ستيفن في الضحك عندما يسمع تلك الأصوات بداخل عقله.. آلاف الأصوات.. آلاف الأرواح التائهة التي تنتظر أمراً منه.. يضحك بصورة هستيرية ليس لأنه قد أنقذ العالم للتو، ولكن لعلمه بعدم معرفة أحد لذلك.. يضحك بقوة لتخيله بأن ابنته كانت ستعاني تلك الآلام التي يشعر بها بداخل رأسه الآن إذا امتلكت تلك القوى اللعينة.. يضحك بشدة لأن نهايته أصبحت ذلك الجحيم الأبدي.. يضحك بشدة.. ويبيكي بشدة عندما يميل مجدداً على تلك المفكرة التي لمحها بالقرب منه ليقراً تلك النهاية التي كتبها مجدداً.. إنها النهاية التي طالما حلّمَ بها عندما كان صغيراً.. إنها النهاية التي طالما طاردت خياله عندما كان أبوه ما يزال على ما يرام.. كل ما قناه هو أن يعود ذلك الأب الغائب مجدداً.

كان ينظر إليه في صمت، ذلك الطفل الذي ظهر من

العدم، ذلك الطفل الذي يمر بين تلك الوحوش وخلال تلك النيران إليه في بطاء، وبدون أن يصاب بأي أذى، يراه يقترب منه فيقوم بنزع تلك السكين من يده ملقيًا بتلك التعويذة بعيدًا ليرى ذلك الجرح العميق بيده يلتئم، يميل بجسده فتندفع يده متعمقة برماد كارمن ليمسك بتلك الفأس والتي ما يزال لون نصلها أسود.

كان ذلك الطفل على بعد خمس خطوات من ستيفن، ينظر إليه بابتسامة هادئة حين ألقى ستيفن بتلك الفأس لتقع بالقرب من قدميه الصغيرين محذرًا إياه من الاقتراب.. محذرًا إياه من التقدم أكثر من ذلك، لينظر بعدها ذلك الطفل إليه في صدمة هائلة، والتي سرعان ما زالت حين أشار ستيفن بنصل تلك السكين الصغيرة تجاه عينيه، وحين سمعه يقول في صوت امتلاً بالحق والكراهية:

- قد تستطيع أن تخدع أي شخص آخر.. وقد تستطيع خداع حتى كارمن.. ولكن لا تستطيع أن تخدع تلك العينين لي يا وحشي الصغير.

- إذا أنت باستطاعتك رؤيتي أخيرًا

قالها ذلك الطفل في سخرية وهو يتخلى عن تنكره أخيرًا والذي أصبح بلا فائدة.. ملابسه البالية تتلاشى.. أطرافه تتمدد، بشرة جلده الشاحبة يستحيل لونها إلى اللون الأسود.. إنه يتحول إلى نفس الوحش الذي تحول إليه ستيفن عندما قاتل كارمن.. ليسمعه ستيفن يقول في صوت أجش:

- ليست العيون فقط هي ما ساعدتك على تبيني..

- كراهيتك اللامتناهية.. حقدك الدفين والذي أستطيع الشعور به من على بعد ألف ميل..

- هذا بالإضافة إلى شئ آخر..

ثم أشار ذلك الوحش إلى رأسه ليقول ستيفن في ألم:

- أستطيع أيضًا أن اقرأ أفكارك..

- لا بد أن تعترف أن تلك القوى مفيدة للغاية.. لا بد أن تعترف أنها شئ ببساطة.. رائع.

قالها ذلك الوحش بابتسامة واسعة استطاع بها ستيفن أن يرى معظم أنيابه الحادة والقاتلة مما جعله يقول في عنف:

- ماذا تريد؟؟

- أنت تعلم ماذا أريد؟!

- وأنا أقول لك إن هذا مستحيل..

فامتدت يد ذلك الوحش اليمنى تجاه ستيفن وهو يشير إليه بإصبعيه السبابة والوسطى قائلاً في عنف:

- الفرد انقسم إلى اثنين..

ثم رآه ستيفن يضم إصبعيه إلى جانب بعضهما البعض وهو يكمل:

- ولا بد أن يعود الاثنان ليتحدا مجدداً ليعود ذلك الفرد

من جديد

- على جثتي..

قالها ستيفن في عنف وقد اشتدت قبضة يده على تلك
السكين الصغير لكارمن قبل أن يكمل في غضب:

- عودة ذلك الشخص أشد خطرًا على أسرتي من كارمن
نفسها، وأنا لم أقتل كارمن من أجل إنقاذ ابنتي ليز لتعود
أنت معرضًا كافة أسرتي للخطر من جديد.

- هذا شيء ليس لك أن تقرره..

- قدر لي وحدي.. وأنا وحدي من أصنعه..

ثم سرعان ما هجم ستيفن على ذلك الوحش موجهًا تلك
السكين نحوه ليراه يمسك بيده الحاملة لتلك السكين موقفًا
هجومه وهو يقول بسخرية:

- قدرك لك وحدك.. أليس كذلك؟!

حاول ستيفن أن يسدد له لكمة حادة بيده الأخرى، ولكن
فُوجيء بصد ذلك الوحش لضربته التالية، بل وأمسك بيده
الأخرى أيضًا ولكنه وجده يدفع بيده تلك تجاه صدره التي
امتصت يده بداخلها جاذبة باقي ذراعه في بطاء وليسمع
ذلك الوحش يقول في سخرية:

- لا تقلق.. جثتك ستأتي معي أيضًا.

ليرى بعدها ذلك الوحش يحاول سحب جسده إلى داخله

في بطاء مما جعل مقاومة ستيفن تزداد ليخلص يده الحاملة
لذلك السكين في عنف وليقوم بطعنه في صدره في قوة وهو
يقول في غضب شديد:

- جثتي ليست ملكاً لك لتأخذها..

ولكن ذلك الوحش اقترب بوجهه الأسود من وجه ستيفن
ليقول في صوت أجش بدون شعور بأي ألم:
- ليست ملكاً لي بالتأكيد.. ولكنها ملك ذلك الشخص الذي
سنكونه معاً بالتأكيد..

واستمر ذلك الوحش بسحب ستيفن بداخله، واستمر
ستيفن بطعنه بلا توقف حتى رأى تلك النيران تحيط بكليهما
وقد ازداد لهيها قبل أن تندفع تجاههما.. قبل أن تغطيها
وتشملمها.. قبل أن تشتعل بأجسادهما.. قبل أن يشعر ستيفن
بذلك الظلام يغزو عينيه وبتلك الآلام العنيفة تسري بجميع
أنحاء جسده.. قبل أن يفقد الوعي تماماً.

لكنه لم يفقد الوعي لفترة طويلة، فسرعان ما استيقظ
ستيفن مرة أخرى ليجد منزل والده قد انتشر فيه الظلام
مجدداً بعد أن اختفت تلك النيران وبعد أن تحول ما بالمنزل
من أثاث إلى حطام.. كان يعلم أنه ليس في الجحيم.. ليس بعد.

فالجحيم لا يوجد به صوت ابنته ليز الصارخ والمغمور
بالقلق.. ضوء أبيض قوي يندفع من الخارج خلال النوافذ
يجعل من الصعب رؤية ما ينتظره خارج المنزل.. يتحسس

جسده ليجده سليماً بلا أي إصابات.. الضوضاء بالخارج تزداد..
صوت سيارة الإسعاف بالخارج بدأ يكون مزعجاً للغاية.

لا يستطيع تصديق الأمر في البداية.. فمن المستحيل أن
يظل على قيد الحياة بعد كل ما حدث.. ليس هو.. لم يستطع
فعلها كريس لذا من المستحيل أن يفعلها هو.. بالإضافة إلى
ذلك أين ذلك الوحش اللعين؟!

يتحامل على نفسه ليقف بصعوبة شديدة بعد أن تملك
منه الضعف والوهن ولكن صوت ابنته الصارخ القلق
ونداءها المستمر له يمدانه بالقوة اللازمة ليتحرك تجاه باب
المنزل الذي تمكن من فتحه بصعوبة، بعد أن أبدى مقاومة
كبيرة له في البداية.

وبمجرد خروجه من المنزل يقع جاثياً على ركبتيه وقد
غمره ذلك الضوء الأبيض لكشافات السيارات، ويسمع أصواتا
كثيرة تحيط به ولكن الذي استطاع التعرف عليه والذي أراد
سماعه وبشدة هو صوت ابنته الصغيرة ليز التي أحاطته
بكلتا ذراعيها الصغيرتين لتضمه إلى حضنها الدافئ قبل أن
يفقد الوعي تماماً هذه المرة.



كانت تنظر تجاهها بعينين دامعتين قبل أن تضع تلك
النظارة السوداء على عينيها لترافق ابنتيها الأخريين مبتعدتين
عن ذلك المنزل حيث أخذت تنظر إليهما ليز في ألم وهي

تستند بالقرب من تلك الشجرة حيث انتبهت ليديه اللتين
أخذتا تربتان على كتفيها في حنان قبل أن تقول في ألم:

- ستعود والدتي أليس كذلك يا أبي؟!

فأجابها ستيفن في صوت هادئ:

- نعم يا عزيزتي.. ولكن يبدو أنه في خضم تلك الأحداث
السابقة لابد أن تباعد والدتك عنا قليلًا.. لابد أن ننفصل
لبعض الوقت حتى تستعيد قدرتها على التحكم بزمام الأمور
مرة أخرى.

فنظرت إليه بعينين دامعتين قائلة:

- هل هذا بسببي؟؟.. بسبب تلك التغيرات التي طرأت
على جسدي.

فمال عليها في بطاء قائلاً في هدوء:

- وما هي تلك التغيرات التي طرأت عليك؟؟

فأشارت إلى شعرها وعينيها قائلة:

- ذلك اللون الأسود الذي طغى على شعري وعيني.. وذلك
الاحمرار...

ولكنها فوجئت بوضع ستيفن لأحد أصابع يده اليمنى
على شفيتها ليمنعها عن الكلام وليزيل تلك النظارة السوداء
عن عينيها وليضعها على عينيها قائلاً:

- أنا لا أهتم لتلك التغيرات.. لا أهتم للون عينيك أو شعرك

أو بشرتك، لا أهتم لأيٍّ من ذلك.. ولن أهتم.. ما أهتم له هو
أن ابنتي الجميلة ما تزال على قيد الحياة بجانبى..

فقال ليز في تعجب:

- جميلة..

ثم ظهرت تلك الابتسامة الماكرة على شفثيها وهي تكمل:

- أعتقد أني سأصبح مُغنيةً روك عندما أكبر..

فسألها ستيفن في تعجب:

- ولماذا هذه المهنة؟!

فقال في مرح:

- لأن كل ما ينقصني هي تلك الوشوم وأصبح مثلهم..

ولكن ستيفن جذبها من يدها ليلقي بها في أحضانه قائلاً:

- بل ستصبحين أفضل منهم..

ولكن ليز لم تُجبه هذه المرة ليقول ستيفن في ألم:

- ستصبحين أفضل مغنيةٍ على الإطلاق..

كان ستيفن يضمها إليه بقوة ليُشعرها بذلك الدفء
بداخل صدره، وربما رغبةً منه في ألا ترى تلك الدموعَ البادية
بعينيه عندما قالت في بطاء وبصوت مرتعش لا يخلو من
الخوف الذي اجتاح قلبها للتو:

- أبي... أنت لن تتركني أليس كذلك؟؟... لن تهرب مني مثل

والدتي.. لن تدعني وحيدةً مثلما فعلتَ معي بقية عائلتي..
 مما جعل ستيفن يبعدها قليلًا عنه، وإن كان ما يزال
 ممسكا بذراعيها في قوة ليقول بصوت حاد:
 - لا تقولي تلك الكلماتِ مرةً أخرى.. أنا لن أفعل ذلك
 أبدًا.. لن أترككِ إلى أن يفرق الموتُ بيننا؟!
 فسألته في ألم:
 - أتعدني بذلك؟

فأغمَض ستيفن عينيه لثوانٍ معدودة ولم يجبهها ليس
 بسبب عدم قدرته على ذلك بل بسبب رؤيته لشيء لم يعد
 له وجود.. أوهام وهلاوس أصبحت تطارده في الآونة الأخيرة..
 أوهام وهلاوس تجبره على رؤية أشياء مريبة.. أشياء من
 الماضي.. أشياء لم يعد لها وجود.. أشياء استحالت حياته معها
 إلى جحيم مُطَبَّق.. ولكنه يعلل ذلك لتعرض عقله لكثير من
 الصدمات خلال الأسابيع القليلة السابقة.. صدمات كادت
 تودي بحياة ابنته وبحياته.. صدمات كان من المستحيل له
 بعد مواجهتها البقاء حيًا.. صدمات ستأخذ الكثير من الوقت
 حتي يستطيع دفنها بماضي الذكريات.. لذا كل ما عليه هو
 تجاهل تلك الأوهام والهلاوس حتى يتمكن من التعافي..
 حتى يتمكن من الحياة.

فيسمعها تسأله مجددًا في قلق:

- أتعدني بذلك؟!

ففتحَ عينيه في بطاء لينظر إليها بعينين مبتسمتين أثارت
الطمأنينة بداخلها، وليقول في هدوء:

- أعدك بذلك..

ثم قام ستيفن بمسح شعرها الأسود بيده في هدوء لينظر
إلى عينيها السوداءوين مكملًا في صوت يسوده الألم:

- لن أتركك مهما حدث لن أتركك..

ثم ضمَّها إليه مجددًا حيث غرز يديه في ذلك الفستان
الأسود البالي مكملًا:

- لن أتركك

فقاطعته قائلة بعينين دامعتين:

- مهما حدث

فهز رأسه بالإيجاب قائلاً:

- مهما حدث

ثم نظر ستيفن إلى تلك السماء الصافية بعد أن رأى تلك
الغيوم التي بدأت تزدهم بها بسرعة مريبة منذرة بطقس
سيئ وبجلب رياح عاتية، إنه يعلم بعدم وجود تلك
الغيوم، يعلم أنها احتمال أن تكون جزءًا من تلك الهلاوس
التي يراها يوميًا لكنه قال لها في حذر:

- دعينا ندخل المنزل الآن، فلقد اشتد الجوع بي

ولكنها لم تتحرك ليسمعها تقول في يأس:

- وما الذي سيجبرك على ذلك؟؟ ما الذي لن يجعلك تملّ منّي يومًا وتتركني كما فعلوا؟؟

فأحاطَ ستيفن يديه بخصرها ليرفعها عاليًا وليحملها على كتفه الأيمن متجهًا إلى ذلك المنزل حيث نظر إليه في يأس، بعد أن تغيرت نظرته إليه ليراه ليس بصورة ذلك المنزل الصغير لوالده والذي بحاجة إلى كثير من الإصلاحات والأعمال الشاقة لإعادته إلى ما كان عليه، بل ليراه بصورة وبهيئة ذلك المنزل الصامت الخالي المهجور الواقع خلف منزله بريتواسن وهو يقول في جدية:

- لأنني لستُ مثلهم يا عزيزتي.. أنا لديّ واجبٌ تجاهك وسأكملُه حتى النهاية، بالإضافة إلى أنكِ تعلمين أنني لو أردتُ التهربَ منكِ لكنتُ فعلتُ ذلك منذ البداية، ولكني لا أستطيعُ فعل ذلك يا عزيزتي، فأنا أفضلُ الحياةَ معذبًا معكِ وأن تعاني بجانبني عن الراحة وأنتِ تعانين بعيدًا عني، لن أستطيعُ أن أتخلص منكِ ولن أستطيعُ التهربَ وهذا ليس لأنني لست مستعدًا لذلك ولكن لأنكِ بعد كل شيءِ ابنتي.. شريكتي.. دمي.. تراثي.. وأنتِ أيضًا جيمي الذي لن أتصل منه.

النهاية

تمت بحمد الله

obeikandi.com

obeikandi.com

إلى طارق مصطفى عكوش

إهداء إلى صديق وأخ عزيز كان السبب في اكتشاف موهبتي وكان
السبب في إقبالي عليها حتي أصبح إدماني لها كإدماني للماء والهواء لن
أستطيع إنكار دعمك المستمر لي بتلك الرواية ولن أستطيع أن أخفي شغفي
في انتظار أعمالك القادمة.

إلى أدهم مصطفى عبوده

إهداء إلى صديق وأخ عزيز لطالما تواجد بجانبني بأوقات تعثري وخاصة
بأوقات يآسي في إنهاء ذلك العمل الروائي لن أستطيع إنكار دعمك
النفسي لي في بكل لحظة اقتربت فيها بتمزيق ذلك العمل إلي أشلاء ولن
أستطيع إنكار فضل جدتك الكريمة ((نورس حسن كم نقش)) في تنقيحها
الأولي للرواية وكم أفادتني ملاحظاتها في تعديلي وتصحيح للأخطاء
المتواجدة بها ولها أنا شاكر لذلك.

obeikandi.com

إهداء

إلي أصدقاء وأخوة وأحباء كان لهم الفضل المعنوي والنفسي لي في إنهاء ذلك العمل الروائي لن أستطيع إنكار دعمهم الشديد لي وإلحاحهم أيضاً لي بنشر تلك الرواية ولكنك أتمني أن أضع أسمائهم بالتوازي وليس بالتوالي.

وسام عبد المنعم - محمود عزمي

محمد حسن - محمود البدري

شهاب فضل - محمود علي

وعد أحمد - مصطفى أشرف

obeikandi.com